تحرير البلاغة

تأليف

سماحة آية الله

السيد محمد علي الموسوي الجزائري

انتشارات بنی الزهراء (عليها السلام)

سرشناسه : موسوی جزایری،محمدعلی ،۱۳۲۲ -
عنوان و نام پدیدآور : تحریرالجواهر بتمحیص‌الشواهد والمآثر/ تالیف السیدمحمدعلی الموسوی‌الجزایری.
مشخصات نشر: قم: بنی الزهراء (س) ، ۱۴۰۲.
مشخصات ظاهری: ۲۶۸ ص.
شابک : 978-622-5886-19-3
وضعیت فهرست نویسی : فیپا
یادداشت : زبان: عربی.
یادداشت : کتابنامه به صورت زیرنویس.
موضوع : علی‌بن ابی‌طالب (ع) ، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ق . نهج‌البلاغه -- مسائل ادبی
موضوع : Ali ibn Abi-talib, Imam I. Nahjol - Balaghah -- Literary aspects
موضوع : زبان عربی -- معانی و بیان
Arabic language -- Rhetoric
زبان عربی -- بدیع
Arabic language -- Figures of speech
رده بندی کنگره : PJA۲۰۲۸
رده بندی دیویی : ۸۰۸/۰۴۹۲۸
شماره کتابشناسی ملی : ۹۲۷۸۰۹۹
اطلاعات رکورد کتابشناسی: فیپا

انتشارات بنی الزهراء (علیها السلام)

عنوان کتاب: تحریر الجواهر بتمحیص الشواهد و المآثر
مؤلف: آیه الله سید محمد علی موسوی الجزائری
ناشر : انتشارات بنی الزهرا (علیهم السلام)
نوبت چاپ : اول تابستان ۱۴۰۲
چاپخانه: چاپ دیجیتال منجی
تعداد : ۵۰۰
شابک : ۹۷۸-۶۲۲-۵۸۸۶-۱۹-۳
قیمت: ۱۵۹۰۰۰ تومان

بسم الله الرحمن الرحيم

فهرس الموضوعات

مقدّمة ١٥

معرفة الفصاحة والبلاغة ١٧

الفصاحة ١٧

البلاغة ١٨

علم المعاني

تعريف علم المعاني ٢١

واضع هذا العلم ٢٣

الباب الأوّل: تقسيم الكلام إلى الخبر والإنشاء ٢٧

المبحث الأوّل: حقيقة الخبر ٢٩

الأغراض التي من أجلها يلقىٰ الخبر ٢٩

المبحث الثاني: كيفية إلقاء المتكلّم الخبر للمخاطب ٣٣

التنبيه الأول ٣٥

التنبيه الثاني ٣٦

الباب الثاني: حقيقة الإنشاء ٤١

حقيقة الإنشاء ٤٣

المبحث الأول: الأمر ٤٥

تبصرة ٤٧

موارد إرادة الطلب بداع الجدّ من الأمر ٤٩

تنبيه ٥٠

المبحث الثاني: النهي ٥٠

المبحث الثالث: الاستفهام ٥٢

تنبيه ٥٨

تنبيه آخر ٦٠

المبحث الرابع: التمنّي ٦٣

المبحث الخامس: النداء ٦٤

أمثلة أدوات النداء ٦٥

تنبيه ٦٨

الباب الثالث: أحوال المسند إليه ٦٩

تعريف المسند إليه ٧١

أحوال المسند إليه ٧٢

المبحث الأول: ذكر المسند إليه ٧٢
نكتة ٧٣
المبحث الثاني: حذف المسند إليه ٧٤
المبحث الثالث: الأصل في المسند إليه أن يكون معرفة ٧٤
المبحث الرابع: تعريف المسند إليه بالإضمار ٧٥
المبحث الخامس: تعريف المسند إليه بالعلمية ٧٨
المبحث السادس: تعريف المسند إليه بالإشارة ٧٩
المبحث السابع: تعريف المسند إليه بالموصولية ٨٠
المبحث الثامن: تعريف المسند إليه بأل التعريف ٨١
تنبيه ٨٣
المبحث التاسع: تعريف المسند إليه بالإضافة ٨٣
المبحث العاشر: تعريف المسند إليه بالنداء ٨٥
المبحث الحادي عشر: تنكير المسند إليه ٨٦
المبحث الثاني عشر: تقديم المسند إليه ٨٧
تتميم ٨٨
المبحث الثالث عشر: تأخير المسند إليه ٨٩
الباب الرابع: المسند وأحواله ٩١
تعريف المسند ٩٣

المبحث الأول: ذكر المسند وحذفه ٩٤
حذف المسند ٩٥
المبحث الثاني: تعريف المسند وتنكيره ٩٦
تبصرة ٩٧
المبحث الثالث: تقديم المسند أو تأخيره ٩٨
الباب الخامس: الإطلاق والتقييد ١٠٣
حكم المطلق و المقيّد ١٠٥
المبحث الأول: التقييد بالنعت ١٠٦
المبحث الثاني: التقييد بالتأكيد ١٠٧
المبحث الثالث: التقييد بعطف البيان ١٠٧
المبحث الرابع: التقييد بعطف النسق ١٠٨
المبحث الخامس: التقييد بالبدل ١٠٨
المبحث السادس: التقييد بضمير الفصل ١٠٩
المبحث السابع: التقييد بالنواسخ ١٠٩
المبحث الثامن: التقييد بالشرط ١١٠
الفرق بين «إن» و«إذا» و«لو» ١١٢
المبحث التاسع: التقييد بالنفي ١١٦
المبحث العاشر: التقييد بالمفاعيل الخمسة ١١٦

تنبيه ١٢٠
الباب السادس: أحوال متعلّقات الفعل ١٢٣
متعلّقات الفعل ١٢٥
تقديم المفعول على الفعل والفاعل ١٢٦
الباب السابع: القصر ١٢٩
تعريف القصر ١٣١
المبحث الأول: طرق الحصر ١٣١
المبحث الثاني: تقسيم القصر إلىٰ حقيقي وإضافي ١٣٣
المبحث الثالث: تقسيم القصر إلىٰ قصر الصفة علىٰ الموصوف ١٣٤
المبحث الرابع: انقسام القصر الإضافي إلىٰ ثلاثة أقسام ١٣٤
نماذج من القصر في كلمات الإمام عليه السلام ١٣٥
الباب الثامن: الوصل والفصل ١٣٩
الوصل والفصل ١٤١
المبحث الأول: مواضع الوصل ١٤٢
المبحث الثاني: مواضع الفصل ١٤٣
ملاحظة ١٤٦
نماذج من الفصل والوصل في كلمات الإمام عليه السلام: ١٤٦
الباب التاسع: الإيجاز والإطناب والمساواة ١٤٩

تعريف الإيجاز والإطناب ١٥١
المبحث الأول: الإيجاز وأقسامه ١٥١
المبحث الثاني: الإطناب ١٥٢
المبحث الثالث: المساواة ١٥٤

علم البيان

تعريف علم البيان ١٥٧
مقدّمة ١٥٧
الباب الأول: التشبيه ١٦٣
تعريف التشبيه وأقسامه ١٦٥
المبحث الأول: انقسام طرفي التشبيه باعتبار المحسوس والمعقول ١٦٥
المبحث الثاني: انقسام طرفي التشبيه باعتبار الإفراد والتركيب ١٦٧
المبحث الثالث: تعدّد طرفي التشبيه ١٧١
المبحث الرابع: أقسام التشبيه باعتبار وجه الشبه ١٧٢
المبحث الخامس: تشبيه التمثيل ١٧٤
المبحث السادس: أدوات التشبيه ١٧٦
المبحث السابع: فوائد التشبيه ١٧٧
المبحث الثامن: انقسام التشبيه باعتبار الغرض إلىٰ مقبول ومردود ١٨٠
الباب الثاني: المجاز ١٨٣

تعريف المجاز ١٨٥
المبحث الأول: أنواع المجاز ١٨٥
المبحث الثاني: المجاز المفرد المرسل ١٨٥
علاقات المجاز المفرد المرسل ١٨٦
المبحث الثالث: المجاز المفرد بالاستعارة ١٩١
المبحث الرابع: المجاز المركّب بالاستعارة التمثيلية ١٩٢
المبحث الخامس: تقسيم الاستعارة باعتبار ما يذكر من الطرفين ١٩٤
المبحث السادس: تقسيم الاستعارة بالتحقيقية والتخييلية ١٩٥
المبحث السابع: تقسيم الاستعارة باعتبار لفظه إلى الأصلية والتبعية ١٩٧
المبحث الثامن: تقسيم الاستعارة المصرّحة بالوفاقية والعنادية ١٩٨
المبحث التاسع: تقسيم الاستعارة إلىٰ عامّية وخاصّية ١٩٩
المبحث العاشر: انقسام الاستعارة إلىٰ مطلقة ومرشّحة ومجرّدة ٢٠٠
المبحث الحادي عشر: المجاز المرسل المركّب ٢٠١
الباب الثالث: الكناية ٢٠٥
تعريف الكناية ٢٠٧
تقسيمات الكناية ٢٠٧

علم البديع

تعريف البديع ٢١٣

الباب الأوّل: المحسّنات المعنوية ٢١٧
الطباق ٢١٩
المقابلة.. ٢٢٢
مراعاة النظير ٢٢٣
تشابه الأطرف.. ٢٢٤
الإرصاد... ٢٢٦
الإدماج ٢٢٧
المذهب الكلامي ٢٢٧
حسن التعليل ٢٢٨
التجريد.. ٢٢٨
المشاكلة.. ٢٣٠
المزاوجة.. ٢٣٠
الطيّ والنشر (اللفّ والنشر) ٢٣٠
الجمع.. ٢٣١
التفريق ٢٣٢
الجمع مع التفريق ٢٣٢
التقسيم.. ٢٣٣
الإغراق... ٢٣٣

الغلوّ ٢٣٤
المغايرة ٢٣٤
التوجيه (الإيهام) ٢٣٥
نفي الشيء بإيجابه ٢٣٦
القول بالموجب ٢٣٦
ائتلاف اللفظ مع المعنىٰ ٢٣٧
التفريع ٢٣٧
الاستتباع ٢٣٨
الإبداع ٢٣٨
اسلوب الحكيم ٢٣٩
العكس ٢٣٩
تجاهل العارف ٢٤٠
التورية (الإيهام والتخييل) ٢٤٠
الاستخدام ٢٤١
الالتفات ٢٤٢
التعديد ٢٤٣
حسن النسق ٢٤٣
الاقتباس ٢٤٣

التلميح ٢٤٤
التعريض ٢٤٤
الإيغال ٢٤٤
الإيجاز ٢٤٥
التفسير (التبيين) ٢٤٥
التكرار ٢٤٦
الباب الثاني: المحسّنات اللفظية ٢٤٩
الجناس ٢٥١
أنواع الجناس اللفظي ٢٥١
الجناس التامّ ٢٥١
الجناس المطلق ٢٥٣
الجناس المزيّل والمطرّف ٢٥٣
الجناس المضارع ٢٥٣
الجناس اللفظي ٢٥٤
الجناس المحرّف ٢٥٤
الجناس المقلوب ٢٥٥
الجناس المصحّف (جناس الخطّ) ٢٥٥
الاشتقاق ٢٥٦

السجع ٢٥٧
الأول: السجع المطرّف ٢٥٧
الثاني: السجع المرصّع ٢٥٧
التشطير ٢٥٨
تضمين المزدوج ٢٥٩
لزوم ما لايلزم ٢٥٩
الحذف ٢٦٠
التشريع ٢٦١
ما لايستحيل بالانعكاس ٢٦١
الاكتفاء ٢٦١
ردّ العجز علىٰ الصدر ٢٦٢
التسميط ٢٦٣

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدّمة

الحمد للّٰه الذى خلق الإنسان علّمه البيان، وأنزل لهدايته القرآن بأفصح تبيان وأعدل ميزان وأكمل برهان، وصلّى اللّٰه على رسوله الأعظم ونبيّه الأكرم سيّد ولد آدم وأفضل من تأخّر وتقدّم أبي القاسم المصطفى محمّد صلّى اللّٰه عليه وآله سادات الأُمم ووسائط النعم.

وبعد فهذا مختصر نافع في علم البلاغة، الذي هو من أجلّ العلوم شأناً وأعلاه مكاناً، سمّيته بـ«تحرير البلاغة»، وهو اقتباس مع تعليقات على كتاب «جواهر البلاغة» للأُستاد البارز أحمد الهاشمي، ومن مزاياه التبرّك برشحات من منهل الفيض ومعدن الكرامة نهج البلاغة لأمير البيان ويعسوب الإيمان، وصيّ الرسول وزوج البتول وقدوة أرباب العقول الإمام علي بن أبي طالب صلوات اللّٰه عليه، كتبتها لأحبّتي وأعزّتي طلّاب جامعة أمير المؤمنين عليه السلام في فرع الأدب العربي العلوي، نسأل اللّٰه لهم حسن العاقبة ودوام الطاعة إنّه قريب مجيب.

ونحمده تعالىٰ علىٰ ما أنعم ونشكره علىٰ ما ألهم، فنقول مستعيناً به ومتوكّلاً عليه وهو حسبنا ونعم الوكيل نعم المولىٰ ونعم النصير.

معرفة الفصاحة والبلاغة

الفصاحة

هي في الاصطلاح عبارة عن كون الألفاظ ظاهرة المعنىٰ مأنوس الاستعمال سهل الإلقاء، وتقع وصفاً للكلمة والكلام والمتكلّم.

فهي في الكلمة تحصل بخلوّها عن تنافر الحروف وغرابة الاستعمال ومخالفة القياس والكراهة في السمع، وفي الكلام عبارة عن سلامته بعد فصاحة مفرداته عمّا يخلّ الربط بين المعاني وإسناد بعضها إلىٰ بعض وكونه بحيث يملّ السامع كطوله وكثرة التكرار فيه، وقالوا إنّه يحصل بالخلوّ عن العيوب التالية:

١. تنافر الكلمات

٢. ضعف التأليف من حيث مطابقته للقواعد المألوفة

٣. التعقيد اللفظي؛ كوضع الكلمات في غير مواضعها كالبيت المعروف:

ومـا مثله في الناس إلّا مملكا   أبو اُمّـه حيّ أبـوه يقاربه[1]

والمراد ما مثله في الناس حيّ يقاربه إلّا مملكاً أبو اُمّه أبوه.

---

١. الكامل في اللغة والأدب، ١: ٢٨.

٤. التعقيد المعنوي ككون المقصود بالبيان لازماً بعيداً من لوازم المدلول، كقوله:

سأطلب بعد الدار عنكم لتقربوا وتسكب عيناي الدموع لتجمدا[١]

وكقول ابن مالك في فصل المبتدأ والخبر:

كذا إذا عاد عليه مضمر ممّا به عنه مبيناً يخبر

والمراد وجوب تقديم الخبر، إذا اشتمل المبتدأ على ضمير يرجع إليه، فأدّاه بتلك العبارة المعقّدة.

٥. كثرة التكرار

٦. تتابع الاضافات كقوله: «جاء ابن عمّ صديق والد غلام زيد».

وفي المتكلّم عبارة عن الملكة التي يقدر بها صاحبها على بيان مقصوده بكلام فصيح.

البلاغة

هي في الاصطلاح عبارة عن مطابقة الكلام لمقتضىٰ الحال مع فصاحة ألفاظه.

قالوا مثلاً المدح حال أو مقام يقتضي إيراد الكلام بصورة الإطناب، وذكاء المخاطب حال أو مقام يقتضي إيراده بصورة الإيجاز، فمراعاتها يسمّىٰ بالبلاغة، والبليغ من له تلك الملكة.

---

١. الكامل في اللغة والأدب، ١: ١٦٣.

علم المعاني

تعريف علم المعاني

قالوا إنّ علم المعاني قواعد يعرف بها كيفيّة مطابقة الكلام لمقتضىٰ الحال، وموضوعه اللفظ العربي.

أقول: بل مطلق اللفظ من أيّ لغة كانت.

وفائدته: إعجاز القرآن الكريم من جهة ما خصّه اللّٰه به من جودة السبك وحسن الوصف وبراعة التراكيب ولطف الإيجاز وما اشتمل عليه من سهولة التركيب وجزالة الكلمات وعذوبة ألفاظه وسلامتها، إلىٰ غير ذلك من محاسنه التي أقعدت العرب عن مناهضته وحارت عقولهم أمام فصاحته وبلاغته.

أقول: هذا أحد طرق فهم إعجاز كلام اللّٰه العظيم، وإلّا فمن جملة طرقه الخوض في أعماق مفاهيمه وبطونه وأسراره وكنوزه الخفيّة ودقائقه وحقائقه العميقة، وإن كان بعض مراتبه بعيداً عن متناول عقول البشر إلّا من شمله العناية الأزلية والحماية الربّانية وهم الراسخون في العلم. قال سبحانه وتعالى: ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلاَّ الْمُطَهَّرُون﴾[1] وقال

١. الواقعة ٧٩.

تعالى: ﴿إِنَّما يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرا﴾.[١]

يقول أبونواس:

مطهّـرون نقيّـات ثيابهـم — تجري الصلاة عليهم أينما ذكروا
من لم يكن علويّاً حين تنسبه — فما له في قديم الدهر مفتخر
فاللّه لمّا برىٰ خلقاً وأتقنه — صفاكم واصطفاكم أيّها البشر
وأنتم الملأ الأعلىٰ وعندكم — علم الكتاب وما جاءت به السور[٢]

وبالجملة ما ذكرناه من المراتب المخصوصة أرقىٰ المراتب وأعلاها وإلّا فبعض مراتبها قابل للنيل والوصول، كما نصّ به القرآن الكريم: ﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلى قُلُوبٍ أَقْفالُها﴾[٣] وقال سبحانه وتعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾،[٤] وقال رسول اللّه صلى الله عليه وآله: «إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمُ الثَّقَلَيْنِ مِنْ بَعْدِي كِتَابَ اللهِ عَزَّ وَجَلِّ وَعِتْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي وَإِنَّهُمَا لَنْ يَتَفَرَّقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ».[٥]

ومعلوم أنّ التمسّك متوقّف على فهم المعاني، وكيف كان فلابدّ من التأمّل في المضامين والتدبّر في المفاهيم اتّباعاً لقوله تبارك وتعالى: ﴿بَلْ هُوَ آياتٌ بَيِّناتٌ في

---

١. الأحزاب: ٣٣.
٢. عيون أخبار الرضا عليه السلام، ٢: ١٤٣.
٣. محمّد: ٢٤.
٤. القمر: ١٧.
٥. المعجم الكبير، ٥: ١٥٤.

صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَما يَجْحَدُ بِآياتِنا إِلاَّ الظَّالِمُون﴾،[١] وقوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثالُ نَضْرِبُها لِلنَّاسِ وَما يَعْقِلُها إِلاَّ الْعالِمُون﴾.[٢]

وقال إمام البلغاء وقدوة الفصحاء أمير المؤمنين عليه أفضل صلوات المصلّين: «وَإِنَّ الْقُرْآنَ ظَاهِرُهُ أَنِيقٌ وَبَاطِنُهُ عَمِيقٌ لَا تَفْنَى عَجَائِبُهُ وَلَا تَنْقَضِي غَرَائِبُهُ وَلَا تُكْشَفُ الظُّلُمَاتُ إِلَّا بِهِ».[٣]

وقال عليه السلام: «وَتَعَلَّمُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ أَحْسَنُ الْحَدِيثِ وَتَفَقَّهُوا فِيهِ فَإِنَّهُ رَبِيعُ الْقُلُوبِ وَاسْتَشْفُوا بِنُورِهِ فَإِنَّهُ شِفَاءُ الصُّدُورِ وَأَحْسِنُوا تِلَاوَتَهُ فَإِنَّهُ أَنْفَعُ الْقَصَصِ».[٤]

وقال عليه السلام: «فَتَجَلَّى لَهُمْ سُبْحَانَهُ فِي كِتَابِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونُوا رَأَوْهُ بِمَا أَرَاهُمْ مِنْ قُدْرَتِهِ وَخَوَّفَهُمْ مِنْ سَطْوَتِه»،[٥] إلى غير ذلك ممّا يقف عليه المتتبّع في مطاوي نهج البلاغة زاد الله في شأنه وعلوّ درجته.

واضع هذا العلم

المشهور بينهم أنّ واضعه الشيخ عبدالقاهر الجرجاني المتوفّى سنة ٤٧١ هـ.

أقول: هذا هو المشهور بينهم، لكنّ التحقيق الذي يصل إليه المنصف الدقيق

---

١. العنكبوت: ٤٩.

٢. العنكبوت: ٤٣.

٣. نهج البلاغة، الخطبة ١٨.

٤. نهج البلاغة، الخطبة ١١٠.

٥. نهج البلاغة، الخطبة ١٤٧.

أنّ جذور هذا العلم و مناشئه وأُسّه وأساسه قد وجد في كلمات مولانا وسيّدنا قطب رُحىٰ الفصاحة ومحور فلك البلاغة الإمام علي أميرالمؤمنين عليه أفضل صلوات المصلّين، وهذا واضح لمن راجع كلماته ولم يحجب نواظره غشاء العصبيّة.

قال السيّد الرضي رحمه الله -وهو من فطاحل هذا الفن وخرّيت هذه الصناعة- المتوفّى في سنة ٤٠٦ هـ. في ديباجة كتاب نهج البلاغة -التي تمّ تأليفها سنة ٤٠٠ هـ.- ما حاصله: «وسألوني أن أبدأ بتأليف كتاب يحتوي على مختار كلام أميرالمؤمنين عليه السلام ... علماً أنّ ذلك يتضمّن من عجائب البلاغة وغرائب الفصاحة وجواهر العربية وثواقب الكلم الدينية والدنياوية ما لايوجد مجتمعاً في كلام ولا مجموع الأطراف في كتاب، إذ كان أميرالمؤمنين عليه السلام مشرع الفصاحة وموردها ومنشأ البلاغة ومولدها ومنه عليه السلام ظهر مكنونها وعنه أُخذت قوانينها».

فدقّق النظر إليها أيّها القارئ الكريم في قول هذا الغطريف المتبحّر الغائص في أعماق هذا الفنّ حيث يقول: «وعنه أُخذت قوانينها»، وقد سبقه إلى ذلك عدوّ أميرالمؤمنين عليه السلام معاوية بن أبي سفيان -على ما في تاريخ الخلفاء لابن قتيبة- لمّا قال لمحفن (عبدالله بن أبي محجن): من أين جئت؟ قال: من عند أعي الناس، فقال له معاوية: ويحك ما سنّ الفصاحة لقريش غير علي عليه السلام.[1]

وفي الخصال عن الشعبي «تَكَلَّمَ أَمِيرُالْمُؤْمِنِينَ بِتِسْعِ كَلِمَاتٍ ارْتَجَلَهُنَّ ارْتِجَالًا

---

١. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ٦: ٢٧٧.

فَقَأْنَ عُيُونَ الْبَلَاغَةِ وَأَيْتَمْنَ جَوَاهِرَ الْحِكْمَةِ وَقَطَعْنَ جَمِيعَ الْأَنَامِ عَنِ اللِّحَاقِ بِوَاحِدَةٍ مِنْهُن».[١]

ويقول ابن أبي الحديد المعتزلي في كلمة لأمير المؤمنين عليه السلام استشهد بها استاده ابن نباتة في خطبته: «لعمر الله لقد جمّلت الخطبة و حسّنتها وزانتها وما مثلها فيها إلّا كآية من الكتاب العزيز يتمثّل بها في رسالة أو خطبة ...».[٢]

أقول: كيف لايكون كذلك وكلامه عليه السلام دون كلام الخالق وفوق كلام المخلوق، وعليه مسحة من الكلام الإلهي وفيه عبقة من الكلام النبوي صلى الله عليه وآله كما قال به السيّد الرضي رحمه الله.

وقال ابن أبي الحديد عند التكلّم عن خطبة الجهاد: «أنّ الناس قد اتّفقوا على أنّه (القرآن) في أعلىٰ طبقات الفصاحة ... وانظر كلام أمير المؤمنين عليه السلام فإنّك تجده مشتقّاً من ألفاظه ومقتضباً من معانيه ومذاهبه ... يصلح أن يقال إنّه ليس بعده كلام أفصح منه ولا أجزل ولا أعلىٰ ولا أفخم ولا أنبل إلّا أن يكون كلام ابن عمّه».[٣]

أقول: ولذا عبّروا عن نهج البلاغة بأخ القرآن كما عبّروا عن الصحيفة السجّادية لحفيده الإمام زين العابدين عليه السلام بأُخت القرآن هذا.

ثمّ قال: واعلم أنّ المعاني جمع معنى وهو في اللغة المقصود؛ وفي الاصطلاح التعبير

---

١. الخصال، ٢: ٤٢٠.

٢. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ٢: ٨٥.

٣. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ٢: ٨٣.

باللفظ عمّا يتصوّره الذهن أو هو الصورة الذهنية من حيث تقصد من اللفظ وهو يتركّب من مسند ومسند إليه وإسناد وهي النسبة وما زاد عليهما، وسيأتي انقسامها إلى الصدق والكذب كقوله عليه السلام: «أَوَّلُ الدِّينِ مَعْرِفَتُهُ وَكَمَالُ مَعْرِفَتِهِ التَّصْدِيقُ بِهِ وَكَمَالُ التَّصْدِيقِ بِهِ تَوْحِيدُهُ وَكَمَالُ تَوْحِيدِهِ الْإِخْلَاصُ لَهُ وَكَمَالُ الْإِخْلَاصِ لَهُ نَفْيُ الصِّفَاتِ عَنْه»[١] فهذه جمل اسمية متركّبة من مسند ومسند إليه وبعض القيود.

وكقوله عليه السلام: «أَنْشَأَ الْخَلْقَ إِنْشَاءً وَابْتَدَأَهُ ابْتِدَاءً بِلَا رَوِيَّةٍ أَجَالَهَا وَلَا تَجْرِبَةٍ اسْتَفَادَهَا وَلَا حَرَكَةٍ أَحْدَثَهَا ...»،[٢] فهذه أيضاً جمل فعلية وفاعلها ضمير مقدّر يرجع إليه سبحانه وتعالىٰ.

وأمّا البحث عن سائر ما تعرّض لها كالنواسخ والمفاعيل ونائب الفاعل وأنواع القيود، فسيأتي مع أمثلتها في محالّها إن شاء الله تعالى.

---

١. نهج البلاغة، الخطبة ١.

٢. نهج البلاغة، الخطبة ١.

الباب الأوّل

تقسيم الكلام إلى الخبر والإنشاء

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: حقيقة الخبر

المبحث الثاني: كيفية إلقاء المتكلّم الخبر للمخاطب

المبحث الثالث: تقسيم الجملة إلىٰ الفعلية والإسمية

المبحث الأوّل: حقيقة الخبر

قال: الخبر هو ما يحتمل الصدق والكذب لذاته، أي لا بالنظر إلىٰ قائله، إذ لعلّ قائل خبر معلوم الصدق أو معلوم الكذب، ولا بالنظر إلىٰ العلوم الخارجية فتوجب القطع بصدق مضمونه أو القطع بكذبه، فاحترز عن كلّ ذلك بقوله «لذاته»، فهو في مقابل الإنشاء الذي بحسب ذاته لايصلح للتصديق والتكذيب لكون مفاده إيجادياً، بخلاف الخبر فإنه حكائيّ، ومن طبع الحكاية احتمال الصدق والكذب.

والصدق عبارة عن مطابقة مفاد الخبر وهو المفهوم الذي ينتقل منه إلى الذهن للواقع، والكذب عبارة عن خلافه.

ومع ذلك يرد عليه أنّه تعريف بالأثر لا بالحقيقة والماهية، فإنّ حقيقة الخبر عبارة عن الحكاية عن واقع موجود ومن آثاره صلوحه للتصديق والتكذيب.

الأغراض التي من أجلها يلقىٰ الخبر

الأصل في الخبر أن يلقىٰ لإفهام المخاطب وتعليمه، وقد يلقىٰ لأغراض اُخر كإفادة المخاطب بأنّ المتكلّم أيضاً عالم بذلك، وقد ذكروا لذلك موارد شتّىٰ:

منها: الاسترحام، نحو «إنّي فقير» لمن يعلم بذلك.

ومنها: تحريك الهمّة، كقولك: «لايستوي العالم والجاهل».

ومنها: إظهار الضعف، نحو ﴿رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي﴾.(١)

ومنها: إظهار التأسّف والتحسّر، نحو ﴿إِنِّي وَضَعْتُها أُنْثىٰ﴾(٢).

ومنها: إظهار الفرح والسرور، نحو ﴿جاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْباطِلُ﴾.(٣)

ومنها: التوبيخ، كقولك للعاثر: «الشمس طالعة».

ومنها: التذكير، نحو «لايستوي كسلان ونشيط».

أقول: من الأول قوله عليه السلام في دعاء الكميل: «فَكَيْفَ لِي وَأَنَا عَبْدُكَ الضَّعِيفُ الذَّلِيلُ الْحَقِيرُ الْمِسْكِينُ الْمُسْتَكِين».(٤)

ومن الثاني قوله عليه السلام في تحريك أهل العراق وتحريضهم إلى جهاد العدوّ: «الْقَوْمُ رِجَالٌ أَمْثَالُكُم».(٥)

ومن الثالث قوله عليه السلام: «رَبِّ إِنِّي لِما أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ وَاللَّهِ مَا سَأَلَهُ إِلَّا خُبْزاً يَأْكُلُهُ لِأَنَّهُ كَانَ يَأْكُلُ بَقْلَةَ الْأَرْض».(٦)

---

١. مريم: ٤.

٢. آل عمران: ٣٦.

٣. الإسراء: ٨١.

٤. دعاء الكميل.

٥. نهج البلاغة، الخطبة ٢٩.

٦. نهج البلاغة، الخطبة ١٦٠.

ومن الرابع قوله عليه السلام: «الَّذِينَ تَعَاقَدُوا عَلَى الْمَنِيَّةِ وَأُبْرِدَ بِرُءُوسِهِمْ إِلَى الْفَجَرَةِ».[١]

ومن الخامس قوله عليه السلام:

محمّد النبي أخي وصنوي وحمزة سيّد الشهداء عمّي
وجعفر الذي يضحي ويمسي يطير مع الملائكة ابن أمّي
وبنت محمّد سكني وعرسي منوط لحمها بدمي ولحمي
وسبطا أحمد ولداي منها فأيّكم له سهم كسهمي
سبقتكم إلى الإسلام طرّاً غلاماً ما بلغت أو أنّ حلمي
فأوجب لي ولايته عليكم رسول اللّه يوم غدير خمّ
فويل ثمّ ويل ثمّ ويل لمن يلقى الإله غداً بظلمي

وقال: كتب معاوية للإمام عليه السلام أنّ لي فضائل، كان أبي سيّداً في الجاهلية، وصرت ملكاً في الإسلام، وأنا صهر رسول اللّه وخال المؤمنين وكاتب الوحي، فأجابه الإمام عليه أفضل الصلاة والسلام بهذه الأبيات، فلمّا قرأها قال: اخفوها من أهل الشام لايقرأه أحد فيميلوا إلى ابن أبيطالب.[٢]

وأمّا السادس فيمكن أن يمثّل له بمثال الثاني.

ومن السابع ما تكرّر في كلماته عليه السلام في ذكر الموت فإنّه معلوم لكلّ أحد، فلايمكن أن يكون الغرض من بيانه إعلام المخاطب بل تذكيره وإزاحة غفلته؛ كقوله عليه السلام:

---

١. نهج البلاغة، الخطبة ١٨٢.

٢. موسوعة الغدير في الكتاب و السنة و الأدب، ٢: ٥٣.

«إِذَا كُنْتَ فِي إِدْبَارٍ وَالْمَوْتُ فِي إِقْبَالٍ فَمَا أَسْرَعَ الْمُلْتَقَى»،(١) وكقوله عليه السلام: «وَاسْتَعِدُّوا لِلْمَوْتِ فَقَدْ أَظَلَّكُم»،(٢) وكقوله عليه السلام: «أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِنْ قُلْتُمْ سَمِعَ وَإِنْ أَضْمَرْتُمْ عَلِمَ وَبَادِرُوا الْمَوْتَ الَّذِي إِنْ هَرَبْتُمْ مِنْهُ أَدْرَكَكُمْ وَإِنْ أَقَمْتُمْ أَخَذَكُمْ وَإِنْ نَسِيتُمُوهُ ذَكَرَكُم»(٣) وأمثال ذلك في كلماته عليه السلام كثيرة جدّاً.

وما أدري لم ترك في المقام ذكر المعروف شكراً لصاحبه أو تقرّباً إليه، كقول بعض أصحابه له عليه السلام:

أنت الإمام الذي نرجو بطاعته ... يوم النشور من الرحمن غفرانا

أوضحت من أمرنا ما كان ملتبسا ... جزاك ربّك بالإحسان إحسانا(١)

خاطب بها الإمام عليه السلام بعد رجوعه من صفّين وسؤاله عنه وجوابه عليه السلام بما تعرّض له النهج في كلمة ٧٨، ولعلّنا نتعرّض لتفصيله بمناسبة إن شاء اللّٰه تعالى.

وذكر أحد بالخير مخاطباً لحاسده المتجاهل عنه مع علمه به مكافاة لحسده، مثل ما أنشده الفرزدق أمام هشام بن عبدالملك في تعريف مولانا الإمام زين العابدين عليه السلام ومنها:

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته ... والبيت يعرفه والحلّ والحرم

١. نهج البلاغة، كلمة ٢٩.

٢. نهج البلاغة، الخطبة ٦٤.

٣. نهج البلاغة، كلمة ٢٠٣.

١. ينابيع المودّة، ١: ١٩٠.

هذا ابن خيـر عباد الله كلّهم — هذا التقي النقي الصادق العلم
إذا رأتـه قريـش قـال قائلهـا — إلـى مـكارم هذا ينتهـي الكرم
وليـس قولك من هـذا بضائره — العُرب تعرف من أنكرت والعجم
مـا قال لا قـطّ إلّا في تشـهّده — لولا التشهّد كانت لاؤه نعم[١]

ثمّ إنّ هذه الأغراض كلّها بلوازم الحكم.

المبحث الثاني: كيفية إلقاء المتكلّم الخبر للمخاطب

إنّ للمخاطب ثلاث حالات:

١. خلوّ ذهنه عن الحكم نفياً وإثباتاً، ويسمّىٰ هذا الخبر ابتدائياً.

٢. تردّده فيه مع اشتياق معرفته، ويسمّىٰ طلبياً.

٣. إنكاره للحكم واعتقاده خلافه، ويسمّىٰ إنكارياً.

ففي الحالة الأُولى لا مجال لتأكيد الكلام ولا مبرّر له، كقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾[٢] وكقوله عليه السلام: «وَفَرَضَ عَلَيْكُمْ حَجَّ بَيْتِهِ الحَرَامِ الَّذِي جَعَلَهُ قِبْلَةً لِلْأَنَامِ».[٣]

وفي الحالة الثانية يستحسن التأكيد ولايجب فقد يترك، كقوله عليه السلام لمّا سأل غالب

١. ينابيع المودّة، ٣: ١٠٨.

٢. آل عمران: ٩٧.

٣. نهج البلاغة، الخطبة ١.

بن صعصعة أبافرزدق الشاعر عن إبله فقال عليه السلام: «مَا فَعَلَتْ إِبِلُكَ الْكَثِيرَةُ قَالَ دَغْدَغَتْهَا الْحُقُوقُ يَا أَمِيرَالْمُؤْمِنِينَ فَقَالَ ذَلِكَ أَحْمَدُ سُبُلِهَا».[١]

أقول: الصحيح كما في بعض النسخ «ذعذعتها» بالذال المعجمة بمعنى فرّقتها، ومراده من الحقوق الزكاة، فكلامه مشعر بنوع من الكراهية كأنّه ثقل عليه إعطاء الزكاة ومع ذلك لم يأت الإمام عليه السلام بالتأكيد في جوابه.

وقد يؤتىٰ به كقوله عليه السلام -في كلام طويل- في جواب من سأله عن مسيرهم إلىٰ الشام هل كان بقضاء من اللّه وقدره أم لا؟ «إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ أَمَرَ عِبَادَهُ تَخْيِيراً وَنَهَاهُمْ تَحْذِيرا».[٢]

وفي الحالة الثالثة يجب التأكيد كقوله عليه السلام في جواب الخوارج الذين قالوا لا حكم إلّا للّه: «كَلِمَةُ حَقٍّ يُرَادُ بِهَا بَاطِلٌ ... وَإِنَّهُ لَا بُدَّ لِلنَّاسِ مِنْ أَمِيرٍ بَرٍّ أَوْ فَاجِرٍ».[٣]

ويشتدّ التوكيد بشدّة الإنكار، كما قال اللّه تعالى حكاية عن رسل عيسىٰ إذا كذبوا في المرّة الأُولى ﴿إِنَّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُون﴾[٤] في المرّة الثانية ﴿رَبُّنا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُون﴾.[٥]

ثمّ إنّه قد لايكون المخاطب منكراً لفظاً، ولكن تظهر أمارات الإنكار في عمله

---

١. نهج البلاغة، كلمة ٤٤٦.
٢. نهج البلاغة، كلمة ٧٨.
٣. نهج البلاغة الخطبة ٤٠.
٤. يس: ١٤.
٥. يس: ١٦.

فيعمل عمل المنكرين فيؤكد الكلام لذلك، كقوله عليه السلام: «أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ الدُّنْيَا قَدْ أَدْبَرَتْ وَآذَنَتْ بِوَدَاعٍ وَإِنَّ الْآخِرَةَ قَدْ أَقْبَلَتْ وَأَشْرَفَتْ بِاطِّلَاعٍ»،[١] وقوله عليه السلام: «فَإِنَّهُ وَاللَّهِ الْجِدُّ لَا اللَّعِبُ وَالْحَقُّ لَا الْكَذِبُ وَمَا هُوَ إِلَّا الْمَوْتُ أَسْمَعَ دَاعِيهِ وَأَعْجَلَ حَادِيهِ».[٢]

التنبيه الأول

للتأكيد أدوات كثيرة أشهرها «إنّ» و«لام الابتداء» و«أحرف التنبيه» و«القسم» و«نونا التأكيد» و«الحروف الزائدة كتفعّل واستفعل» -كما قيل- و«التكرير» و«قد» و«أمّا الشرطية» و«إنّما» و«اسمية الجملة» و«ضمير الفصل» و... .

أقول: نذكر هٰهنا فقرات من كلامه عليه السلام النيّر وبيانه العطر وأنت بإمكانك أن تستخرج منها ضروب التأكيد وأساليبه وأدواته، منها قوله عليه السلام: «ذِمَّتِي بِمَا أَقُولُ رَهِينَةٌ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ إِنَّ مَنْ صَرَّحَتْ لَهُ الْعِبَرُ عَمَّا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْمَثُلَاتِ حَجَزَتْهُ التَّقْوَى عَنْ تَقَحُّمِ الشُّبُهَاتِ أَلَا وَإِنَّ بَلِيَّتَكُمْ قَدْ عَادَتْ كَهَيْئَتِهَا يَوْمَ بَعَثَ اللَّهُ نَبِيَّهُ وَالَّذِي بَعَثَهُ بِالْحَقِّ لَتُبَلْبَلُنَّ بَلْبَلَةً وَلَتُغَرْبَلُنَّ غَرْبَلَةً»،[٣] فدقّق النظر في التأكيدات اللفظية والمعنوية كأنواع القسم ولام الابتداء ونون التأكيد وأداة التنبيه وإنّ وقد، وقوله عليه السلام: «أَمَا وَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ وَبَرَأَ النَّسَمَةَ لَوْلَا حُضُورُ الْحَاضِرِ وَقِيَامُ الْحُجَّةِ بِوُجُودِ النَّاصِرِ وَمَا أَخَذَ اللَّهُ عَلَى الْعُلَمَاءِ أَلَّا يُقَارُّوا عَلَى كِظَّةِ ظَالِمٍ وَلَا سَغَبِ مَظْلُومٍ لَأَلْقَيْتُ

---

١. نهج البلاغة، الخطبة ٢٨.

٢. نهج البلاغة، الخطبة ١٣٢.

٣. نهج البلاغة، الخطبة، ١٦.

حَبْلَهَا عَلَى غَارِبِهَا وَلَسَقَيْتُ آخِرَهَا بِكَأْسِ أَوَّلِهَا ...»،[١] وقوله عليه السلام: «بَلَى وَاللَّهِ لَقَدْ سَمِعُوهَا وَوَعَوْهَا وَلَكِنْ حُلِّيَتْ دُنْيَاهُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ وَرَاقَهُمْ زِبْرِجُهَا»[٢] والضمير راجع إلى الآية الشريفة: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُها لِلَّذينَ لا يُريدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلا فَساداً وَالْعاقِبَةُ لِلْمُتَّقين﴾،[٣] وقوله عليه السلام: «أَلاَ إِنَّ مَثَلَ آلِ مُحَمَّدٍ كَمَثَلِ نُجُومِ السَّمَاءِ إِذَا خَوَى نَجْمٌ طَلَعَ نَجْم».[٤]

ومن التأكيد بضمير الفصل قوله عليه السلام: «وَاعْلَمُوا أَنَّ هَذَا الْقُرْآنَ هُوَ النَّاصِحُ الَّذِي لَايَغُشُّ وَالْهَادِي الَّذِي لَايَضِلُّ وَالْمُحَدِّثُ الَّذِي لَايَكْذِب».[٥]

التنبيه الثاني

يسمّىٰ إخراج الكلام على الأضرب الثلاثة السابقة إخراجاً علىٰ مقتضىٰ ظاهر الحال، وقد يقتضي الأحوال العدول عن مقتضىٰ الظاهر، فيورد الكلام على خلافه لاعتبارات يلحظها المتكلّم.

أقول: الحاكم في ذلك ليس إلّا الذوق السليم والسليقة المستقيمة، فلايدخل ذلك تحت ضابط كلّي؛ وفي بعض ما ذكره المصنّف في المقام تأمّل بل منع، مثل ما ذكره في توجيه الآيتين الشريفتين: ﴿وَما أُبَرِّئُ نَفْسي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلاَّ ما رَحِمَ

---

١. نهج البلاغة، الخطبة ٣ وهي الخطبة الشقشقية.
٢. نهج البلاغة، الخطبة ٣.
٣. القصص: ٨٣.
٤. نهج البلاغة، الخطبة ١٠٠.
٥. نهج البلاغة، الخطبة ١٧٦.

رَبِّي﴾[١] وقوله تعالى: ﴿وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ﴾،[٢] حيث جعلهما من موارد العدول عن مقتضىٰ ظاهر الحال لمصلحة ثمّ أخذ في توجيهه، وليس كذلك بل الآيتان من موارد الجري على وفق مقتضىٰ ظاهر الحال.

ومن طريف ما جاء به في المقام ما ذكره من بعض النماذج كقوله: «كان معاويه حسن السياسة والتدبير في موضع الحلم ويشتدّ في مواضع الشدّة».[٣]

أقول: ليته راجع الأخبار والآثار النبوية حتّى يحصل له المعرفة بمقامات معاوية أكثر من ذلك؛ فقد ورد عن ابن مسعود رضي الله عنه أنّه قال: «قال النبي صلى الله عليه وآله: إذا رأيتم معاوية بن أبي سفيان يخطب على المنبر فاضربوا عنقه».[٤]

وعن أبي سعيد الخدري بعد قوله فاقتلوه «فلم نفعل ولم نفلح».

وما روي عن عبدالله بن عمر «أنّ معاوية في تابوت من النار».[٥] وغير ذلك مما ورد عن جابر بن عبدالله الأنصاري والبراء بن عازب وغيرهم، فراجع كتاب «وقعة صفّين» لنصر بن مزاحم و«قاموس الرجال» للمحقّق التستري وسائر مظانّه.

ويكفي في ذلك ما قاله عمرو بن العاص في حقّه:

---

١. يوسف: ٥٣.
٢. هود: ٣٧.
٣. النحو الواضح، ٢: ٢٩٣.
٤. أنساب الأشراف، ٥: ١٣٠.
٥. تاريخ الطبري، ١٠: ٥٨.

معاويــة الحــال لاتجهــل وعـن سـبل الحــقّ لاتعدل
نصرناك من جهلنا يابن هند على النبأ الأعظم الأفضل
وحيث رفعناك فوق الرؤوس نزلنـا إلى أسـفل الأسـفل
وكم قد سمعنا من المصطفى وصايـا مخصّصـة في عــلي

إلى أن قال:

فإن كنت فيها بلغت المنى ففي عنقي علق الجلجل[١]

المبحث الثالث: تقسيم الجملة إلىٰ الفعلية والإسمية

الجملة الفعلية موضوعة لإفادة التجدّد والحدوث في زمن معيّن.

أقول: وذلك كقول حسّان بن ثابت البكري شاعر رسول اللّٰه صلى الله عليه وآله يخاطب أمير المؤمنين عليه السلام:

فأنت الذي أعطيت إذ أنت راكع فدتك نفوس القوم يا خير راكع
بخاتمـك الميمـون يـا خير سـيّد ويا خير شـار ثـمّ يا خيـر بائع
فأنـزل فيـك اللّٰـه خيـر ولايـة وبيّنهـا في محكـمات الشرائـع[٢]

ومحلّ الشاهد قوله «أعطيت» وقوله «فأنزل» وقوله «بيّن».

وقد يخرج عن طبعها الأوّلي ويدلّ على الاستمرار، كقول الشافعي -أحد الأئمّة الأربعة-:

---

١. موسوعة الغدير، ٢: ١٧٣.

٢. الاحتجاج على أهل اللجاج، ١: ١١٨.

يـا آل بيت رسـول اللّٰه حبّكم فرض من اللّٰه في القرآن أنزله
كفاكم من عظيم الفخر إنّكم من لم يصلّ عليكم لا صلاة له[١]

ومحلّ الشاهد هو البيت الثاني، فإنّه حكاية حال مستمرّ.

وأمّا الجملة الإسمية فتدلّ على ثبوت شيء لشيء من دون دلالة على التجدّد والاستمرار، وفهم أحدهما يحتاج إلى قرينة كاقتضاء طبع المحمول.

فإن قلت: «زيد قائم» فهم منه الحدوث لأنّه مقتضى طبع القيام، أمّا إن قلت: «زيد أبيض أو أسود» فيفهم منه الدوام لأنّه مقتضى لون البشرة، ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾،[٢] وقول الشاعر:

لا يألف الدرهم المضروب صرتنا لكن يمرّ عليها وهو منطلق[٣]

نعم لو كان المحمول في الجملة الإسمية فعلاً كقولك: «زيد يقوم» يدلّ على التجدّد والحدوث، والسرّ فيه أنّ المحمول فيها جملة فعلية وهي تقتضي التجدّد والحدوث.

---

١. الفوائد لابن القيّم: ١٠٤.

٢. القلم: ٤.

٣. جواهر البلاغة، ١: ٦٣.

الباب الثاني

حقيقة الإنشاء

وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول: الأمر

المبحث الثاني: النهى

المبحث الثالث: الاستفهام

المبحث الرابع: التمنّي

المبحث الخامس: النداء

حقيقة الإنشاء

الإنشاء لغة الإيجاد، واصطلاحاً ما لايحتمل الصدق والكذب لذاته.

أقول: التعريف بذلك ليس تعريفاً للحقيقة والماهية بل تعريف بالأثر، والصحيح أنّ مدلول الإنشاء إيجادي في مقابل مدلول الخبر الذي هو حكائي يحكي عن واقع موجود؛ وأشار إلى ما ذكرنا بقوله: «وإن شئت فقل في تعريف الإنشاء هو ما لايحصل مضمونه إلّا إذا تلفّظت به، وينقسم إلى نوعين: إنشاء طلبي وغير طلبي، فالثاني كصيغ المدح والذمّ والعقود والقسم والتعجّب والترجّي».

وفي كون «ربّ» و«كم» الخبرية للإنشاء -كما قال- تأمّل بل منع، لأنّها إمّا للتكثير أم التقليل، والدلالة على القلّة والكثرة ليس من الإنشاء ويقبل التصديق والتكذيب.

والمدح كقوله عليه السلام: «كَمْ مِنْ صَائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ صِيَامِهِ إِلَّا الْجُوعُ وَ الظَّمَأُ وَكَمْ مِنْ قَائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ قِيَامِهِ إِلَّا السَّهَرُ وَالْعَنَاءُ حَبَّذَا نَوْمُ الْأَكْيَاسِ وَإِفْطَارُهُم»[1] وكقوله عليه السلام في كتابه إلى عثمان بن حنيف: «وَنِعْمَ الْحَكَمُ اللَّهُ»[2] وكقوله عليه السلام: «نِعْمَ

١. نهج البلاغة، كلمة ١٤٥.

٢. نهج البلاغة، الكتاب ٤٥.

الطِّيبُ الْمِسْكُ»[١] وكقوله عليه السلام: «نِعْمَ الْقَرِينُ الرِّضىٰ».[٢]

والذمّ كقوله عليه السلام في كتابه لمالك الأشتر: «أَحَقَّ مَنْ سَاءَ ظَنُّكَ بِهِ لَمَنْ سَاءَ بَلاَؤُكَ عِنْدَهُ»،[٣] وفي كتابه عليه السلام لابنه الحسن عليه السلام: «بِئْسَ الطَّعَامُ الْحَرَام»[٤] وكقوله عليه السلام: «بِئْسَ الزَّادُ إِلَى الْمَعَادِ الْعُدْوَانُ عَلَى الْعِبَاد».[٥]

وفي أبيات عمرو بن العاص أرسلها إلى معاوية:

وقال فمن كنت مولىٰ له ... فهذا له اليوم نعم الولي

فوال وليّه يا ذا الجلا ... ل وعادمعادي أخي المرسل[٦]

وأمّا القسم فقد مرّت أمثلته كثيراً.

وأمّا التعجّب فكقوله عليه السلام: «سُبْحَانَكَ مَا أَعْظَمَ شَأْنَكَ سُبْحَانَكَ مَا أَعْظَمَ مَا نَرَى مِنْ خَلْقِكَ وَ مَا أَصْغَرَ كُلَّ عَظِيمَةٍ فِي جَنْبِ قُدْرَتِكَ وَمَا أَهْوَلَ مَا نَرَى مِنْ مَلَكُوتِكَ وَمَا أَحْقَرَ ذَلِكَ فِيمَا غَابَ عَنَّا مِنْ سُلْطَانِكَ وَمَا أَسْبَغَ نِعَمَكَ فِي الدُّنْيَا وَمَا أَصْغَرَهَا فِي نِعَمِ الْآخِرَة»،[٧] فإنّ ذلك كلّه صيغ التعجّب كما هو واضح.

---

١. نهج البلاغة، كلمة ٣٩٧.

٢. نهج البلاغة، كلمة ٤.

٣. نهج البلاغة، الكتاب ٥٣.

٤. نهج البلاغة، الكتاب ٣١.

٥. نهج البلاغة، كلمة ٢٢١.

٦. موسوعة الغدير: ٠: ٢٤١..

٧. نهج البلاغة، الخطبة ١٠٩.

والترجّي فكقوله تعالىٰ: ﴿لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا﴾.[١]

نعم الترجّي منه تعالىٰ صرف إنشاء له وليس على حقيقته، لأنّه يتقوّم بالجهل بالمستقبل وهو مستحيل في حقّه تعالىٰ.

وأمّا قوله عليه السلام: «وَلَعَلَّ بِالْحِجَازِ أَوْ الْيَمَامَةِ مَنْ لَا طَمَعَ لَهُ فِي الْقُرْصِ وَلَا عَهْدَ لَهُ بِالشِّبَعِ»[٢] فليس أيضاً على حقيقته، إذ لا معنىٰ لتعلّق الترجّي بوجود المعتازين بل هو صرف احتمال؛ فالأولىٰ التمثيل بقوله عليه السلام في أمر الحكمية وقبوله للتحكيم «وَلَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يُصْلِحَ فِي هَذِهِ الْهُدْنَةِ أَمْرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ وَلَاتُؤْخَذَ بِأَكْظَامِهَا»،[٣] ومنها العقود كعقد البيع والإجارة.

وأمّا القسم الأول وهو الإنشاء الطلبي فقالوا له مصاديق خمسة: الأمر والنهي والاستفهام والتمنّي والنداء.

المبحث الأول: الأمر

الأمر هو طلب حصول الفعل من المخاطب على وجه الاستعلاء.

أقول: ما أفاده يصحّ بتوضيح وهو أنّ مدلول الأمر مصداق من الطلب الإنشائي ويوجد بالأمر لا مفهوم الطلب المحكي بالأمر. ويشترط في صدقه أن يكون على وجه الاستعلاء، وله أربع صيغ: «فعل الأمر» و«المضارع المجزوم بلام الأمر» و«اسم

---

١. الطلاق: ١.

٢. نهج البلاغة، الكتاب ٤٥.

٣. نهج البلاغة، الخطبة ١٢٥

فعل الأمر» و«المصدر النائب عن فعل الأمر» كقولهم «سعياً في سبيل الخير» وكقول دعبل الخزاعي:

سعياً لبيعة أحمد ووصيّه أعنى الإمام وليّنا المحسودا[1]

والتقدير اسع سعياً، وما ذكره مبني على عدم مراعاة المقدّر وإلّا فالطلب مستفاد منه.

ثمّ إنّ هناك قسم خامس متوفّر في الروايات الفقهية، كقولهم عليهم السلام «يتوضّأ» أو «يغتسل» أو «يعيد صلاته» في مقام تعيين الوظيفة الشرعية، فهو إخبار بداع الإنشاء، ويستفاد منه الطلب عرفاً ويحمل على الوجوب لولا القرينة على الاستحباب. وأمّا أمثلته فكثيرة جدّاً نكتفي منها بنماذج:

منها ما ورد في غديرية حسّان شاعر رسول الله صلى الله عليه وآله:

يناديهم يوم الغدير نبيّهم بخمّ واسمع بالنبي مناديا

إلى أن قال:

فقال له قم يا علي فإنّني رضيتك من بعدي إماماً وهاديا

فمن كنت مولاه فهذا وليّه فكونوا له أنصار صدق مواليا[2]

هذا كلّه إذا اشتمل على جهة الاستعلاء، وأمّا إذا لم يكن كذلك فهو إمّا دعاء إذا وقع علىٰ وجه السؤال والتخضّع كما في قوله تعالى: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ

---

١. مناقب آل أبي طالب عليهم السلام، ٢: ٢٨..

٢. شواهد التنزيل، ١: ٢٥٦.

نِعْمَتَكَ الَّتي أَنْعَمْتَ عَلَي﴾[١] وكقوله صلى الله عليه وآله في يوم غدير خمّ: «اللّٰهُمَّ وَالِ مَنْ وَالاهُ وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ وَانْصُرْ مَنْ نَصَرَهُ وَاخْذُلْ مَنْ خَذَلَهُ».[٢]

ومن جملة أدعية رسول الله صلى الله عليه وآله المشهورة والمستجابة بالعيان دعاؤه صلى الله عليه وآله في حديث الطير المشويّ كما في صحيح الترمذي بسنده عن السدّي عن أنس بن مالك قال: «كَانَ عِنْدَ النَّبِيّ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَ[آلِهِ] وَسَلَّمَ طَيْرٌ فَقَالَ اللّٰهُمّ ائْتِنِي بِأَحَبِّ خَلْقِكَ إِلَيْكَ يَأْكُلُ مَعِي هَذَا الطَّيْرَ فَجَاءَ عَلِيٌّ فَأَكَلَ مَعَهُ».[٣] ورواه مع أدنىٰ اختلاف في الضمائم كثير من مشايخ الحديث كالنسائي في خصائصه والمحب الطبري في ذخائر العقبىٰ والترمذي وغيرهم.[٤]

وإمّا التماس كما إذا وقع على جهة المساواة كقولك: «أعطني الكتاب أيّها الأخ».

تبصرة

قد يكون الأمر -ولو كان صادراًمن العالي- بأغراض غير الطلب الحقيقي كالإرشاد إلى حسن العمل فلا يزيد على الإخبار بحسنه، ويسمّىٰ ذلك بالأمر الإرشادي كأوامر الطبيب بشرب الدواء.

وقد يكون بغرض التهديد كقوله تعالى: ﴿اعْمَلُوا ما شِئْتُمْ إِنَّهُ بِما تَعْمَلُونَ

١. النمل: ١٩.
٢. الأمالي (للصدوق): ٣٤٧.
٣. سنن الترمذي، ٥: ٦٣٦.
٤. راجع فضائل الخمسة، ٢: ٢٣٠.

بَصير﴾،[١] أو التعجيز كقوله تعالى: ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ﴾،[٢] أو الإهانة كقوله تعالى: ﴿قُلْ كُونُوا حِجارَةً أَوْ حَديداً﴾[٣] أو غير ذلك.

وعندنا المستعمل فيه في الجميع هو الطلب الإنشائي، لكن لا بداع الطلب حقيقة بل بما ذكر من الدواعي، فلايصحّ أن يقال في هذه الموارد إنّ المولىٰ أمر بهذه الأُمور لانصرافه إلىٰ الأمر الحقيقي الصادر بداع الطلب الجدّي، نعم يصحّ أن يقال: أنشأ المولىٰ أمراً بكذا بداع التعجيز أو التهديد أو غير ذلك، وإليك بعض الأمثلة:

فللإرشاد قول السيّد الحميري:

يا بايع الدين بدنياه ليس بهذا أمر اللّٰه
فارجع إلى اللّٰه وألق الهوىٰ إنّ الهوىٰ في النار مأواه
من أين أبغضت على الرضىٰ وأحمد قد كان يرضاه[٤]

ومنها امتناع المأمور به لامتناع شرطه، كقول الشافعي:

إن كان رفضاً حبّ آل محمّد فليشهد الثقلان أنّي رافضي[٥]

ومنها التفجّع والتحسّر، كقول دعبل الخزاعي:

---

١. فصّلت: ٤٠.

٢. البقرة: ٢٣.

٣. الإسراء: ٥٠.

٤. مناقب آل أبى طالب (لابن شهر آشوب)٣: ٣٣.

٥. مناقب الشافعي للبيهقي، ٢: ٧١.

قفا نسأل الدار التي خفّ أهلها متىٰ عهدها بالصوم والصلوات
وهم أهل ميراث النبي إذا اعتزوا وهم خير سادات وخير حماة[١]

يشير بذلك إلى قوله:

ديـار عـلي والحسـين وجعفر وحمزة والسجّاد ذي الثفنات[٢]

وأصل قفا قفن والنون للتأكيد.

ومن جملة الموارد التي أنشأ الأمر لا بداع الطلب الجدّي بل بدواع أُخرى قول الشافعي وقد تقدّم بيت منه:

يا راكباً قف بالمحصّب من منىٰ واهتف بقاعد خيفها والناهض
سحراً إذا فاض الحجيج إلىٰ منىٰ دفعاً كملتطم الفرات الفائض
إن كان رفضاً حبّ آل محمّد فليشهد الثقلان أنّي رافضي[٣]

موارد إرادة الطلب بداع الجدّ من الأمر

قوله عليه السلام: «كُونَا لِلظَّالِمِ خَصْماً وَلِلْمَظْلُومِ عَوْنا»،[٤] وقوله عليه السلام: «خَالِطُوا النَّاسَ مُخَالَطَةً إِنْ مِتُّمْ مَعَهَا بَكَوْا عَلَيْكُمْ وَإِنْ عِشْتُمْ حَنُّوا إِلَيْكُم»،[٥] وقوله عليه السلام: «اعْقِلُوا

---

١. كشف الغمّة، ٢: ٣٢١.
٢. كشف الغمّة، ٢: ٢٦٣.
٣. مناقب الشافعي للبيهقي، ٢: ٧١.
٤. نهج البلاغة، الكتاب، ٤٧.
٥. نهج البلاغة، كلمة ١٠.

الْخَبَرَ إِذَا سَمِعْتُمُوهُ عَقْلَ رِعَايَةٍ لَا عَقْلَ رِوَايَةٍ فَإِنَّ رُوَاةَ الْعِلْمِ كَثِيرٌ وَرُعَاتَهُ قَلِيل»،[١] وقوله عليه السلام: «اسْتَنْزِلُوا الرِّزْقَ بِالصَّدَقَة»،[٢] وكقوله عليه السلام: «كُنْ فِي الْفِتْنَةِ كَابْنِ اللَّبُونِ لَا ظَهْرٌ فَيُرْكَبَ وَلَا ضَرْعٌ فَيُحْلَب»،[٣] وقوله عليه السلام: «اعْمَلْ لِدُنْيَاكَ كَأَنَّكَ تَعِيشُ أَبَداً وَاعْمَلْ لِآخِرَتِكَ كَأَنَّكَ تَمُوتُ غَداً»،[٤] وكقوله عليه السلام في كتابه لولده الحسن عليه السلام: «أَحْيِ قَلْبَكَ بِالْمَوْعِظَةِ وَأَمِتْهُ بِالزَّهَادَةِ وَقَوِّهِ بِالْيَقِينِ وَنَوِّرْهُ بِالْحِكْمَةِ وَذَلِّلْهُ بِذِكْرِ الْمَوْتِ وَقَرِّرْهُ بِالْفَنَاءِ وَبَصِّرْهُ فَجَائِعَ الدُّنْيَا وَحَذِّرْهُ صَوْلَةَ الدَّهْرِ وَفُحْشَ تَقَلُّبِ اللَّيَالِي وَالْأَيَّامِ وَاعْرِضْ عَلَيْهِ أَخْبَارَ الْمَاضِين».[١]

تنبيه

إلى هنا اتّضح ظهور الأمر في الطلب المولوي الجدّي -أي كونه صادراً بداع الجدّ- دون ما أشرنا إليها من الدواعي، وأمّا كونه بمعنى الوجوب أو الاستحباب فذلك بحث آخر يطلب في الأصول، وقد حقّقناه في كتابنا تحرير الأُصول.

المبحث الثاني: النهي

قال: «النهي هو طلب الكفّ عن الفعل على وجه الاستعلاء».

---

١. نهج البلاغة، كلمة ٩٨.

٢. نهج البلاغة، كلمة ١٣٧.

٣. نهج البلاغة، كلمة ١.

٤. كفاية الأثر: ٢٢٨.

١. نهج البلاغة، الكتاب ٣١.

أقول: هكذا قيل، لكنّ التحقيق أنّه بمعنى الزجر عن الفعل؛ ولو تنزّلنا عن ذلك وسلّمنا أنّه بمعنى الطلب فهل هو طلب الترك أو طلب الكفّ؟ اختار الثاني، والصحيح هو الأول، وما تشبّثوا لإثباته ككون الترك أمراً عدمياً أزلياً فلايمكن تعلّق التكليف به وأمثال ذلك سخيف جدّاً.

والفرق بين الكفّ والترك أنّ الترك بمعنىٰ محض انتفاء الفعل والكفّ بمعنىٰ الإمساك عن الفعل مع وجود المقتضي، ولو قلنا به لزم منه عدم حصول الامتثال في النواهي الشرعية مع تركها إذا لم يكن في نفسه راغباً إليها، كمن يترك الخمر لأنّه لايشتهيه لعدم صدق الكفّ حينئذ، أو أمسك عن المفطرات في نهار شهر رمضان لعدم رغبته إلى المفطر لمنافاته لوجاهته العرفية أو لعدم الميل إلى ارتكابه، وهذا كما ترىٰ فقه جديد.

وأمّا مثال النهي فكقوله عليه السلام : «لَاتَكُنْ مِمَّنْ يَرْجُو الْآخِرَةَ بِغَيْرِ عَمَلٍ وَيُرَجِّي التَّوْبَةَ بِطُولِ الْأَمَل»،[1] وكالبيت المعروف:

لاتكن للعيش مجروح الفؤاد إنّما الرزق على ربّ العباد

وكقوله عليه السلام لولده الحسن عليه السلام : «لَاتَكُنْ عَبْدَ غَيْرِكَ وَقَدْ جَعَلَكَ اللَّهُ حُرّا».[2]

وقد ذكر له معان غير طلب الكفّ (الترك) كالدوام وبيان العاقبة والتيئيس والتمنّي والتهديد والكراهة والتوبيخ والائتناس والتحقير، وكلّ ذلك من الخلط

---

١. نهج البلاغة، كلمة ١٥٠

٢. نهج البلاغة، الكتاب ٣١.

بين دواعي الاستعمال والمستعمل فيه، فإنّ ما ذكر كلّها من قبيل الدواعي، وأمّا المستعمل فيه فهو نفس طلب الترك (الكفّ).

وبالجملة المستعمل فيه في الجميع معنىً واحد وهو طلب الترك أو الكفّ على حدّ تعبيرهم، لكنّ الدواعي مختلفة، فقد يكون الداعي إليه إفادة الجدّ في المنع والردع، وقد يكون أمراً آخراً من الأُمور المذكورة؛ وأمّا كونه للتحريم أو التنزيه (الكراهة) فيطلب من الأُصول.

وأمّا المثال، فقد ذكر لكلّ مثال، ويحتمل أن يكون من التوبيخ أو التحقير قول عمرو بن العاص في كتابه لمعاوية:

معاوية الحال لاتجهل وعن سبل الحق لاتعدل

ثمّ قال:

نصرناك من جهلنا يابن هند على النبأ الأعظم الأفضل
وحيث رفعناك فوق الرؤوس نزلنا إلى أسفل الأسفل[1]

المبحث الثالث: الاستفهام

الاستفهام عبارة عن طلب العلم بشيء لم يكن معلوماً من قبل كما قيل.

أقول: الموضوع له في باب الاستفهام هو الاستفهام الإنشائي، فينشأ طلب الفهم من غيره ولو كان عالماً ومتجاهلاً به، ولولا القرينة المعيّنة ينصرف إلى الاستفهام الحقيقي الصادر بداع الجدّ لجهله واقعاً بحقيقة الحال، وأمّا مع القرينة فلا مانع من

١. موسوعة الغدير، ٢: ١٧٣.

استعماله بدواع أُخر.

وللاستفهام أدوات وهي «الهمزة» و«هل» و«ما» و«من» و«متىٰ» و«أيّان» و«كيف» و«أين» و«أنّىٰ» و«كم» و«أيّ».

فـ«الهمزة» كقول دعبل الخزاعي في القصيدة التائية:

أ لم تر أنّي مذ ثلاثين حجّة أروح وأغدو دائم الحسرات

أرىٰ فيئهم في غيره متقسّما وأيديهم من فيئهم صفرات[١]

ومحلّ الشاهد قوله «أ لم تر»، فإنّ الهمزة للاستفهام.

وكقوله عليه السلام: «أَ صِلَةٌ أَمْ زَكَاةٌ أَمْ صَدَقَةٌ فَذَلِكَ مُحَرَّمٌ عَلَيْنَا أَهْلَ الْبَيْتِ فَقَالَ لَا ذَا وَلَا ذَاكَ وَلَكِنَّهَا هَدِيَّةٌ فَقُلْتُ هَبِلَتْكَ الْهَبُولُ أَ عَنْ دِينِ اللَّهِ أَتَيْتَنِي لِتَخْدَعَنِي».[٢]

و«هل»، كقوله عليه السلام: «لِلَّهِ أَبُوهُمْ وَهَلْ أَحَدٌ مِنْهُمْ أَشَدُّ لَهَا مِرَاساً وَأَقْدَمُ فِيهَا مَقَاماً مِنِّي لَقَدْ نَهَضْتُ فِيهَا وَمَا بَلَغْتُ الْعِشْرِينَ وَهَا أَنَا ذَا قَدْ ذَرَّفْتُ عَلَى السِّتِّينَ وَلَكِنْ لَا رَأْيَ لِمَنْ لَا يُطَاعُ».[٣]

و«ما» كقول دعبل الخزاعي:

وما قيل أصحاب السقيفة جهرة بدعوىٰ تراث في الضلال بنات

ولو قلّدوا الموصى إليه أُمورها لزمّت بمأمون على العثرات

---

١. كشف الغمّة، ٢: ٣٢٦.

٢. نهج البلاغة، الخطبة ٢٢٤.

٣. نهج البلاغة، الخطبة ٢٧.

أخي خاتم الرسل المصفّى من القذى ومفـترس الأبطـال في الغمـرات[١]

ومحلّ الشاهد قوله «وما قيل» وهو لغة في القول.

وكقول الشافعي:

إلام ألام وحتّـــىٰ متـــىٰ أعاتب في حبّ هذا الفتىٰ

فهـل زوّجت فاطـم غيره وفي غيره هل أتىٰ هل أتىٰ[٢]

ومحلّ الشاهد قوله «إلام» والأصل إلىٰ ما.

و«من» كقول كافي الكفات:

مـــن كمـــولاي عـــلي في الوغى يحمي لظاها

مـــن لـــه في كلّ يـــوم وقفـــات لاتضاهـــىٰ[٣]

وكقول السيّد الحميري:

من ذا الذي أحمد من بينهم يـوم غديـر الخـمّ نـاداه

أقامـه مـن بـين أصحابه وهـــم حواليـــه فســمّاه

هـذا عـلي بـن أبي طالب مولىٰ لمن قد كنت مولاه[٤]

و«متىٰ» في قوله عليه السلام: «وَمَتَى كُنْتُمْ يَا مُعَاوِيَةُ سَاسَةَ الرَّعِيَّةِ وَوُلَاةَ أَمْرِ الْأُمَّةِ بِغَيْرِ

---

١. كشف الغمّة، ٣: ٤٤٠.

٢. روح المعاني، ١٥: ١٧٤.

٣. ادب الطفّ، ٢: ١٤٠.

٤. مناقب آل أبي طالب، ٣: ٣٣.

قَدَمٍ سَابِقٍ وَلَا شَرَفٍ بَاسِقٍ»،(١) وقوله عليه السلام: «مَتَى اعْتَرَضَ الرَّيْبُ فِيَّ مَعَ الْأَوَّلِ مِنْهُمْ حَتَّى صِرْتُ أُقْرَنُ إِلَى هَذِهِ النَّظَائِرِ».(٢)

وقول الشاعر:

إلام ألام وحتّى متى أعاتب في حبّ هذا الفتى(٣)

وقد سبق.

و«أيّان» كقوله تعالى: ﴿بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسانُ لِيَفْجُرَ أَمامَهُ * يَسْئَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيامَةِ﴾،(٤) وكقوله تعالى: ﴿يَسْئَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْساها * فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْراها * إِلى رَبِّكَ مُنْتَهاها﴾.(٥)

و«كيف» كقوله عليه السلام: «وَكَيْفَ تَعْمَهُونَ وَبَيْنَكُمْ عِتْرَةُ نَبِيِّكُمْ وَهُمْ أَزِمَّةُ الْحَقِّ وَأَعْلَامُ الدِّينِ وَأَلْسِنَةُ الصِّدْقِ»،(٦) وكقوله عليه السلام: «بِنَا اهْتَدَيْتُمْ فِي الظَّلْمَاءِ وَتَسَنَّمْتُمْ ذُرْوَةَ الْعَلْيَاءِ وَبِنَا أَفْجَرْتُمْ عَنِ السِّرَارِ وُقِرَ سَمْعٌ لَمْ يَفْقَهِ الْوَاعِيَةَ وَكَيْفَ يُرَاعِي النَّبْأَةَ مَنْ أَصَمَّتْهُ الصَّيْحَةُ».(٧)

وكقول جار الله الزمخشري:

---

١. نهج البلاغة، الكتاب ١٠.
٢. نهج البلاغة، الخطبة ٣ وهي الشقشقية.
٣. روح المعاني، ١٥: ١٧٤.
٤. القيامة: ٥-٦.
٥. النازعات: ٤٢-٤٤.
٦. نهج البلاغة، الخطبة ٨٧.
٧. نهج البلاغة، الخطبة ٤.

فاز كلب بحبّ أصحاب كهف كيف أشقىٰ بحبّ آل النبي[١]

و«أين» كقوله عليه السلام: «أَيْنَ الْعُقُولُ الْمُسْتَصْبِحَةُ بِمَصَابِيحِ الْهُدَى وَالْأَبْصَارُ اللَّامِحَةُ إِلَى مَنَارِ التَّقْوَى أَيْنَ الْقُلُوبُ الَّتِي وُهِبَتْ لِلَّهِ وَعُوقِدَتْ عَلَى طَاعَةِ اللَّه»،[٢] وكقوله عليه السلام: «أَيْنَ الَّذِينَ عُمِّرُوا فَنَعِمُوا وَعُلِّمُوا فَفَهِمُوا»،[٣] وكقوله عليه السلام: «أَيْنَ الْقَوْمُ الَّذِينَ دُعُوا إِلَى الْإِسْلَامِ فَقَبِلُوهُ وَقَرَءُوا الْقُرْآنَ فَأَحْكَمُوه»،[٤] وكقوله عجّل الله تعالى فرجه الشريف في دعاء الندبة المأثور عن الإمام الصادق عليه السلام وعن الناحية المقدّسة بواسطة أحد نوّابه عليه السلام: «أَيْنَ السَّبِيلُ بَعْدَ السَّبِيلِ أَيْنَ الْخِيَرَةُ بَعْدَ الْخِيَرَةِ وَأَيْنَ الشُّمُوسُ الطَّالِعَةُ أَيْنَ الْأَقْمَارُ الْمُنِيرَةُ أَيْنَ الْأَنْجُمُ الزَّاهِرَةُ أَيْنَ أَعْلَامُ الدِّينِ وَقَوَاعِدُ الْعِلْمِ أَيْنَ بَقِيَّةُ اللَّهِ الَّتِي لَا تَخْلُو مِنَ الْعِتْرَةِ الطَّاهِرَةِ أَيْنَ الْمُعَدُّ لِقَطْعِ دَابِرِ الظَّلَمَة ...».[٥]

و«أنّىٰ» كقوله عليه السلام: «فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ وَأَنَّى تُؤْفَكُونَ وَالْأَعْلَامُ قَائِمَةٌ وَالْآيَاتُ وَاضِحَةٌ وَالْمَنَارُ مَنْصُوبَة»،[٦] وقوله عليه السلام: «خُذِ الْحِكْمَةَ أَنَّى كَانَتْ فَإِنَّ الْحِكْمَةَ تَكُونُ فِي صَدْرِ الْمُنَافِقِ فَتَلَجْلَجُ فِي صَدْرِهِ حَتَّى تَخْرُجَ فَتَسْكُنَ إِلَى صَوَاحِبِهَا فِي صَدْرِ الْمُؤْمِن».[٧]

---

١. كشف الأسرار، ١: ٣٦٩.

٢. نهج البلاغة، الخطبة ١٤٤.

٣. نهج البلاغة، الخطبة ٨٣.

٤. نهج البلاغة، الخطبة، ١٢١.

٥. دعاء الندبة.

٦. نهج البلاغة، الخطبة ٨٧.

٧. نهج البلاغة، كلمة ٧٩.

قوله عليه السلام «تلجلج» أي تضطرب.

و«كم» كقوله عليه السلام: «اللَّهُمَّ بَلَى لَاتَخْلُو الْأَرْضُ مِنْ قَائِمٍ لِلَّهِ بِحُجَّةٍ إِمَّا ظَاهِراً مَشْهُوراً وَإِمَّا خَائِفاً مَغْمُوراً لِئَلَّا تَبْطُلَ حُجَجُ اللَّهِ وَبَيِّنَاتُهُ وَكَمْ ذَا وَأَيْنَ أُولَئِكَ أُولَئِكَ وَاللَّهِ الْأَقَلُّونَ عَدَداً وَالْأَعْظَمُونَ عِنْدَ اللَّهِ قَدْرا».(١)

أقول: وكلامه هذا ناظر إلى بقيّة اللّه في الأرضين عجّل الله تعالى فرجه الشريف.

وكقول ابن الجوزي الحنبلي:

أهوىٰ عليّاً وأيماني محبّته ... كم مشرك دمه من سيفه وكفا

إن كنت ويحك لم تسمع فضائله ... فاسمع مناقبه من هل أتىٰ وكفىٰ(٢)

وكقول كافي الكفات:

وكم خبر في خيبر قد رويتم ... ولكنّكم مثل النعام تشرّدوا(٣)

وكقوله:

كم باسل قد ردّه وعليه من ... دمه رداء أحمر لم يصقل

كم ضربة من كفّه في قرنه ... قد خيل جرى دماؤها من جدول(٤)

و«أيّ» كقول السيّد رضا الهندي:

---

١. نهج البلاغة، كلمة ١٤٨.

٢. شواهد التنزيل، ٢: ٤١٤.

٣. مناقب آل أبي طالب، ٣: ١١٦.

٤. ادب الطفّ ٢: ١٣٦.

أيّ عيد مثل هذا اليوم فينا رضىٰ اللّٰه به الإسلام دينا
بلّغ الهادي به ما أنزل اللّٰه في شأن أمير المؤمنينا

إلى أن يقول:

قد أطعناه يقيناً أنّه في غد من لهب النار يقينا
ويميناً بهداه برّة إنّه تمنع المولى بها من أن يمينا[1]

تنبيه

قد يكون الاستفهام عن أمر تصوّري كتعيين فرد خاصّ من بين أفراد بعد العلم بثبوت أصل النسبة، وقد يكون عن أمر تصديقي وهو أصل ثبوت النسبة.

فإن كان من القسم الأول دخل «أم» علىٰ معادل المستفهم عنه غالباً كما تقول: «أ زيد قائم أم عمرو» وجوابه تعيين زيد أو عمرو، و«أم» هذه تسمّى بالمتّصلة؛ وهي مقابل أم المنقطعة التي بمعنى الإضراب والإعراض كـ«بل».

وإن كان من القسم الثاني لم يكن معه مجال لذكر «أم»، لأنّ السؤال عن أصل ثبوت النسبة فلا عدل له، بخلاف ما إذا علم أصلها وتردّد أطرافها.

ثمّ إنّهم قالوا: إنّ أدوات الاستفهام مختلفة، فمنها ما يكون مشتركاً بين التصوّر والتصديق وهو «الهمزة»، ومنها ما يكون مختصّاً بطلب التصديق وهو «هل»، ومنها ما يكون مختصّاً بطلب التصوّر وهو ماعداهما.

---

١. ديوان السيّد رضا الهندي: ٣٢.

أقول: كلّ ما اُفيد صحيح متين، إلّا إطلاق كلامهم في عدم جواز مجيء «أم» في الاستفهام عن التصديق، لجواز استعماله فيما إذا كان العدل نقيض المستفهم عنه، فلا إشكال في أن يقال: «هل زيد قائم أم لا» ولايخرج بذلك عن الاستفهام عن التصديق ولا عن كون أم متّصلة، بل السؤال فيه عن ثبوت النسبة فقط، وبما أنّ السؤال والاستفهام متقوّم بالترديد والترديد محتاج إلىٰ طرفين أو أطراف، فلامحالة الترديد في ثبوت النسبة معناه احتمال وعدمه والاستفهام المتعلّق بأحد النقيضين استفهام عن الآخر قهراً، سواء كان مذكوراً لفظاً أم مسكوتاً عنه؛ فمعنىٰ قولك: «هل زيد قائم» هل زيد قائم أم لا، فذكره جائز كجواز حذفه.

نعم إن قلت: «هل زيد قائم أم عمرو» كان «أم» منقطعة وكان معناه الإعراض عن السؤال عن قيام زيد وإبطاله والسؤال عن قيام عمرو، وأين هذا من قولك «هل زيد قائم أم لا» فإنّه متمّم للسؤال الأول وليس بناقض له.

ولنرجع إلى أصل المطلب؛ قلنا إنّ الهمزة تستعمل في طلب التصور والتصديق.

والأول كقول الإمام عليه السلام في المثال السابق «أَ صِلَةٌ أَمْ زَكَاةٌ أَمْ صَدَقَة».[١]

والثاني كقول دعبل:

ألم تـر أنّي مـذ ثلاثين حجّة   أروح وأغدو دائم الحسرات[٢]

وقلنا أنّ «هل» تستعمل في طلب التصديق خاصّة، ومثاله ما تقدّم من

١. نهج البلاغة، الخطبة ٢٢٤.

٢. كشف الغمّة، ٢: ٣٢٦.

قوله عليه السلام: «وَهَلْ أَحَدٌ مِنْهُمْ أَشَدُّ لَهَا (الحرب) مِرَاسا»،[١] فإنّه استفهام إنكاري عن ثبوت النسبة بين أشدّية الممارسة في الحرب لغير الإمام بالقياس إلى الإمام أمير المؤمنين عليه السلام.

وأمّا سائر الأدوات فالاستفهام بها عن التعيين لا عن أصل النسبة هذا.

تنبيه آخر

قالوا إنّ «هل» نوعان: بسيطة ومركبة؛ فالبسيطة هي التي يستفهم بها عن وجود شيء في نفسه أو عدم وجوده، نحو «هل العنقاء موجودة؟». والمركّبة هي التي يستفهم بها عن وجود شيء لشيء أم عدم وجوده له، نحو «هل العنقاء يبيض أم لا؟» و«هل العنقاء يفرخ أو لا؟»

وإذا انتهىٰ الكلام إلى هذا المقام فلا بأس بتتميمه وتكميله فنقول:

إنّ هذا التنويع والتسمية محلّه العلوم العقلية كالمنطق والفلسفة ولا مجال ولا فائدة له في العلوم الأدبية، والسبب في انتقاله إليها ظاهراً شدّة اُنس الباحثين في هذا الفنّ بتلك الاصطلاحات وحرصهم علىٰ إلقائها وتكرارها، ومن اولٰئك الأعلام المحقّق التفتازاني.

قال الحكيم السبزواري في منطق منظومته:

اُسّ المطالب ثلاثة علم مطلب ما مطلب هل مطلب لم[٢]

---

١. نهج البلاغة، الخطبة ٢٧.

٢. شرح المنظومة ١: ١٨٣.

وفي الشرح ذكر لـ «ما» قسمين: الشارحة التي يطلب بها شرح الإسم وتعريف اللفظ، والحقيقية وهي ما يطلب بها حقيقة الذات وماهيّته بالدقّة.

وذكر لـ «هل» أيضاً قسمين: البسيطة التي يطلب بها وجود الماهية في الخارج، والمركبة وهي ما يطلب بها اتّصافه بالصفات الزائدة على ذاته، وقال: إنّ ترتيب السؤال الابتداء بـ «ما الشارحة» ثمّ بـ «هل البسيطة» ثمّ بـ «ما الحقيقية» ثمّ بـ «هل المركّبة».

كمن يسمع لفظ «الأسد» فيسأل بـ «ما الشارحة» ويقول: «ما الأسد؟» فيقال في جوابه بما يقرّب المعنىٰ الموضوع له إلى الذهن كقولهم: «حيوان قويّ بالصورة الفلانية»؛ ثمّ بـ «هل البسيطة» ويقول: «هل هو موجود في الخارج؟» فيقال له: «نعم»؛ ثمّ يسأل بـ «ما الحقيقية» عن كنه ذاته فيقول: «ما هو؟» فيجاب: «أنّه حيوان مفترس»، فيؤتىٰ حينئذ بالجنس والفصل أو نظيرهما؛ ثمّ يسأل «هل هو ولود أم لا؟» فيجاب: «نعم».

وبينهم في مطلب ما الشارحة والحقيقية خلاف في الاصطلاح، ليس هنا محلّ إيراده فيطلب في العلوم العقلية.

وأمّا مطلب «لم» فهو سؤال عن علّة اتّصاف الذات بصفة، هذا تمام الكلام فيما يرجع إلى هل.

وأمّا ماعدا الهمزة وهل، فـ «مِن» و«ما» موضوعتان للاستفهام عن الأشياء الخارجية مع تفاوت وهو أنّ «مَن» خاصّ بالعقلاء غالباً كقوله:

مــن كمــولاي عـــلي   في الوغىٰ يحمي لظاها[١]

وقد تقدّم.

و«ما» خاصّ بغير العقلاء غالباً على أنواعه وأشكاله المختلفة.

و«متىٰ» و«أيّان» موضوعتان للاستفهام عن الزمان كما تقدّم في الأمثلة وأيّان يخصّ الزمان المستقبل.

و«كيف» للاستفهام عن الحال والكيفية.

و«أين» للاستفهام عن المكان.

و«أنّىٰ» لمعان كثيرة وعمدتها أن تكون مرادفة لـ «كيف» و«كم» للاستفهام عن المقدار.

و«أيّ» للاستفهام عن التعيين والتمييز بين المتشاركات والمتشابهات مطلقاً، وما يضاف إليه تمييزه، وقد سبق أمثلة ذلك كلّه فلانعيد.

وقد تخرج عن معناها الأصلي وهو الاستفهام الحقيقي الصادر عن الجاهل بداعي التفهّم فيستعمل في صرف إنشاء الاستفهام بدواع أُخرىٰ، والحاكم في صحّة استعماله مساعدة الذوق السليم والوجدان العرفي الساذج.

وقد ذكروا لها موارد ومصاديق كالأمر والنهي والتسوية والنفي والإنكار والتشويق والاستئناس والتقرير والتهويل والاستبعاد والتعظيم والتحقير والتعجّب والتهكم والوعيد و الاستبطاء والتنبيه على الباطل أو ضلال الطريق والتكثير.

---

١. ادب الطفّ، ٢: ١٤١.

وحيث إنّ صحّة الاستعمال في هذه المعاني ليس على نحو الضابط الكلّي بل يختلف بحسب المقامات و الحالات والمتكلّم والمخاطب فتارة يصحّ وتارة لايصحّ، فالأولىٰ إيكال ذلك إلىٰ تشخيص المناسبة وعدم الاستهجان إلى العرف.

وقد ذكروا لكلّ ذلك مثالاً يصحّ ذلك في مورده الخاصّ ولايمكن القياس عليه إلّا بمساعدة الذوق العرفي السليم.

المبحث الرابع: التمنّي

وهو طلب الشيء المحبوب الذي لايرجىٰ حصوله، إمّا لكونه مستحيلاً كقول الشاعر:

ألا ليت الشباب يعود يوماً   فأخبره بما فعل المشيب

وقول يزيد كما نسب إليه:

ليت أشياخي ببدر شهدوا   جزع الخزرج من وقع الأسل

لأهلّوا واستهلّوا فرحاً   ثمّ قالوا يا يزيد لاتشل

وإمّا لكونه ممكناً غير مطموح في نيله، كقوله تعالى: ﴿يا لَيتَ لَنا مِثْلَ ما أُوتِيَ قارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظيمٍ﴾.[1]

وقد يستعمل مكان «ليت» في التمنّي «لعلّ» كقول الشاعر:

أسرب القطا هل من يعير جناحه   لعلّي إلى من قد هويت أطير

١. القصص: ٧٩.

فإنّ مدخول لعلّ ههنا أمر غير مطموح في نيله مثل ليت.

ثمّ إنّه إذا كان الأمر المطموح في نيله ممّا يرجى حصوله كان طلبه ترجّياً واستعمل فيه لعلّ كقوله تعالى ﴿لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذٰلِكَ أَمْراً﴾،[١] وقد يستعمل مكانه «عسى» كقوله تعالى ﴿فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ﴾[٢] ولايستعمل فيه ليت.

المبحث الخامس: النداء

ومعناه معلوم وأداته «الهمزة» و«أي» و«يا» و«آ» و«أيا» و«هيا» و«وا».

فالهمزة وأي لنداء القريب إمّا حسّاً وإمّا معنىً وتنزيلاً، والباقي لنداء البعيد إمّا حسّاً وإمّا معنىً وتنزيلاً.

فوجه تنزيل البعيد منزلة القريب الإشارة إلىٰ حبّه له بحيث كأنّه حاضر في ذهنه وماثل أمام عينه، ووجه تنزيل القريب منزلة البعيد الإشارة إلىٰ علوّ مرتبته فكأنّه بعيد لغاية رفعته أو غير ذلك من الوجوه.

وقد ينشأ النداء بدواع غير أصلية كالإغراء والاستعانة والندبة والتعجّب والزجر والتحسّر وغير ذلك ممّا قالوه في المطوّلات، وأشهرها الاختصاص لتعظيمه وتبجيله كقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّما يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ

١. الطلاق: ١.

٢. المائدة: ٥٢.

تَطْهِيراً﴾،[١] فقوله تعالىٰ «أهل البيت» منصوب على الاختصاص والتقدير أخصّ.

وقد ورد في الحديث المتواتر بين الفريقين أنّ المراد علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام وأرادت أُمّ السلمة زوجة النبي صلى الله عليه وآله أن تدخل معهم تحت الكساء فمنعها رسول الله صلى الله عليه وآله وقال: «إنّك علىٰ خير»، فنزلت الآية الشريفة في شأنهم.

أمثلة أدوات النداء

«الهمزة» كقول دعبل الخزاعي:

أفاطم قومي يا ابنة الخير واندبي   نجوم سماوات بأرض فلات
أ فاطم لو خلّت الحسين مجدّلا   وقدمات عطشاناً بشطّ فرات[٢]

و«يا» كقول الشافعي:

يا آل بيت رسول الله حبّكم   فرض من الله في القرآن أنزله
كفاكم من عظيم الفخر أنّكم   من لم يصلّ عليكم لا صلاة له[٣]

وكقول حسّان بن ثابت شاعر رسول الله عليه السلام:

فقال له قم يا علي فإنّني   رضيتك من بعدي إماماً وهاديا
فمن كنت مولاه فهذا وليّه   فكونوا له أنصار صدق مواليا[٤]

---

١. الأحزاب: ٣٣.

٢. كشف الغمّة، ٢: ٣٢٢.

٣. الفوائد لابن القيّم: ١٠٤.

٤. شواهد التنزيل، ١: ٢٥٦.

وكقول كافي الكفات:

يا مرحب الكفر من أذاقك من ... حرّ الظبا ما كرهت سقياه

يا عمرو من الذي أنالك من ... صارمه الحتف حين ألقاه[١]

وقلّ استعمال سائر الأدوات بالقياس إلىٰ «يا» بل هو الأصل فيها عند العرف، ومن ذلك القليل قول الشاعر:

أيا جبلي نعمان باللّه خلّيا ... نسيم الصبا يخلص علي نسيمها[٢]

وقول الشاعر:

أيا قبر معن كيف واريت جوده ... وقد كان منه البرّ والبحر مترعا[٣]

وكقول الحاج هاشم الكعبي يرثي الحسين عليه السلام:

أيا جدّنا هذا الحبيب علىٰ الثرىٰ ... طريحاً يخلّي عارياً لا يغسّل[٤]

وقوله:

أيا شمر هذا حجّة اللّه في الورىٰ ... أعد نظراً يا شمر إن كنت تعقل[٥]

و«وا» نحو قول الشاعر:

---

١. علي في الكتاب والسنّة والأدب، ١: ١١٥.

٢. الوافي بالوفيات ٣: ٢٧٨.

٣. الأغاني، ١٦: ٢٨٤.

٤. أعيان الشيعة، ١٠: ٢٤٣.

٥. موسوعة الإمام الحسين عليه السلام، ٧: ١٣٠.

وتصيح وا ذلّاه أين عشيرتي وسراة قومي أين أهل ودادي[١]

قاله عن لسان مولاتنا زينب الكبرىٰ عليها السلام.

وكقول ابن العرندس الحلّي:

فوا لهف نفسي للحسين وما جنىٰ عليه في غداة الطفّ في حربه شمر[٢]

وقد يحذف أداة النداء كما إذا كان في صدر الكلام، كقول الشيخ عبد الحسين الأعسم:

آل بيت النبي أنتم غياثي في حياتي وعدّتي لمعادي

ما تزوّدت للقيامة إلّا صفو ودّي لكم وحسن اعتقادي[٣]

وكقول عمرو بن العاص:

معاوية الحال لا تجهل وعن سبل الحقّ لا تعدل[٤]

---

١. رياض المدح والرثاء: ٤٨٩.

٢. وتتمّته:

أ يقتل ظمآناً حسين بكربلاء وفي كلّ عضو من أنامله بحر

له تربة فيها الشفاء وقبّة يجاب بها الدّاعي إذا مسّه الضر

ووالده السّاقي على الحوض في غد وفاطمة ماء الفرات لها مهر

إمام أبوه المرتضى علم الهدى وصيّ رسول الله و الصّنو و الصّهر

الدمعة الساكبة، ٤: ٥٧.

٣. أعيان الشيعة، ٧: ٤٥٦.

٤. موسوعة الغدير، ٢: ١٧٣.

وقد تقدّم. وكقول حسّان شاعر رسول الله ﷺ:

أبا حسن تفديك نفسي ومهجتي وكلّ بطيء في الهدىٰ ومسارع
فأنت الذي أعطيت إذ كنت راكعاً فدتك نفوس القوم يا خير راكع[1]

والتقدير في الكلّ: يا آل بيت النبي ويامعاوية ويا أبا حسن، ولايصحّ عدّها من موارد الاختصاص لأنّه مشروط بأن يسبقه شيء.

تنبيه

كثيراً ما يستعمل الخبر في مقام الإنشاء فيحمل عليه؛ فإذا قلت: «بعت كذا بكذا» فإن كنت في مقام إيجاد البيع كان إنشاءاً له ولم يحتمل الصدق والكذب، وإن قلته مخبراً عن وقوع البيع في الماضي كان خبراً وقابلاً للتصديق والتكذيب، ومن موارده الشائعة استعماله في مقام إنشاء الدعاء كقولنا: «سمع الله لمن حمده» و«غفر الله لك» و«رحم الله والديك» وهكذا.

وقد ذكروا أيضاً لذلك أغراض توجب العدول من الإتيان بصيغة الأمر إلى صيغة الماضي، يطول الكلام بذكرها ومن أرادها فليراجعها.

١. نظم درر السمطين، ١: ١١٧.

الباب الثالث

أحوال المسند إليه

وفيه ثلاثة عشر مباحث:

المبحث الأول: ذكر المسند إليه

المبحث الثاني: حذف المسند إليه

المبحث الثالث: الأصل في المسند إليه أن يكون معرفة

المبحث الرابع: تعريف المسند إليه بالإضمار

المبحث الخامس: تعريف المسند إليه بالعلمية

المبحث السادس: تعريف المسند إليه بالإشارة

المبحث السابع: تعريف المسند إليه بالموصولية

المبحث الثامن: تعريف المسند إليه بأل التعريف

المبحث التاسع: تعريف المسند إليه بالإضافة

المبحث العاشر: تعريف المسند إليه بالنداء

المبحث الحادي عشر: تنكير المسند إليه

المبحث الثاني عشر: تقديم المسند إليه

المبحث الثالث عشر: تأخير المسند إليه

تعريف المسند إليه

قيل المسند إليه هو المبتدأ الذي له خبر والفاعل ونائبه وأسماء النواسخ.

أقول: لابدّ من توضيح المرام، فنقول بعون اللّٰه تعالى:

الإسناد عبارة عن النسبة التامّة الخبرية التي يصحّ السكوت عليه. وحيث إنّ النسبة قائمة بطرفين فلابدّ للإسناد من طرفين. ثمّ إنّ غرض المتكلّم من بيان النسبة ليس إلّا إيضاح حال أحد المنتسبين بالآخر، فما له البيان يجعل مسنداً إليه وما به البيان يجعل مسنداً. مثلاً المتكلّم يرىٰ تحقّق النسبة بين زيد والقيام، فإن أراد بيان حال زيد يجعله مبتدءاً ويقول: «زيد قائم» وإن أراد بيان حال القائم وأنّه من هو، يقول: «القائم زيد»، فتعيين المسند والمسند إليه بيد المتكلّم ومنوط بغرضه. هذا في الخبر والمبتدأ وما يلحق بهما من أسماء النواسخ وأخبارها.

وأمّا الفعل والفاعل ونائب الفاعل فأمرهما متعيّن في كون الفعل مسنداً

والفاعل مسند إليه لكون المتعارف إيضاح حال الفاعل أو نائبه بإسناد الفعل إليه.

أحوال المسند إليه

للمسند إليه أحوال وهي: الذكر والحذف والتعريف والتنكير والتقديم والتأخير وغيرهما، فهنا مباحث:

المبحث الأول: ذكر المسند إليه

يجب ذكر المسند إليه عند الجهل به وعدم القرينة عليه عند حذفه، كقول العبدي:

آل النبـي محمّـد أهـل الفضائـل والمناقب
المرشدون من العمىٰ والمنقذون من اللوازب
الناطقون الصادقون السابقون إلىٰ الرغائب
فولاهـم فرض مـن اللّـه في القـرآن واجب

إلىٰ أن قال:

صدّيقة خلقت لصدّيق شريف في المناصب
اختاره واختارها طهرين من دنس المعائب[١]

ويريد بالصدّيقة فاطمة الزهراء عليها السلام وبالصدّيق علي المرتضىٰ عليه السلام.

ويترجّح ذكره مع العلم به ووجود القرينة عليه لأغراض:

---

١. موسوعة الغدير، ٢: ٤٢٩.

منها شدّة الاعتناء به وحبّ ذكره، كقول عمرو بن العاص علىٰ ما نسب إليه:

ولاسيّما أبا حسن علي | له في الحرب منزلة تهاب
هو البكّاء في المحراب ليلاً | هو الضحّاك إذا اشتدّ الضراب
هو النبأ العظيم وفلك نوح | وباب الله وانقطع الخطاب[1]

كما يمكن أن يكون المنشأ أُموراً أُخر، كزيادة التقرير وقلّة الثقة بالقرينة والتعريض بغباوة السامع والإهانة والتعظيم، فراجع المطوّلات.

نكتة

إنّ ما تقدّم من الأُمور لاتكون مانعة الجمع، فيمكن أن يجتمع عدّة منها في مورد واحد، كما في قول كافي الكفات صاحب بن عبّاد مخاطباً لأمير المؤمنين عليه السلام:

أنت الذي بسيفه | ورمحه الدين كمل
أنت الذي نام على الـ | ـفراش في ليل الوجل
أنت الذي في أُحد | ثبتّ طوداً كالجبل
أنت الذي بخيبر | أزحت أصناف العلل
أنت الذي بالخندق اشـ | ـتدّ لعمرو فاضمحلّ
أنت الذي عقوده | يوم الغدير لاتحلّ
إن قيل هل تبغي بها | وسيلة قلت أجل

---

١. روضة المحبّين ١: ٣٣١.

أبغـي بهـا وسـيلة لـ　　　يـوم يأتيـني الأجل[١]

فقد اجتمع في ذكر المسند إليه وتكراره مع معلوميته وجوه، كالتبرّك بذكره الشريف وإخزاء أعدائه وتأكيد المطلب وتقريره في ذهن السامع.

المبحث الثاني: حذف المسند إليه

لايجوز الحذف إذا لم تكن قرينة علىٰ تعيينه كما تقدّم، وأمّا مع وجود القرينة فالحذف جائز، قال ابن مالك:

وحـذف مـا يعلـم جائز كما　　　تقـول زيد بعد مـن عندكما

وفي جواب كيف زيد قل دنف　　　فزيد اسـتغني عنه إذ عرف

وقد يترجّح مع وجود القرينة عليه لأغراض: كإخفاء الأمر علىٰ غير المخاطب وتيسّر الإنكار عند الحاجة، والعجلة في الكلام واختبار تنبّه السامع، والمحافظة على السجع أو القافية أو الوزن، وغير ذلك من الاُمور.

أقول: ولايبعد أن يكون الحذف أرجح من الذكر عند المعلومية وعدم وجود مرجّح للذكر ولا للحذف، وذلك لمطلوبية الاختصار وقبح توضيح الواضح.

المبحث الثالث: الأصل في المسند إليه أن يكون معرفة

الأصل في المسند إليه أن يكون معرفة لأنّه لا فائدة في الحكم على المجهول ولا داعي إلى ذكره واستماعه.

---

١. علي في الكتاب والسنّة والأدب، ١: ١١٦.

وتعريفه إمّا بالإضمار وإمّا بالعلميّة وإمّا بالإشارة وإمّا بالموصوليّة وإمّا بأل وإمّا بالإضافة وإمّا بالنداء.

المبحث الرابع: تعريف المسند إليه بالإضمار

يؤتىٰ بالضمير مسنداً إليه لأغراض:

١. لكون الحديث في مقام التكلّم، كقول رسول الله صلى الله عليه وآله:

أنـا النبـي لا كذب   أنا ابن عبد المطّلب[١]

وكقوله عليه السلام:

أنا الذي سمّتني أُمّي حيدرة   ضرغام آجام وليث قسورة[٢]

وقول إمام الأحرار الحسين عليه السلام:

أنا بن علي الطهر من آل هاشم   كفاني بهذا مفخراً حين أفخر[٣]

وقوله عليه السلام: «أَيُّهَا النَّاسُ فَإِنِّي فَقَأْتُ عَيْنَ الْفِتْنَةِ وَ لَمْ يَكُنْ لِيَجْتَرِئَ عَلَيْهَا أَحَدٌ غَيْرِي».[٤]

وقوله عليه السلام: «أَيُّهَا النَّاسُ سَلُونِي قَبْلَ أَنْ تَفْقِدُونِي فَلَأَنَا بِطُرُقِ السَّمَاءِ أَعْلَمُ مِنِّي بِطُرُقِ الْأَرْضِ».[٥] فإنّ قوله عليه السلام «فأنا» أو «فلأنا» مبتدأ والجملة المبدوّة به جواب

١. كشف الغمّة، ١: ٤٠٧.
٢. ديوان امام على عليه السلام، ١: ٢١٦.
٣. نفس المهموم: ٣٢١.
٤. نهج البلاغة، الخطبة ٩٣.
٥. نهج البلاغة، الخطبة ١٨٩.

الشرط ولذا دخل عليه الفاء.

وقوله عليه السلام: «أَنَا وَضَعْتُ فِي الصِّغَرِ بِكَلَاكِلِ الْعَرَبِ وَكَسَرْتُ نَوَاجِمَ قُرُونِ رَبِيعَةَ وَمُضَرَ وَقَدْ عَلِمْتُمْ مَوْضِعِي مِنْ رَسُولِ اللَّهِ بِالْقَرَابَةِ الْقَرِيبَةِ وَالْمَنْزِلَةِ الْخَصِيصَةِ».[١]

٢. لكون الحديث في مقام الخطاب، كقول كافي الكفات:

أنت الذي بسيفه ورمحه الدين كمل

أنت الذي نام على الـ فراش في ليل الوجل[٢]

وقد كرّر «أنت» مسنداً إليه ستّ مرّات، وقد تقدّم آنفاً.

وكقول بعضهم:

أنت العلي الذي فوق العلا رفعا ببطن مكة وسط البيت إذ وضعا

وأنت أنت الذي حطّت له قدم في موضع يده الرحمن قد وضعا[٣]

وكقول صاحب الإمام عليه السلام:

أنت الإمام الذي نرجو بطاعته يوم النشور من الرحمٰن غفرانا

أوضحت من أمرنا ما كان ملتبساً جزاك ربّك بالإحسان أحسانا[٤]

وكقول العبدي:

أنت عين الإلٰه والجنب من فرط فيه يصلىٰ لظى مذموما

---

١. نهج البلاغة، الخطبة ١٩٢.

٢. علي في الكتاب والسنّة والأدب، ١: ١١٦.

٣. الغدير في الكتاب والسنّة والأدب، ٦: ٣٦.

٤. ينابيع المودّة، ١: ١٩٠.

أنت فلك النجاة فينا وما زلت صراطاً إلىٰ الهدىٰ مستقيما(١)

٣. لكون الحديث في مقام الغيبة ولابدّ من تقدّم ذكره إمّا لفظاً وإمّا معنىً أو مستفاداً من الحال والمقام.

والأوّل كما تقدّم من قول الشاعر:

ولا سيّما أبا حسن عليّ له في الحرب منزلة تهاب

هو البكّاء في المحراب ليلاً هو الضحّاك إذا اشتدّ الضراب(٢)

فيجيء بالضمير الغائب مسنداً إليه وقد سبق ذكره لفظاً في البيت السابق.

وكقول دعبل الخزاعي في قصيدته التائية:

هم أهل ميراث النبي إذا اعتزوا وهم خير قادات وخير حمات(٣)

وقد سبق ذكر مرجع الضمير بقوله «لآل رسول الله بالخيف من منى ...» فراجع.

والثاني كقوله تعالى: ﴿وَإِنْ قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَىٰ لَكُم﴾.(٤)

والثالث كقول صاحب بن عبّاد:

هو البدر في هيجاء بدر وغيره فرائصه من ذكرة السيف ترعد(٥)

ومرجع الضمير معلوم بحسب المقام وهو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام هذا.

---

١. مناقب آل أبي طالب، ٣: ٢٧٣.

٢. روضة المحبّين: ١: ٣٣١.

٣. كشف الغمّة، ٢: ٣٢١.

٤. النور: ٢٨.

٥. مناقب آل أبي طالب عليهم السلام، ٣: ١١٦.

وقد يوضع الظاهر مكان الضمير لأغراض كالاسترحام والاستعطاف فيقال: «إِلَهِي وَسَيِّدِي عَبْدُكَ بِبَابِك»[١] مكان أن يقول أنا ببابك.

ومنها إلقاء المهابة والتلذّذ بذكر الإسم، ومنها غير ذلك ممّا هو مذكور في المطوّلات.

المبحث الخامس: تعريف المسند إليه بالعلمية

كثيراً ما يعبّر عن المسند إليه بعلمه الخاصّ لوضوح دلالته، كقوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْراهِيمُ الْقَواعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْماعيل﴾،[٢] وكقول عمرو بن العاص علىٰ ما نسب إليه:

علي الدرّ والذهب المصفّىٰ وباقي الناس كلّهم تراب[٣]

وكقول الشاعر:

علي حبّه جنّة قسيم النار والجنّة
وصيّ المصطفىٰ حقّاً إمام الإنس والجنّة[٤]

وكالمدح أو الذمّ في الألقاب علىٰ اختلافها في المدلول، كقول السيّد الحميري:

وليّنا بعد نبيّ الهدىٰ على القادم وابناه

١. دعاء أبي حمزة الثمالي.

٢. البقرة: ١٢٧.

٣. الغدير في الكتاب والسنّة الأدب، ٤: ٤١.

٤. دلائل الصدق، ٥: ٣٥٦.

والعالم الصامت والناطق الـ   باقر علماً كان أخفاه[١]

وغير ذلك من الأُمور المذكورة وغيرها بما يطول الكلام بإيرادها.

المبحث السادس: تعريف المسند إليه بالإشارة

يؤتىٰ بالمسند إليه اسم الإشارة إذا تعيّن طريقاً لإفادة المراد بأن لايعرف المتكلّم أو السامع اسمه الخاصّ.

أقول: وكثيراً ما يؤتىٰ به مضافاً إلىٰ ذلك لمزيد التعيين والتمييز وقطع العذر، إذ الأعلام كثيراً ما مشتركة فيؤتىٰ بالإشارة لرفع الإبهام أو للتأكيد علىٰ التعيين، كقول رسول اللّه صلى الله عليه وآله: «من كنت مولاه فهذا علي مولاه».

وقد يكون لأغراض اُخرىٰ:

منها إفحام السامع وتحقيره، كقول الفرزدق:

هـذا الذي تعرف البطحاء وطأته   والبيـت يعرفـه والحـلّ والحـرم

هـذا ابـن خير عبـاد اللّـه كلّهم   هذا التقـيّ النقـيّ الطاهر العلم

وليـس قولـك مـن هـذا بضائـره   العرب تعرف من أنكرت والعجم[٢]

ومنها موارد اُخر كبيان حاله في القرب نحو ﴿هذِهِ بِضاعَتُنا رُدَّتْ إِلَيْنا﴾[٣] أو

١. مناقب آل أبي طالب، ٤: ٣١٠.

٢. مناقب آل أبي طالب، ٤: ١٦٩.

٣. يوسف: ٦٥.

التوسّط كقولك: «ذاك ولدي» أو البعد نحو ﴿ذلِكَ يَوْمُ الْخُلُود﴾[١] أو تعظيم درجته بالبعد أي هو يبعد عن الفهم لعظمة قدره، نحو ﴿ذلِكَ الْكِتابُ لا رَيْبَ فيه﴾[٢] أو تحبيبه والاستيناس به بالقرب، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ هذَا الْقُرْآنَ يَهْدي لِلَّتي هِيَ أَقْوَم﴾[٣] وغير ذلك من الجهات.

المبحث السابع: تعريف المسند إليه بالموصولية

يجعل الموصول مسنداً إليه إذا انحصر طريق تعيين المراد في ذلك، ويستحسن إذا كان أحسن الطرق.

وقد يؤتىٰ به لأغراض اُخر كالتشويق، كقوله:

والذي حـارت البريّة فيه   حيوان مستحدث من جماد

ومنها تأييد صدق المدّعىٰ بذكر الصلة، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرادُّكَ إِلى مَعادٍ﴾،[٤] والمعنىٰ أنّ الذي منّ عليك بهداية القرآن وفرض عليك به يمنّ عليك بالعود إلىٰ مكّة وفتحه لما فيه من تقوية الدين وشوكة المسلمين ومذلّة الكافرين.

ومنها إخفاء الأمر عن المخاطب أو غيره بإتيان الصلة مبهمة، كقوله: «الذي

---

١. ق: ٣٤.

٢. البقرة: ٢.

٣. الإسراء: ٩.

٤. القصص: ٨٥.

أعطاني الأمير» أو «الذي قال لي فلان» إذا كان في الكتمان مصلحة.

وغير ذلك ممّا قالوه ممّا لا خصوصيّة لها لعدم انحصار الفائدة فيها، فهي نماذج لايمكن القياس عليها إلّا بمساعدة الذوق السليم، ومع استحسان الطبع واستجواد الذوق لاينحصر الأمر فيما ذكر، بل يجوز من غيرها فهو الميزان.

المبحث الثامن: تعريف المسند إليه بأل التعريف

قد يعرّف المسند إليه بـ«أل التعريف»، فإمّا يكون للعهد وإمّا يكون للجنس وإمّا يكون للاستغراق.

والأول: إمّا يكون معهوداً لفظاً كقوله تعالى: ﴿كَما أَرْسَلْنا إِلى فِرْعَوْنَ رَسُولاً * فَعَصىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُول﴾[1] وإمّا يكون معهوداً ذهناً كقوله تعالىٰ: ﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثىٰ﴾[2] وإمّا يكون معهوداً لحضوره بالذات نحو ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتي وَ رَضيتُ لَكُمُ الْإِسْلامَ ديناً﴾.[3]

وفي شأنه قال السيّد الهندي:

أيّ عيد مثل هذا اليوم فينا — رضي اللّه به الإسلام دينا
بلّغ الهادي بـه ما أنزل اللّه — في شـــأن أميرالمؤمنينـــا

---

١. المزّمّل: ١٥-١٦.

٢. آل عمران: ٣٦.

٣. المائدة: ٣.

إلى أن قال:

فاستجابوا قوله الشافي الذي هاج من بعضهم الداء الدفينا[١]

والثاني: إمّا للإشارة إلىٰ نفس الحقيقة وتسمّىٰ بلام الجنس كقولهم: «الذهب أثمن من الفضّة»، أو للإشارة إلىٰ الحقيقة في ضمن فرد مبهم، كقوله تعالىٰ من لسان يعقوب: ﴿وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ﴾[٢] أو للإشارة إلىٰ الحقيقة السارية في ضمن جميع الأفراد، كقوله تعالى: ﴿وَالعَصرِ * إِنَّ الْإِنْسانَ لَفي خُسْرٍ﴾[٣] وكقوله عليه السلام: «الذَّلِيلُ عِنْدِي عَزِيزٌ حَتَّى آخُذَ الْحَقَّ لَهُ وَالْقَوِيُّ عِنْدِي ضَعِيفٌ حَتَّى آخُذَ الْحَقَّ مِنْه».[٤]

وقد يكون المراد المقيّد ببعض القيود كقولهم: «جمع الأمير التجّار وألقىٰ عليهم نصائحه» أي تجّار مملكته، وفي المثال تأمّل. هذا كلّه إذا دخل اللام علىٰ الجنس أي الطبيعة كالذهب والفضّة والإنسان.

وأمّا إذا دخل على الجمع كان من أدوات العموم ومفيداً للاستغراق، كقولنا «أكرم العلماء» أي كلّ عالم، ومنه قوله عليه السلام: «وَإِنَّمَا الْأَئِمَّةُ قُوَّامُ اللَّهِ عَلَى خَلْقِهِ وَعُرَفَاؤُهُ عَلَى عِبَادِهِ وَلَايَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ عَرَفَهُمْ وَعَرَفُوهُ وَلَايَدْخُلُ النَّارَ إِلَّا مَنْ أَنْكَرَهُمْ

---

١. علي في الكتاب والسنّة والأدب، ٥: ٨٨.

٢. يوسف: ١٣.

٣. العصر: ١-٢.

٤. نهج البلاغة، الخطبة ٣٧.

وَأَنْكَرُوه».[١]

ومن هنا ظهر وجه التأمّل في تمثيله بالتجّار فإنّه من الجمع المحلّىٰ باللام ومفيد للعموم فلايكون من «ال» الجنس والتعبير عنه بذلك خلاف الاصطلاح.

ثمّ إنّ الفرق بين «ال» التي للجنس في ضمن جميع الأفراد و«ال» الاستغراق أنّ دلالة الثاني على الاستغراق والعموم لفظي مستفاد من نفس الهيئة اللفظية، ودلالة الأول علىٰ العموم بمعونة القرائن الخارجية.

تنبيه

قالوا: إنّ تعريف المسند إليه باللام يفيد حصره في المسند وتعريف المسند باللام يفيد حصر المسند في المسند إليه، والأول كقوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِين﴾[٢] والثاني كقولك: «زيد العالم»، والأمر كما أفادوه.

المبحث التاسع: تعريف المسند إليه بالإضافة

قد يكون المسند إليه معرّفاً بالإضافة، فإن كان طريق التعريف منحصراً في ذلك كان ذاك واجباً، وإن كان ذلك أحسن الطرق كان راجحاً، وقد لايكون شيء منهما بل لأغراض اُخر دعت إلىٰ ذلك.

منها: الاختصار في الكلام نحو «جاء غلامي»، لأنّه أخصر من قولك: جاء

١. نهج البلاغة، الخطبة ١٥٢.

٢. الفاتحة: ٢.

الغلام الذي هو لي. ومن مصاديقه عدم إمكان التفصيل والاكتفاء بالإجمال بإضافة المسند إليه إلىٰ شيء كقولك: «اتّفق أهل الحقّ أو أهل البلد» وهكذا.

ومنها: الاجتناب عن محذور التصريح إذا كان فيه محذور، كما تقول: «قال لي أحد أصدقائي» إذا كان في معلوميته للقائل محذور.

ومنها: التعظيم للمضاف، وقد يعبّر بالإضافةالتشريفية كقولك: «بيت اللّٰه» و«كتاب اللّٰه» و«ولي اللّٰه» و«شهر اللّٰه» وهكذا.

والحقّ أنّ الموارد المذكورة لا موضوعية لها، والميزان فيه استجواد الطبع السليم واستحسان الذوق القويم.

ثمّ إنّ من الإضافة التشريفية قولنا: «آل محمّد عليهم السلام» فهو يوجب تشريفاً وتبرّكاً لهم بالإضافة إليه صلى الله عليه وآله، ولذا لايقال ولم يقل آل عبداللّٰه أو آل عبدالمطّلب مع صحّته واقعاً لوجود الانتساب.

وتشريف آل النبي صلى الله عليه وآله هو الذي أراده اللّٰه من هذه الاُمّة، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ لا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبى﴾،[1] وقد نهىٰ النبي صلى الله عليه وآله عن الصلاة البتراء فقيل يا رسول اللّٰه وما الصلاة البتراء قال أن تقولوا اللّٰهم صلّ علىٰ محمّد وتمسكوا فقالوا وماذا نقول قال قولوا اللّٰهم صلّ علىٰ محمّد وآل محمّد كما صلّيت علىٰ إبراهيم وآل إبراهيم إنّك حميد مجيد.[2]

١. الشورى: ٢٣.

٢. كشف الغمّة، ١: ٣٤٢.

وقال الإمام الشافعي:

يـا آل بيت رسـول الله حبّكم فرض من الله في القرآن أنزله
كفاكم من عظيم الفخر إنّكم من لم يصلّ عليكم لا صلاة له[١]

وقد اتّفق المسلمون علىٰ وجوب الصلاة عليه وآله في تشهّد الصلاة، وله الحمد.

المبحث العاشر: تعريف المسند إليه بالنداء

يكتفى بتعريف المسند إليه بالنداء لأغراض:

منها: ما إذا لم يكن معروفاً للسامع بعنوان خاصّ ولا بمعرّف أقوىٰ منه.

ومنها: الإشارة إلىٰ علّة الحكم والطلب، كقولك: «يا تلميذ! إقرأ درسك».

ومنها: ردّ دخالة الخصوصيات وكفاية العنوان المجمل فينتج العموم البدلي، كقول الإمام الشافعي:

يا راكباً قف بالمحصّب من منىٰ واهتف بقاعد خيفها والناهض
سحراً إذا فاض الحجيج إلىٰ منىٰ فيضاً كملتطم الفرات الفائض
إن كان رفضاً حـبّ آل محمّـد فليشـهد الثقلان أنّي رافضي[٢]

وقد يكون في ذلك العموم مبالغة في المدّعىٰ، كقول الشاعر:

يا واصف المرتضىٰ قد صرت في تيه هيهـات هيهـات ممّـا قـد تمنّيـه

والمقصود أنّه في التيه ولو كان الواصف في أعلىٰ درجة العلم وجودة البيان.

١. الفوائد لابن القيّم: ١٠٤.

٢. مناقب الشافعي للبيهقي، ٢: ٧١.

المبحث الحادي عشر: تنكير المسند إليه

أوجب علماء الأدب أن يكون المبتداء معرفة، واستثنوا من ذلك ما إذا كان مفيداً لفائدة معتدّ بها. قال ابن مالك:

ولايجوز الابتداءبالنكرة ما لم يفـد كعند زيد نمرة

أي كون الخبر ظرفاً مقدّماً علىٰ المبتداء. ثمّ عطف عليه موارد خمسة كدخول الاستفهام عليه أو النفي عليه وتوصيفه بوصف أو تقييده بقيد أو إضافته إلىٰ شيء، ولكنّهم لم يتعرّضوا لذلك في الفاعل ونائبه.

وأمّا في علم البلاغة فذكروا أنّه يؤتىٰ بالنكرة مسنداً إليه لجهل المتكلّم بشخصه، كقولك: «جاء رجل يسأل عنك». وقد يكون ذلك لأغراض اُخر كإخفاء الأمر نحو «قال رجل إنّك انحرفت عن الصواب» فيخفي اسمه حذراً عن تأذّي المخاطب.

وقد يكون للتعريض إلىٰ أهميّة وقوع الفعل وأنّه لا أثر لخصوصية الفاعل، كقوله تعالىٰ: ﴿وَجاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدينَةِ رَجُلٌ يَسْعى قالَ يا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلين﴾،[1] أو التقليل كقوله تعالىٰ: ﴿لَوْ كانَ لَنا مِنَ الْأَمْرِ شَيْء﴾،[2] وكقوله تعالىٰ: ﴿ائْتُوني بِكِتابٍ مِنْ قَبْلِ هذا أَوْ أَثارَةٍ مِنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صادِقين﴾،[3] أو التكثير كقوله

---

١. يس: ٢٠.

٢. آل عمران: ١٥٤.

٣. الأحقاف: ٤.

تعالىٰ: ﴿وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ﴾،[١] ومنه قوله عليه السلام:

فويـل ثـمّ ويـل ثـمّ ويـل ... لمن يلقي الإلٰه غداً بظلمي[٢]

وأمّا النحاة فقد جوّزوا الابتداء بالنكرة هٰهنا لكونه دعاءاً، كقوله تعالىٰ: ﴿سَلَامٌ عَلَى آلِ يَاسِينَ﴾،[٣] ولا فرق في الدعاء بين الدعاء له والدعاء عليه.

المبحث الثاني عشر: تقديم المسند إليه

لا شبهة في أنّ مرتبة المسند إليه مقدّم علىٰ المسند وهو المتعارف بين العرف في مقام التكلّم وموافق للطبع، لأنّ الصفة متأخّرة عن معروضه طبعاً والذهن يتبع الخارج فيتوجّه إلىٰ الذات ابتداءاً ثمّ إلىٰ ما يعرضه من العوارض.

وقد يؤكّد ذلك أُموراً أُخر كالتلذّذ والتبرّك، كقول كافي الكفات:

عليّ علـى في المواقـف كلّها ... ولكنّكم قد خانكم فيه مولد[٤]

وقد تقدّم.

عـــلي حبّـــه جنّـــة ... قسيم النار والجنّة[٥]

وقد تقدّم.

---

١. فاطر: ٤.

٢. كنز الفوائد، ١: ٢٢٦.

٣. الصافات: ١٣٠.

٤. مناقب آل أبي طالب عليهم السلام، ٣: ١١٠.

٥. دلائل الصدق، ٥: ٣٥٦.

ويقرب منه تعجيل المسرّة أو المساءة وأمثال ذلك ممّا لا جدوىٰ في التعرّض لها، لكونها أُموراً وجدانية لا علمية.

ثمّ إنّهم تعرّضوا هٰهنا لمطالب قليل الارتباط بمحلّ البحث وهو التفاوت بين دخول النفي علىٰ العموم ودخول العموم علىٰ النفي، فإن دخل النفي علىٰ العموم أفاد سلب العموم، فلايكون منافياً للموجبة الجزئية.

فإن قلت ليس كلّ ما قلت بصحيح، كان معناه عدم صحّة جميعها وإن صحّ بعضها، وإن قلت كلّ ذلك ليس بصحيح، كان معناه عموم السلب ولم يجتمع مع الموجبة الجزئية، هذا بحسب الغالب والمتعارف. ويمكن إرادة السالبة الكلّية من الصورة الأُولىٰ أيضاً، ولٰكنّه عندي خلاف الظاهر، فهي محتاج إلىٰ القرينة، كقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾،[١] إذ المراد منه عموم السلب.

وأمّا لو استعمل أيّ مكان كلّ كقولك: «لايكون أيّ واحد من مطالبك بصحيح» دلّ علىٰ عموم السلب أيّ السالبة الكلّية والفرق بينهما واضح.

تتميم

النكرة في سياق النفي يفيد العموم، كقولنا: «لا رجل في الدار» فينافيه وجود رجل واحد فيه.

---

١. لقمان: ١٨.

والوجه فيه: أنّ الظاهر من النكرة صرف الوجود وانتفاؤه لايتحقّق إلّا بانتفاء أيّ فرد فرد.

المبحث الثالث عشر: تأخير المسند إليه

ومبرّر ذلك وجوه تقديم المسند وما إذا اقتضىٰ معنىٰ الكلام إسناد الفعل إلى المسند إليه فإنّه يوجب تأخير المسند إليه لا محالة كقولنا: «قام زيد» بدل «زيد قائم» وذلک كما إذا كان في مقام بيان التجدّد والحدوث أو الماضوية والحال والاستقبال وتصرّمه بتصرّم الزمان وغير ذلك من وجوه تبديل الجملة الإسمية بالجملة الفعلية، فإنّ كلّ ذلك يكون من مقتضيّات تأخير المسند إليه.

الباب الرابع

المسند وأحواله

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: ذكر المسند وحذفه

المبحث الثاني: تعريف المسند وتنكيره

المبحث الثالث: تقديم المسند و تأخيره

تعريف المسند

المسند هو ما ينسب إلى المسند إليه لتبيين خصوصية من خصوصياته.

قال ابن مالك:

والخبر الجزء المتمّ الفائدة كالله برّ والأيادي شاهدة

وسائر المسندات أيضاً كذلك. وقد تقدّم شرح ذلك في تعريف المسند إليه.

وأقسامه الخبر والفعل التامّ المعلوم والمجهول واسم الفعل وأخبار النواسخ والمصدر النائب عن الفعل والوصف الذي يكون مبتدءاً يرفع ما بعده علىٰ الفاعلية.

ويستغنىٰ به عن الخبر بشرائطه المذكورة في النحو، فإنّه مسند وإن كان مبتدءاً لكون المسند إليه فاعله. وأحواله الذكر والحذف والتعريف والتنكير والتقديم والتأخير وغيرها.

وفيه ثلاث مباحث:

المبحث الأول: ذكر المسند وحذفه

يذكر المسند وجوباً إذا لم يكن دليل عليه علىٰ تقدير الحذف، وعلىٰ تقدير وجود القرينة فذكره -لولا المرجّح في حذفه- أولىٰ، لكونه مطابقاً للأصل ولا وجه للعدول عنه، كقول مولانا أمير المؤمنين عليه السلام: «الْعِلْمُ خَيْرٌ مِنَ الْمَال» قاله عليه السلام في حديث له مع كميل بن زياد النخعي، ثمّ برهن عليه السلام بقوله: «الْعِلْمُ يَحْرُسُكَ وَأَنْتَ تَحْرُسُ الْمَالَ وَالْمَالُ تَنْقُصُهُ النَّفَقَةُ وَالْعِلْمُ يَزْكُوا عَلَى الْإِنْفَاق ... يَا كُمَيْلَ بْنَ زِيَادٍ مَعْرِفَةُ الْعِلْمِ دِينٌ يُدَانُ بِه ... يَا كُمَيْلُ هَلَكَ خُزَّانُ الْأَمْوَالِ وَهُمْ أَحْيَاءٌ وَالْعُلَمَاءُ بَاقُونَ مَا بَقِيَ الدَّهْرُ أَعْيَانُهُمْ مَفْقُودَةٌ وَأَمْثَالُهُمْ فِي الْقُلُوبِ مَوْجُودَةٌ هَا إِنَّ هَاهُنَا لَعِلْماً جَمّاً وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى صَدْرِهِ لَوْ أَصَبْتُ لَهُ حَمَلَة».[1]

وفي هذا الكلام ثمار من الجنّة لاينالها إلّا ذو حظّ عظيم كسائر كلماته النيّرة ومواعظه الشافية وحكمه الراقية، رزقنا الله إيّاها.

ثمّ إنّه لا فرق في المقام بين انتفاء القرينة أو وجودها ضعيفة أو قلّة تنبّه السامع لغباوتها، فالكلّ من واد واحد ولا وجه لتفكيكها.

ومن وجوه رجحان البيان علىٰ تقدير المعلومية بالقرينة تلذّذ المتكلّم بذكره أو السامع من سماعه أو التبرّك به أو التأكيد عليه، كقولك لمن يسأل عن أعلم علماء البلد «فلان أعلم علماء البلد»، ولو حذفت المسند كان جائزاً إلّا أنّه يذكره لما ذكرنا.

---

١. نهج البلاغة، كلمة ١٤٧.

وقد يجتمع فيه جهتان المجهولية وأمر آخر فيتأكّد لزوم الذكر كالردّ علىٰ المخاطب في قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ بعد قوله: ﴿مَنْ يُحْيِ الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾،[1] فإنّه ردّ علىٰ المخاطب ببرهان لم يكن يعرفه.

أضف إلىٰ ذلك أنّه قد يكون أمراً معلوماً مغفولاً عنه والمخاطب بأمسّ الحاجة إلىٰ الالتفات إليه فيجعل مسنداً في الكلام ويذكر وجوباً، هذا كلّه فيما يرجع إلىٰ ذكر المسند وجوباً أو ترجيحاً.

حذف المسند

يكون مجوّز الحذف معلوميته والالتفات إليه علىٰ تقدير عدم الذكر، كما قال ابن مالك:

وحذف ما يعلم جائز كما   تقول زيد بعد من عندكما

وفي جواب كيف زيد قل دنف   فزيد استغني عنه إذ عرف

بل يكون الحذف حينئذ -لولا المرجّح في الذكر- أولىٰ وأرجح لموافقته للاختصار وهو مطلوب؛ والمعلومية إمّا لأجل القرينة المتّصلة أو المنفصلة، لفظية كانت أو عقلية.

ومن وجوه رجحان الحذف مع المعلومية، اشمئزاز السامع عن استماعه أو المتكلّم عن بيانه، ومن وجوهه اقتضاء الوزن أو القافية أو كليهما للحذف.

---

١. يس: ٧٨.

ومنها ما ذكره علماء الأدب؛ قال ابن مالك:

وبعد لولا غالباً حذف الخبر حتم وفي نصّ يمين ذا استقرّ
وبعد حال لايكون خبراً عن الذي خبره قد أُضمرا
كضربي العبد مسيئاً وأتمّ تبييني الحقّ منوطاً بالحكم
وبعد واو عيّنت مفهوم مع كمثل كلّ صانع وما صنع

أقول: المسند في جميع ذلك معلوم واضح فذكره عبث مستهجن، ولأجل ذلك بنىٰ العرف علىٰ تركه.

المبحث الثاني: تعريف المسند وتنكيره

الأصل في المسند أن يكون قابلاً للتعريف والتنكير كما إذا لم يكن فعلاً ولا جملة وأن يكون نكرة، كما أنّ الأصل في المبتداء أن يكون معرفة.

وقد يعرّف كما إذا كان محلّ الكلام انتساب معلوم بمعلوم، كما إذا علم المخاطب بوجود عالم في الجماعة وعرف زيداً ولٰكنّه لم يعرف أنّه العالم، فيقال له: «زيد العالم» و«أل» هذه للعهد. وكقوله:

أنت الإمام الذي نرجو بطاعته يوم النشور من الرحمٰن غفرانا[١]

وقد مرّ بتمامه.

ومن تلك الوجوه حصر المسند في المسند إليه، كما تقول: «زيد العالم» وتريد بذلك

---

١. ينابيع المودّة، ١: ١٩٠.

أنّ جنس العالم وجوده منحصر في زيد، فلا عالم سواه.

وقد يذكر ذلك مبالغة للمبالغة في كثرة علمه بحيث صار الآخرون من العلماء كالجاهل في جنبه، واللام في هذه الصورة للجنس، ومنه قوله عليه السلام في المناجاة المعروفة منه: «مَوْلَايَ يَا مَوْلَايَ أَنْتَ الْمَوْلَى وَأَنَا الْعَبْدُ، وَهَلْ يَرْحَمُ الْعَبْدَ إِلَّا الْمَوْلَى، مَوْلَايَ يَا مَوْلَايَ أَنْتَ الْمَالِكُ وَأَنَا الْمَمْلُوكُ، وَهَلْ يَرْحَمُ الْمَمْلُوكَ إِلَّا الْمَالِكُ» ثمّ كرّر الكلام بهذا الأُسلوب أكثر من عشرين مرّة.

ولايخفىٰ أنّ الحصر في قوله عليه السلام: «أنت المولىٰ» بمعنىٰ أنّه لا مولىٰ سواك، والحصر في «وأنا العبد» ليس بذلك المعنىٰ بل بمعنىٰ أنّي عبد محض وليس فيّ شائبة المولوية لا أنّه لا عبد غيري.

تبصرة

شاع في الأخبار المضاف إلىٰ أحد المعارف ولم يحتج إلىٰ وجه من الوجوه المذكورة، ولعلّه لضعف معروفيته من بين المعارف، كقولك: «زيد أخي أو ابن عمّي أو غلام عمرو أو عالم البلد». فعن مولانا أميرالمؤمنين عليه السلام:

محمّد النبي أخي وصنوي — وحمزة سيّد الشهداء عمّي
وجعفر الذي يضحي ويمسي — يطير مع الملائكة ابن أمّي
وبنت محمّد سكني وعرسي — منوط لحمها بدمي ولحمي
وسبطا أحمد ولداي منها — فأيّكم له سهم كسهمي

سبقتكم إلىٰ الإسلام طرّاً على ما كان من فهمي وعلمي
فأوجب لي ولايته عليكم رسول اللّه يوم غدير خمّ
فويل ثمّ ويل ثمّ ويل لمن يلقىٰ الإلٰه غداً بظلمي

كتبه عليه السلام لمعاوية بعد ما كتب هو للإمام عليه السلام فضائله فقال: «كان أبي سيّداً في الجاهلية وصرت ملكاً في الإسلام ...»، فأجابه الإمام عليه السلام بهذه الأبيات، فلمّا قرأها قال: «اخفوها لايقرأه أهل الشام فيميلوا إلىٰ بن أبي طالب».[١]

المبحث الثالث: تقديم المسند أو تأخيره

الأصل في المسند أن يكون مؤخّراً كما في باب المبتداء والخبر؛ قال ابن مالك:

والأصل في الأخبار أن تؤخّرا وجوّزوا التقديم إذ لا ضررا

ويجب التقديم عند وجود سببه، كأن يكون عاملاً في المسند إليه مثل الفعل والفاعل، أو يكون ممّا له الصدر، كقوله عليه السلام: «أَيْنَ الْعُقُولُ الْمُسْتَصْبِحَةُ بِمَصَابِيحِ الْهُدَى وَالْأَبْصَارُ اللَّامِحَةُ إِلَى مَنَارِ التَّقْوَى أَيْنَ الْقُلُوبُ الَّتِي وُهِبَتْ لِلَّهِ وَعُوقِدَتْ عَلَى طَاعَةِ اللَّه».[٢]

وكقوله عليه السلام: «أَيْنَ الْقَوْمُ الَّذِينَ دُعُوا إِلَى الْإِسْلَامِ فَقَبِلُوهُ وَقَرَءُوا الْقُرْآنَ فَأَحْكَمُوهُ وَهِيجُوا إِلَى الْجِهَادِ فَوَلِهُوا وَلَهَ اللِّقَاحِ إِلَى أَوْلَادِهَا وَسَلَبُوا السُّيُوفَ أَغْمَادَهَا وَأَخَذُوا

١. أنساب الأشراف، ٥: ١١١.
٢. نهج البلاغة، الخطبة ١٤٤.

بِأَطْرَافِ الْأَرْضِ زَحْفاً زَحْفاً وَصَفّاً صَفّا».[١]

وقد يكون لأغراض أُخر:

منها: تخصيص المسند بالمسند إليه، نحو قوله تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّماوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾.[٢]

أقول: هكذا مثّل في الجواهر وهو عجيب لأنّ معناه -علىٰ ما ذكر- أنّ اللّه ليس له إلا ملك السماوات والأرض، وبينما يكون المراد اختصاص ملك السماوات والأرض بذاته المقدّسة وعدم إشراك غيره فيه، فهو من حصر المسند إليه في المسند.

ومنه قوله عليه‌السلام في كتابه إلىٰ عثمان بن حنيف «أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَأْمُومٍ إِمَاماً يَقْتَدِي بِهِ وَيَسْتَضِيءُ بِنُورِ عِلْمِهِ أَلَا وَإِنَّ إِمَامَكُمْ قَدِ اكْتَفَى مِنْ دُنْيَاهُ بِطِمْرَيْهِ وَمِنْ طُعْمِهِ بِقُرْصَيْه».[٣]

وقوله عليه‌السلام في ذلك الكتاب: «بَلَى كَانَتْ فِي أَيْدِينَا فَدَكٌ مِنْ كُلِّ مَا أَظَلَّتْهُ السَّمَاءُ فَشَحَّتْ عَلَيْهَا نُفُوسُ قَوْمٍ وَسَخَتْ عَنْهَا نُفُوسُ قَوْمٍ آخَرِين».[٤]

وقوله عليه‌السلام: «الَّذِي لَيْسَ لِصِفَتِهِ حَدٌّ مَحْدُودٌ وَلَا نَعْتٌ مَوْجُودٌ وَلَا وَقْتٌ مَعْدُودٌ وَلَا أَجَلٌ مَمْدُود».[٥]

---

١. نهج البلاغة، الخطبة ١٢١.

٢. آل عمران: ١٨٩.

٣. نهج البلاغة، الكتاب ٤٥.

٤. نهج البلاغة، الكتاب ٤٥.

٥. نهج البلاغة، الخطبة ١.

ومنه قول السيّد الحميري:

وليّنا بعد النبي الهدىٰ علىٰ القائم وابناه[١]

فإنّ المراد حصر الولاية في الإمام علي عليه السلام وأولاده المعصومين عليهم السلام.

ومنها: التنبيه علىٰ أنّه خبر لا نعت، كقول الشاعر:

له همم لا منتهىٰ لكبارها وهمّته الصغرى أجلّ من الدهر[٢]

إذ لو أخّر احتمل النعت.

أقول: وأيّ مفسدة في ذلك، إذ لو أخّر وصار نعتاً صار قوله «لا منتهىٰ لكبارها» خبراً «لهمم» ولم يضرّ بالمبالغة المقصودة شيئاً.

ومنها: التشويق للمتأخّر إذا كان في تقديم المسند تشويقاً إلىٰ فهم المسند إليه، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهارِ لَآياتٍ لِأُولِي الْأَلْباب﴾.[٣]

أقول: ويمكن أن يكون السرّ في التقديم في الآية تعظيم خلق السماوات والأرض.

ومنها: التفاؤل، كقولك: «في عافية إن شاء اللّٰه».

ومنها: قصر المسند إليه في المسند، نحو ﴿لَكُمْ دينُكُمْ وَلِيَ دين﴾،[٤] أي دينكم

---

١. ديوان السيّد الحميري، ١: ٢١٦.

٢. مناقب آل أبي طالب، ٢: ١١٨.

٣. آل عمران: ١٩٠.

٤. الكافرون: ٦.

مقصور عليكم وديني مقصور عليّ.

أقول: ومنه قوله عليه السلام: «فَإِنَّ فِيهِ (رسول الله صلى الله عليه وآله) أُسْوَةً لِمَنْ تَأَسَّى وَ عَزَاءً لِمَنْ تَعَزَّى»[١]، إذ المقصود أنّ الاُسوة لمن يتأسّىٰ مقصور عليه صلى الله عليه وآله.

ومنها غير ذلك ممّا في المطوّلات.

ولايخفىٰ عليك أنّ هذه الوجوه متفاوتة، فمراعاة بعضها مهمّ ومتوقّف على التقديم، وبعضها ليس كذلك، فلاحظ الموارد.

وكما قد يقدّم المسند قد يؤخّر بل هو الأصل كما عرفت، فيعمل به مع عدم موجب للعدول عنه.

ثمّ إنّ الخبر قد يكون مفرداً وقد يكون جملة أو شبه جملة كالظرف والجار والمجرور، ولها أسباب وبواعث لا معيّن لها إلّا الذوق السليم.

---

١. نهج البلاغة، الخطبة ١٦٠.

الباب الخامس

الإطلاق والتقييد

وفيه عشر مباحث:

المبحث الأول: التقييد بالنعت

المبحث الثاني: التقييد بالتأكيد

المبحث الثالث: التقييد بعطف البيان

المبحث الرابع: التقييد بعطف النسق

المبحث الخامس: التقييد بالبدل

المبحث السادس: التقييد بضمير الفصل

المبحث السابع: التقييد بالنواسخ

المبحث الثامن: التقييد بالشرط

المبحث التاسع: التقييد بالنفي

المبحث العاشر: التقييد بالمفاعيل الخمسة

حكم المطلق و المقيّد

قيل إذا اقتصر في الجملة علىٰ ذكر المسند والمسند إليه فالحكم مطلق، وإذا زيد عليها شيء ممّا يتعلّق بهما أو بأحدهما فالحكم مقيّد، بحيث لو حذف القيد كان الكلام كذباً أو غير مقصود، نحو ﴿وَما خَلَقْنَا السَّماواتِ وَالْأَرْضَ وَما بَيْنَهُما لاعِبين﴾،[1] فلو حذف لاعبين كان الكلام كذباً.

أقول: عندنا المحتملات ثلاثة: الإطلاق والتقييد والإجمال؛ فإنّ القيد إمّا أن يذكر أو لا، فإن ذكر فهو المقيّد، وإن لم يذكر فإمّا أن يكون المتكلّم في مقام البيان من جميع الجهات ويسكت عن القيود فهو مطلق إثباتاً ومطلق ثبوتاً، لأنّه أراد عدم دخل أيّ قيد في الحكم وأنّ المسند والمسند إليه بنفسه تمام الموضوع، وإمّا أن لايكون في مقام البيان لتعلّق غرضه بإسناد المسند إلى المسند إليه في الجملة علىٰ نحو الإجمال لعدم كونه في مقام بيان الخصوصيات، كما يقال: «الإنسان محلّ السهو والنسيان»، فإنّ المراد منه عروض السهو والنسيان عليه في الجملة لا دائماً ولا في وقت مخصوص أو مكان كذا، فالكلام في هذه الصورة يكون مجملاً لا مطلقاً.

---

١. الدخان: ٣٨.

ولو كان هذا الكلام المسلّم بين العقلاء مطلقاً كان الأصل الأوّلي في جميع ما يصدر عنهم السهو والنسيان، فإن وقع بينهم نزاع في أنّ العقد الفلاني هل كان صادراً عن الغفلة والنسيان أو عن العمد والذكر، لزم أن يحمل علىٰ السهو إلّا أن يثبت خلافه وهو خلاف البديهي بل الأصل الأوّلي عندهم صدور جميع الأعمال عن الذكر والالتفات فقولهم «الإنسان محلّ النسيان» مبني علىٰ الإجمال والإهمال.

ثمّ قيل: والتقييد يكون بالتوابع وضمير الفصل والنواسخ وأدوات الشرط والنفي والمفاعيل الخمسة والحال والتميز.

أقول: أضف إليها الاستثناء والظرف والجار والمجرور المتعلّق بأحدهما.

المبحث الأول: التقييد بالنعت

أقول: التقييد بالنعت لايكون إلّا بإرادة تخصيص المنعوت بصفة تميّزه عن غيره كقولهم: «إكرام العالم العادل واجب»، فإنّ القيد احترازي بالوضوح.

وقيل: يؤتىٰ به لأغراض كثيرة:

منها: توضيح المنعوت بإيضاح حقيقته كطوله وعرضه أو التأكيد، نحو ﴿تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ﴾،[1] أو المدح مثل: ﴿بسم الله الرحمٰن الرحيم﴾، أو الذم مثل: «أعوذ باللّٰه من الشيطان الرجيم»، أو الترحّم مثل: «جاء زيد الفقير» وغير ذلك.

أقول: يمكن أن يقال إنّ كلّ هذه خارجة عن محلّ البحث، لأنّ المبحوث عنه هو التقييد بالنعت وماعدا النعت الاحترازي ليس فيه تقييد.

---

١. البقرة: ١٩٦.

ومن قسم التقييد بالنعت قول شيخ الأباطح عمّ الرسول صلى الله عليه وآله وحاميه وناصره سيّدنا أبوطالب عليه السلام:

وأبيض يستسقىٰ الغمام بوجهه ثمال اليتامىٰ عصمة للأرامل
يلوذ به الهلاك من آل هاشم فهم عنده في نعمة وفواضل[١]

ثمّ العجب كلّ العجب من بعض المسلمين حيث لايفهمون معنىٰ قوله عليه السلام: «النبي محمّد صلى الله عليه وآله» فإنّه صريح في الشهادة علىٰ النبوّة، فهو صريح في الإيمان فكيف ينسبون إليه غيره نجاهم الله ممّا هم فيه.

المبحث الثاني: التقييد بالتأكيد

أقول: كقول السيّد الحميري:

بأبي أنت وأُمّي يا أمير المؤمنينا بأبي أنت وأُمّي وبرهطي أجمعينا[٢]

فقوله «أجمعين» تأكيد للرهط والأمّ والأب، ولابدّ من ملاحظة تقدير الكلام.

ثمّ إنّه يمكن أن يقال إنّ التأكيد -بأيّ نوع من أنواعه- لايكون تقييداً للمسند ولا للمسند إليه، إذ لايحصل به الاحتراز عن شيء، إلّا أن يكون المراد من التقييد أعمّ من ذلك.

المبحث الثالث: التقييد بعطف البيان

١. الأمالي للطوسي: ٧٦.
٢. مناقب آل أبي طالب عليهم السلام، ٣: ٥٥.

أقول: وفي عدّه من القيود أيضاً مسامحة واضحة، لأنّه إمّا لتوضيح المتبوع أو تأكيده أو تقريره في ذهن السامع إمّا ابتداءاً أم ردّاً علىٰ من توهّم خلافه، وكلّ ذلك أجنبي عن التقييد إلّا أن يقال إنّ المراد من التقييد أعمّ من ذلك.

المبحث الرابع: التقييد بعطف النسق

قيل يؤتىٰ به للأغراض التالية:

١. تفصيل المسند إليه باختصار، نحو «جاء سعد وسعيد» فإنّه أخصر من «جاء سعد وجاء سعيد»، ولايعلم منه تفصيل المسند، لأنّ الواو لمطلق الجمع.

٢. تفصيل المسند مع الاختصار أيضاً، نحو «جاء نصر فمنصور أو ثمّ منصور» أو «جاء الأمير حتّىٰ الجند»، لأنّ هذه الأحرف الثلاثة مشتركة في تفصيل المسند.

وبعبارة اُخرىٰ يستفاد من العطف بالواو ذات الجمع مع السكوت عن الكيفية، ويستفاد من الفاء الجمع مع الترتيب بلا فصل ومن ثمّ الجمع مع الترتيب بالفصل فالذي ينبغي أن يجعل مقابلاً للصورتين هو العطف بـ «أو» لانتفاء دلالته علىٰ الجمع وإثباته لأحدهما، وكذا «بل» لأنّه إبطال المعطوف عليه وإثبات المعطوف فقط، وكذا «لٰكن» فإنّه تقرير المعطوف عليه ونفيه عن المعطوف، كما يقال: «جاء زيد ولٰكن عمرو لم يجئ» أو «ما جاء عمرو ولٰكن زيد» هذا والأمر سهل.

المبحث الخامس: التقييد بالبدل

وفي جعله من مصاديق التقييد ما تقدّم في عطف البيان إلّا أن يقال بأنّ المراد

من التقييد ما هو أعمّ.

المبحث السادس: التقييد بضمير الفصل

يؤتىٰ بضمير الفصل لأغراض:

١. التخصيص، أي تخصيص المسند بالمسند إليه، كقوله تعالىٰ: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئات﴾.[١]

٢. تأكيد ذلك إذا استفيد من دالّ آخر، كقوله تعالىٰ: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيم﴾،[٢] حيث إنّ تعريف المسند باللام يدلّ علىٰ التخصيص، فضمير الفصل مؤكّد له.

٣. تمييز الخبر عن الصفة، نحو «العالم هو العامل بفعله».

أقول: الغرض الثاني والثالث كلاهما قابلان للانطباق علىٰ قوله عليه السلام: «اتَّقُوا مَعَاصِيَ اللَّهِ فِي الْخَلَوَاتِ فَإِنَّ الشَّاهِدَ هُوَ الْحَاكِم»،[٣] فإنّ تعريف المسند يفيد الحصر فالإتيان بالفصل يؤكّده، وكذلك مع ترك الضمير يكون قوله عليه السلام «الحاكم» محتملاً للوصفية والخبرية وضمير الفصل يميّزه.

المبحث السابع: التقييد بالنواسخ

والتقييد بها يكون للمعاني التي تؤدّيها تلك الألفاظ، كالماضوية أو الحالية أو

---

١. الشورى: ٢٥.

٢. التوبة: ١٠٤.

٣. نهج البلاغة، كلمة ٣٢٤.

الاستقبال في انتساب المسند إليه بالمسند في «كان» و«يكون» وكالاستمرار في «كائن» وكالتوقيت بزمن معيّن في «ظلّ» و«بات» و«أصبح» و«أمسىٰ» و«أضحىٰ» أو بحالة معيّنة كما في «مادام» وكالمقاربة في «كاد» و«كرب» و«أوشك» والتأكيد في «إنّ» و«أنّ» والتشبيه في «كأنّ» إلىٰ غير ذلك ممّا قيل، ونعم ماقالوا.

أقول: ومن استعمال «كان» في كلامه المبين قوله عليه السلام: «كَانَ لِي فِيمَا مَضَى أَخٌ فِي اللَّهِ وَكَانَ يُعَظِّمُهُ فِي عَيْنِي صِغَرُ الدُّنْيَا فِي عَيْنِهِ وَكَانَ خَارِجاً مِنْ سُلْطَانِ بَطْنِهِ فَلَايَشْتَهِي مَا لَا يَجِدُ وَلَا يُكْثِرُ إِذَا وَجَدَ وَكَانَ أَكْثَرَ دَهْرِهِ صَامِتاً ... وَكَانَ ضَعِيفاً مُسْتَضْعَفاً فَإِنْ جَاءَ الْجِدُّ فَهُوَ لَيْثُ غَابٍ وَصِلُّ وَاد».[١]

قيل: إنّ مراده عليه السلام أخوه رسول اللّه صلى الله عليه وآله كما كان يتكرّر علىٰ لسانه الشريف «أنا عبداللّه وأخو رسوله» وقد تواتر عن الفريقين «أنّ رسول اللّه صلى الله عليه وآله لمّا آخىٰ بين المسلمين كلّ فرد مع فرد آخر سكت عن علي عليه السلام ولم يعيّن له أحداً إلىٰ أن طال المقام، فشكىٰ علي عليه السلام وقال: يا رسول اللّه! عيّنت لكلّ واحد أخاً ولم تتعيّن لي أحداً فقال رسول اللّه: ادّخرتك لنفسي أو لاترضي أن تكون أخاًلي».

وفي بعض الأحاديث «أنت أخي في الدنيا والآخرة» وقد نقلنا الحديث بمضمونه. واكتفينا بهذا المقدار مخافة الإطالة.

---

١. نهج البلاغة، كلمة ٢٨٩.

المبحث الثامن: التقييد بالشرط

والتقييد بها لإدخال معاني أدواتها في الإسناد كالزمان في «متىٰ» و«أيّان» والمكان في «أين» و«أنّىٰ» و«حيثما» والحال في «كيفما».

و«متىٰ» كقوله عليه السلام وقد سئل عن معنىٰ قولهم لا حول ولا قوّة إلّا بالله قال عليه السلام: «إِنَّا لَا نَمْلِكُ مَعَ اللَّهِ شَيْئاً وَلَا نَمْلِكُ إِلَّا مَا مَلَّكَنَا فَمَتَى مَلَّكَنَا مَا هُوَ أَمْلَكُ بِهِ مِنَّا كَلَّفَنَا وَمَتَى أَخَذَهُ مِنَّا وَضَعَ تَكْلِيفَهُ عَنَّا»،[١] فدخل متىٰ الشرطية علىٰ المسند والمسند إليه وهو قوله عليه السلام «متىٰ ملّكنا» والفاعل وهو «اللّٰه» في التقدير، وكذا قوله عليه السلام «ومتىٰ أخذه منّا».

و«أين» كقوله عليه السلام: «أَيْنَ الْقَوْمُ الَّذِينَ دُعُوا إِلَى الْإِسْلَامِ فَقَبِلُوهُ وَقَرَءُوا الْقُرْآنَ فَأَحْكَمُوه»[٢] وقد مرّ بتمامه.

و«أنّىٰ» كقوله عليه السلام: «خُذِ الْحِكْمَةَ أَنَّى كَانَتْ فَإِنَّ الْحِكْمَةَ تَكُونُ فِي صَدْرِ الْمُنَافِقِ فَتَلَجْلَجُ فِي صَدْرِهِ حَتَّى تَخْرُجَ فَتَسْكُنَ إِلَى صَوَاحِبِهَا فِي صَدْرِ الْمُؤْمِن»،[٣] و«أنّىٰ» هذه شرطية.

و«حيثما» كقوله عليه السلام: «فَهُوَ عَبْدٌ لَهَا (الدنيا) وَلِمَنْ فِي يَدَيْهِ شَيْءٌ مِنْهَا حَيْثُمَا زَالَتْ زَالَ إِلَيْهَا وَحَيْثُمَا أَقْبَلَتْ أَقْبَلَ عَلَيْهَا».[٤]

---

١. نهج البلاغة، كلمة ٤٠٤.

٢. نهج البلاغة، الخطبة ١٢١.

٣. نهج البلاغة، كلمة ٧٩.

٤. نهج البلاغة، الخطبة ١٠٩.

الفرق بين «إن» و«إذا» و«لو»

الأصل في «إن» أن يستعمل عند عدم قطع المتكلّم بوقوع الشرط في المستقبل، والأصل في «إذا» أن يستعمل عند القطع بوقوعه، والأصل في «لو» أن يستعمل عند القطع بعدم وقوع الشرط، فيفيد في الغالب امتناع الجزاء لامتناع الشرط، وقد تخرج كلّ واحد من تلك الأدوات عن مجاريها الأصلية ويستعمل في غيره.

ثمّ قالوا: من ثمّ وجب في «إن» أن يتلوها الفعل المضارع لاحتمال وقوعه وعدمه دون الماضي، وأمّا «إذا» فيجب -كما قالوا- أن يتلوها الفعل الماضي لكونه مقطوع الوقوع دون المضارع، وأمّا «لو» فيجب أن يكون مدخوله ماضياً معلوم الانتفاء وكذلك جواب الشرط، فالجملتان -الشرط والجزاء- فعليتان ماضويتان. ومثّلوا للأولين بقوله تعالى: ﴿فَإِذا جاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قالُوا لَنا هذِهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسى وَمَنْ مَعَهُ﴾[١] وللأخير بقوله تعالى: ﴿لَوْ كانَ فيهِما آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتا﴾.[٢]

وقد قالوا في وجه الخروج عن مقتضىٰ الأصل أسباباً:

منها: التجاهل، نحو قول المعتذر: «إن كنت فعلت هذا فمن خطأ».

ومنها: تنزيل المخاطب منزلة الجاهل لمخالفة عمله لعلمه، كقولك للمتكبّر: «إن كنت من تراب فلاتفتخر».

ومنها: ما يقرب ممّا ذكر ولا حصر فيما ذكر بل المرجع فيه الذوق السليم.

---

١. الأعراف: ١٣١.

٢. الأنبياء: ٢٢.

هذا في «إن»، وأمّا في «إذا» فيستعمل في موارد الشكّ للإشعار بأُمور:

منها: أنّه لاينبغي أن يكون مشكوكاً فيه، كقولك: «إذا كثر المطر في هذا العام أخصب الناس».

ومنها: التفاؤل، ولذلك يجعل نزول المطر المشكوك فيه بمنزلة معدوم الوقوع من باب «تفألوا بالخير تجدوه» إن شاء الله تعالىٰ.

أقول: لنا كلام في ما أفادوه، وذلك لأنّ دخول «إن» علىٰ الفعل الماضي في ما نراه في الكتاب العزيز وكلمات الفصحا والبلغاء كثير جدّاً، وإليك نماذج:

منها: قال الله تعالىٰ: ﴿إِنْ جاءَكُمْ فاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا﴾[١] وقال تعالىٰ: ﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ﴾[٢] وقال تعالىٰ في قصّة بني إسرائيل: ﴿وَإِنْ عُدْتُمْ عُدْنا﴾[٣] وقال تعالىٰ: ﴿وَإِنْ قيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا﴾[٤] وقوله تعالىٰ: ﴿وَإِنْ طائِفَتانِ مِنَ الْمُؤْمِنينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُما﴾[٥] وقوله سبحانه: ﴿إِنِ امْرَأَةٌ خافَتْ مِنْ بَعْلِها نُشُوزاً أَوْ إِعْراضا﴾[٦] وقوله سبحانه: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ عَلى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كاتِباً فَرِهانٌ مَقْبُوضَةٌ﴾[٧] وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكينَ اسْتَجارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلامَ

---

١. الحجرات: ۶.

٢. الإسراء: ٧.

٣. الإسراء: ٨.

۴. النور: ٢٨.

۵. الحجرات: ٩.

۶. النساء: ١٢٨.

٧. البقرة: ٢٨٣.

اللّه﴾[١] وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ فاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَزْواجِكُمْ إِلَى الْكُفّارِ﴾[٢] وأمثالها كثيرة، فلا أساس لما قالوه من عدم جواز دخول «إن» علىٰ الفعل الماضي إلّا بدواع مخصوصة مرّت إليها الإشارة، وذلك لأنّا لانجد انطباق تلك الوجوه علىٰ هذه الآيات الشريفة فلاحظ.

فالصحيح جواز دخوله علىٰ الفعل الماضي مطلقاً، ولٰكنّ التحقيق أنّ الفعل الماضي في هذه الموارد ماض لفظاً لا معنىً بحسب الإرادة الجدّية، وذلك لأنّ المستفاد عرفاً في هذه الموارد عدم دخل خصوصية الزمان في ترتّب الجزاء علىٰ الشرط، وأنّ المراد بحسب اللبّ والإرادة الجدّية في مثل ﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُم﴾[٣] أنّ الإحسان إلىٰ الغير مردّه إلىٰ الإحسان إلىٰ النفس، وفي مثل قوله تعالى: ﴿إِنْ جاءَكُمْ فاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا﴾[٤] أنّ خبر الفاسق موضوع لوجوب التبيّن ولايجوز اتّباعه بدون ذلك.

ولايحتمل أحد من هذين الكلامين أنّ الإحسان وإن كان واقعاً في الزمان الماضي كان كذلك، فإن وقع في المستقبل لم يترتّب عليه الأثر، وخبر الفاسق إن صدر

---

١. التوبة: ٦.
٢. الممتحنة: ١١.
٣. الإسراء: ٧.
٤. الحجرات: ٦.

في الماضي كان حكمه ذلك وإن صدر في المستقبل فلا، فإنّ ذلك بديهي البطلان. فقس عليه سائر الموارد وكأنّه لقرينة عامّة دلّت علىٰ ترتّب الجزاء علىٰ مادّة الشرط من دون دخل للزمان في أمثال هذه الموارد.

وأمّا ما ذكر من دخول «إذا» علىٰ الفعل الماضي فالاستقراء يؤيّده، كقوله تعالى: ﴿إِذا جاءَ نَصۡرُ اللَّهِ وَالۡفَتۡح﴾[١] وقوله تعالىٰ: ﴿إِذا زُلۡزِلَتِ الۡأَرۡضُ زِلۡزالَها﴾[٢] قوله تعالى: ﴿وَإِذا رَأَيۡتَ الَّذينَ يَخُوضُونَ في آياتِنا﴾[٣] وقوله تعالىٰ: ﴿وَإِذا أَنۡعَمۡنا عَلَى الۡإِنۡسانِ أَعۡرَضَ وَنَأىٰ بِجانِبِهِ﴾[٤] وقوله تعالىٰ: ﴿وَإِذا قيلَ لَهُمۡ تَعالَوۡا يَسۡتَغۡفِرۡ لَكُمۡ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوۡا رُؤُسَهُمۡ﴾[٥] وقوله تعالىٰ: ﴿إِذا جاءَكَ الۡمُنافِقُونَ﴾[٦] وقوله سبحانه: ﴿وَإِذا رَأَيۡتَهُمۡ تُعۡجِبُكَ أَجۡسامُهُمۡ﴾[٧] وقوله سبحانه: ﴿وَإِذا خاطَبَهُمُ الۡجاهِلُونَ قالُوا سَلاما﴾[٨] وقوله تعالىٰ: ﴿وَإِذا ما غَضِبُوا هُمۡ يَغۡفِرُون﴾،[٩] إلىٰ غير ذلك من موارد الاستعمال.

---

١. النصر: ١.
٢. الزلزلة: ١.
٣. الأنعام: ٦٨.
٤. الإسراء: ٨٣.
٥. المنافقون: ٥.
٦. المنافقون: ١.
٧. المنافقون: ٤.
٨. الفرقان: ٦٣.
٩. الشورى: ٣٧.

كما أنّ تتبّع موارد الاستعمال في «لو» أيضاً يؤيّد ما أفادوه من كونه مفيداً لامتناع الجزاء لامتناع الشرط، كقوله تعالىٰ: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾.[١]

وكقول أمير المؤمنين عليه السلام: «فَإِنَّكُمْ لَوْ قَدْ عَايَنْتُمْ مَا قَدْ عَايَنَ مَنْ مَاتَ مِنْكُمْ لَجَزِعْتُمْ وَوَهِلْتُمْ وَسَمِعْتُمْ وَ أَطَعْتُمْ وَلَكِنْ مَحْجُوبٌ عَنْكُمْ مَا قَدْ عَايَنُوا وَقَرِيبٌ مَا يُطْرَحُ الْحِجَاب».[٢]

المبحث التاسع: التقييد بالنفي

قال في الجواهر: «التقييد بالنفي يكون لسلب النسبة علىٰ وجه مخصوص ممّا تفيده أحرف النفي السبعة وهي «لا» و«ما» و«لات» و«إن» و«لن» و«لم» و«لمّا»، ثمّ أخذ في بيان خصوصيات مدلولها.

أقول: وكان ينبغي ضمّ «ليس» إليها وإن لم يكن حرفاً علىٰ المشهور، لأنّ محلّ الكلام تقييد الجملة الخبرية بشيء وعدّ من المقيّدات النفي وليس أيضاً لسلب الإسناد كـ «ما» و«لا» الداخلتين علىٰ الجملة الإسمية المشبّهتين بليس وكذا «لا التي لنفي الجنس» العاملة عمل «إنّ»، وعلىٰ كلّ حال لا أرىٰ وجهاً للسكوت عن «ليس» ولتخصيص محلّ البحث بأحرف النفي كي لايشمل مثل ليس.

المبحث العاشر: التقييد بالمفاعيل الخمسة

---

١. الأنبياء: ٢٢.

٢. نهج البلاغة، الخطبة ٢٠.

قال في الجواهر: «التقييد بها يكون لبيان نوع الفعل أو ما وقع عليه أو لأجله أو فيه أو بمقارنته.

أقول: والأول بالتقييد بالمفعول المطلق، والثاني بالمفعول به، والثالث بالمفعول له، والرابع بالمفعول فيه (الظرف)، والخامس بالمفعول معه.

وقال: «ويقيّد بالحال لبيان هيئة صاحبها وبالتمييز لرفع الإبهام عن ذات أو نسبة».

أقول: وأمّا الأول كقوله عليه السلام: «بَلِ انْدَمَجْتُ عَلَى مَكْنُونِ عِلْمٍ لَوْ بُحْتُ بِهِ لَاضْطَرَبْتُمْ اضْطِرَابَ الْأَرْشِيَةِ فِي الطَّوِيِّ الْبَعِيدَةِ»،[1] ومحلّ الشاهد قوله عليه السلام «اضطراب الأرشية».

وقول ابن الجوزي:

أقسمت بالله وآلائه	ألية ألقىٰ بها ربّي
إنّ علي بن أبي طالب	إمام أهل الشرق والغرب
من لم يكن مذهبه مذهبي	فإنّه أنجس من كلب[2]

ومحلّ الشاهد قوله «ألية ألقىٰ».

وكقول الشافعي:

يا راكباً قف بالمحصّب من منىٰ   واهتف بقاعد خيفها والناهض

١. نهج البلاغة، الخطبة ٥.

٢. سفينة البحار، ١: ٦٩٧.

سحراً إذا فاض الحجيج إلىٰ منىٰ　　فيضاً كملتطم الفرات الفائض
إن كان رفضاً حبّ آل محمّد　　فليشهد الثقلان أنّي رافضي[١]

ومحلّ الشاهد قوله «فيضاً كملتطم ...»

والثاني: كقوله عليه السلام: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَا يَبْلُغُ مِدْحَتَهُ الْقَائِلُونَ وَلَا يُحْصِي نَعْمَاءَهُ الْعَادُّونَ وَلَا يُؤَدِّي حَقَّهُ الْمُجْتَهِدُون»،[٢] وقد قدّم المفعول به علىٰ الفاعل.

والثالث: كقوله عليه السلام: «أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا اللَّهَ فَمَا خُلِقَ امْرُؤٌ عَبَثاً فَيَلْهُو».[٣]

وكقوله عليه السلام في الخطبة التي المعروف بخطبة همّام: «فَإِذَا مَرُّوا بِآيَةٍ فِيهَا تَشْوِيقٌ رَكَنُوا إِلَيْهَا طَمَعا».[٤]

وكقول صاحب بن عبّاد:

لكن جحدتم محلّه حسداً　　ونلتم في العناد أقصاه[٥]

ومحلّ الشاهد حسداً، والضمير راجع إلى علي عليه السلام.

وكقوله عليه السلام: «وَاللَّهِ لَأُسْلِمَنَّ مَا سَلِمَتْ أُمُورُ الْمُسْلِمِينَ وَلَمْ يَكُنْ فِيهَا جَوْرٌ إِلَّا عَلَيَّ خَاصَّةً الْتِمَاساً لِأَجْرِ ذَلِك»،[٦] ومحلّ الشاهد التماساً.

---

١. مناقب الشافعي للبيهقي، ٢: ٧١.
٢. نهج البلاغة، الخطبة ١.
٣. نهج البلاغة، كلمة ٣٧٠.
٤. نهج البلاغة، الخطبة ١٩٣.
٥. علي في الكتاب والسنّة والأدب، ١: ١١٦.
٦. نهج البلاغة، الخطبة ٧٤.

وكقول الكميت:

طربت وما شوقاً إلى البيض أطرب ولا لعباً منّي وذو الشيب يلعب[١]

فـ «شوقاً» و«لعباً» كلاهما مفعول له.

والرابع: كقول الكميت:

ويوم الدوح دوح غدير خمّ أبـا له الولاية لـو أطيعا[٢]

ومحلّ الشاهد يوم الدوح.

وكقول الشافعي في الشعر المتقدّم:

سحراً إذا فاض الحجيج إلىٰ منىٰ دفعاً كملتطم الفرات الفائض[٣]

ومحلّ الشاهد قوله سحراً.

وكقول أبي التمّام:

ويوم الغدير استوضح الحقّ أهله بضحياء لا فيها حجاب ولا ستر[٤]

ومحلّ الشاهد يوم الغدير.

والخامس: كقولهم: «كلّ صانع وما صنع»، والخبر محذوف وهو «مقترن».

وأمّا السادس وهو الحال، كقوله عليه السلام: «مَنْ مَاتَ مِنْكُمْ عَلَى فِرَاشِهِ وَهُوَ عَلَى

---

١. كنز الفوائد، ١: ٢٨٩.

٢. كنز الفوائد، ١: ٣٣٣.

٣. مناقب الشافعي للبيهقي، ٢: ٧١.

٤. مناقب آل أبي طالب عليهم السلام، ٣: ٤١.

مَعْرِفَةِ حَقِّ رَبِّهِ وَحَقِّ رَسُولِهِ وَأَهْلِ بَيْتِهِ مَاتَ شَهِيدا».[١]

محلّ الشاهد هو قوله عليه السلام «وهو علىٰ معرفة» إذ الجملة حالية، وكذا قوله عليه السلام «شهيداً» فإنّه حال عن فاعل مات وهو ضمير مستتر.

وأمّا السابع وهو التمييز، كقوله عليه السلام: «فَكَفَى بِالْجَنَّةِ ثَوَاباً وَنَوَالًا وَكَفَى بِالنَّارِ عِقَاباً وَوَبَالًا وَكَفَى بِاللَّهِ مُنْتَقِماً وَنَصِيراً وَكَفَى بِالْكِتَابِ حَجِيجاً وَخَصِيما»،[٢] والباء في «باللّه» زائدة علىٰ المشهور، وكقوله عليه السلام في وصف المؤمن: «أَوْسَعُ شَيْءٍ صَدْراً وَأَذَلُّ شَيْءٍ نَفْساً»،[٣] وكقوله عليه السلام في وصف محمّد بن أبي بكر بعد استشهاده: «فَعِنْدَ اللَّهِ نَحْتَسِبُهُ وَلَداً نَاصِحاً وَعَامِلًا كَادِحاً وَسَيْفاً قَاطِعاً وَرُكْناً دَافِعا»،[٤] وكقوله عليه السلام: «وَكُنْتُ أَخْفَضَهُمْ صَوْتاً وَأَعْلَاهُمْ فَوْتاً».[٥]

تنبيه

قد ذكرنا في مبدأ البحث أنّ من وجوه التقييد -بل من أقواها- الاستثناء وقد أغفله في الجواهر، كقوله تعالىٰ: ﴿وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا

---

١. نهج البلاغة، الخطبة ١٩٠.

٢. نهج البلاغة، الخطبة ٨٣.

٣. نهج البلاغة، كلمة ٣٣٣.

٤. نهج البلاغة، الكتاب ٣٥.

٥. نهج البلاغة، الخطبة ٣٧.

وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ﴾[١] وكقوله تعالىٰ: ﴿وَالشُّعَراءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغاوُونَ ... إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيراً وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ ما ظُلِمُوا﴾.[٢]

وكقوله عليه السلام: «فَحَقُّ الْوَالِدِ عَلَى الْوَلَدِ أَنْ يُطِيعَهُ فِي كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ»،[٣] وكقوله عليه السلام: «وَلَمْ يَجْمَعْ بَيْتٌ وَاحِدٌ يَوْمَئِذٍ فِي الْإِسْلَامِ غَيْرَ رَسُولِ اللَّهِ وَخَدِيجَةَ وَأَنَا ثَالِثُهُمَا أَرَى نُورَ الْوَحْيِ وَالرِّسَالَةِ وَأَشُمُّ رِيحَ النُّبُوَّةِ».[٤]

ومحلّ الشاهد قوله عليه السلام «غير رسول الله»، فإنّ غير من أدوات الاستثناء ويكون المستثنىٰ به مجروراً.

وكقول السيّد الحميري في حقّ علي عليه السلام:

ما لفّ في خرق القوابل مثله إلّا ابن آمنة النبي محمّد

وقبله:

ولدته في حرم الإلٰه وأمنه والبيت حيث فناؤه والمسجد

في ليلة غابت نحوس نجومها وبدت مع القمر المنير الأسعد[٥]

---

١. العصر: ١-٣.

٢. الشعراء ٢٢٤-٢٢٧.

٣. نهج البلاغة، كلمة ٣٩٩.

٤. نهج البلاغة، الخطبة ١٩٢.

٥. مناقب آل أبي طالب عليهم السلام، ٢: ١٧٥.

الباب السادس

أحوال متعلّقات الفعل

متعلّقات الفعل

والمراد من متعلّقات الفعل، الفاعل والمفعول وما يتبعهما ويرافقهما ممّا تقدّم شرحه، فقد يحذف الفاعل ويسند الفعل إلىٰ المفعول ويبنىٰ مجهولاً حينئذ، فيقال بدل ضرب زيدٌ عمرواً «ضُرب عمروٌ»، ويرفع المفعول نائباًعن الفاعل.

والوجه فيه أغراض كثيرة كوضوحه نحو ﴿وَخُلِقَ الْإِنْسانُ ضَعيفاً﴾،[1] وعدم معرفته كـ«سُرق المتاع» إذا جهل السارق، أو خوف ذكره أو المحافظة علىٰ السجع أو النفرة عن ذكره، كقول بشير بن جذلم:

يـا أهل يـثرب لا مقـام لكم بها ... قُتل الحسين فأدمعي مدرار

الجســم منــه بكربـلا مــضرّج ... والرأس منه على القناة يدار[2]

أو استهجان ذكره، كقولهم: «قد قيل ما قيل».

---

١. النساء: ٢٨.

٢. اللهوف: ١٩٨.

ومن هذه الموارد قوله عليه السلام: «وَلَقَدْ قُبِضَ رَسُولُ اللَّهِ وَإِنَّ رَأْسَهُ لَعَلَى صَدْرِي»،[١] فإنّ القابض معلوم وهو ملك الموت بأمر اللّٰه.

وكقوله عليه السلام: «حَتَّى صِرْتُ أُقْرَنُ إِلَى هَذِهِ النَّظَائِرِ»،[٢] والفاعل جهّال الاُمّة، ووجه حذفه عدم الفائدة في ذكره، إذ الخطب في أصل المقارنة وكأنّه لم يذكر هذا الوجه وهو وجه شائع.

وكقوله عليه السلام: «لَتُبَلْبَلُنَّ بَلْبَلَةً وَلَتُغَرْبَلُنَّ غَرْبَلَةً ...»[٣] والفاعل محذوف وهو حكومة العدل الموجبة لتغيّر الأحوال وانقلاب الأدوار وحدوث الأهوال. أعاذنا اللّٰه من الفتنة.

تقديم المفعول على الفعل والفاعل

وأمّا إذا ذكر الفاعل مع المفعول، فالأصل تأخير المفعول، وقد يقدّم علىٰ الفعل والفاعل لأغراض:

منها: إفادة الحصر، كقوله تعالىٰ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾.[٤]

ومنها: التبرّك والتلذّذ بذكره.

١. نهج البلاغة، الخطبة ١٩٧.

٢. نهج البلاغة، الخطبة ٣.

٣. نهج البلاغة، الخطبة ١٦.

٤. الفاتحة:.

ومنها: مراعاة السجع والقافية.

ومنها غير ذلك ممّا يدركه الذوق السليم.

والأصل في كلّ عامل أن يتقدّم علىٰ المعمول، وفي كلّ عمدة أن يتقدّم علىٰ الفضلة. ولايخرج عن مقتضاه إلّا لأغراض من قبيل ما ذكر في الأشباه والنظائر.

ثمّ إنّه لايذهب عليك أنّ من أهمّ أسباب التقدّم كون المتقدّم ممّا له الصدر كأسماء الشرط، مثل «من نصرتَ نصرتُ» و«ما تأكل آكل» والاستفهام كـ «من نصرت» و«ما أكلت».

الباب السابع

القصــر

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: طرق الحصر

المبحث الثاني: تقسيم القصر إلىٰ حقيقي وإضافي

المبحث الثالث: تقسيم القصر إلىٰ قصر الصفة علىٰ الموصوف وقصر الموصوف علىٰ الصفة

المبحث الرابع: انقسام القصر الإضافي إلىٰ ثلاثة أقسام

تعريف القصر

وشاع التعبير عنه بالحصر وهو لغة الحبس، واصطلاحاً تخصيص أمر بآخر أو إثبات حكم لشيء ونفيه عن غيره، وفيه مباحث:

المبحث الأول: طرق الحصر

وهي كثيرة وأشهرها أربعة:

الأول: النفي والاستثناء، كقول القائل: «لا فتىٰ إلّا علي لا سيف إلّا ذوالفقار».

الثاني: إنّما، كقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّما وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذينَ آمَنُوا الَّذينَ يُقيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكاةَ وَهُمْ راكِعُون﴾[1] وكقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّما يُريدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهيرا﴾.[2]

وكقوله عليه السلام في كتابه لابنه الحسن عليه السلام: «إِنَّمَا قَلْبُ الْحَدَثِ كَالْأَرْضِ الْخَالِيَةِ مَا أُلْقِيَ فِيهَا مِنْ شَيْءٍ قَبِلَتْه».[3]

---

١. المائدة: ٥٥.

٢. الأحزاب: ٥٥.

٣. نهج البلاغة، الكتاب ٣١.

الثالث: العطف بـ«لا» بعد الإثبات، كقولك: «الأرض متحرّكة لا ثابتة».

و«بل» كقولك: «ليس زيد بحيّ بل ميّت»، و«لٰكن» كقولك: «ليس زيد بقائم لكنّه قاعد».

أقول: وكـ«حتّىٰ» في مثل قوله عليه السلام : «لَا يَكُونُ الصَّدِيقُ صَدِيقاً حَتَّى يَحْفَظَ أَخَاهُ فِي ثَلَاثٍ فِي نَكْبَتِهِ وَغَيْبَتِهِ وَوَفَاتِه».[١]

الرابع: تقديم ما حقّه التأخير، نحو ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعين﴾،[٢] فيفيد قصر المتأخّر علىٰ المتقدّم.

وأمّا «إنّما» فيفيد قصر مدخوله علىٰ المتأخّر منه، نحو ﴿إِنَّما وَلِيُّكُمُ﴾ فإنّه يدلّ علىٰ قصر الولي علىٰ ﴿اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذينَ آمَنُوا ...﴾.[٣]

وأمّا «النفي» و«الاستثناء» فيفيد قصر مدخول النفي في المستثنىٰ كقصر الفتىٰ علىٰ علي عليه السلام و«لا فخر إلّا بالعلم» ومنه ما نسب إلى أمير المؤمنين عليه السلام :

لا فخر إلّا لأهل العلم إنّهم — على الهدى لمن استهدى أدلّاء
يا طالب العلم لاتطلب له بدلاً — كالناس موتى وأهل العلم أحياء

وأمّا البواقي فمعلومة بأدنىٰ تأمّل.

ثمّ إنّه علم من عبارتنا في صدر البحث -تبعاً للقوم- أنّ دوالّ القصر غير

١. نهج البلاغة، كلمة ١٣٤.
٢. الفاتحة: .
٣. المائدة: ٥٥.

منحصرة في هذه الأربعة، فلا بأس بالإشارة إلىٰ بعضها:

منها: ما تقدّم من صاحب جواهر البلاغة وصرّح به غيره من دلالة تعريف المسند علىٰ قصره علىٰ المسند إليه كقوله: «سعيد الزعيم».

ومنها: ما صرّح به بعض آخر من دلالة تعريف المسند إليه بـ «لام الجنس» المقصود منه الاستغراق علىٰ قصر المسند إليه إمّا حقيقياً كقوله تعالىٰ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِين﴾[1] أي له تعالىٰ لا لغيره مطلقاً؛ وإمّا إضافياً كقوله تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾[2] أي لا في الربح والفائدة. وهكذا يدلّ عليه ما يدلّ علىٰ القصر بالمطابقة كقولك: الشاعر مقصور علىٰ زيد أو منحصر في زيد أو يقصر أو ينحصر الشاعر في زيد.

وكذلك يدلّ عليه بنحو آخر كلفظة «فقط» كما تقول: زيد فقط شاعر أو شاعر فقط، ووحده كأن تقول: زيد وحده شاعر أي دون غيره.

ومداليلها من حيث قصر الصفة علىٰ الموصوف أو الموصوف علىٰ الصفة مختلفة ولٰكنّها واضحة للأفهام العرفية السليمة، فلا حاجة إلىٰ الإطالة.

المبحث الثاني: تقسيم القصر إلىٰ حقيقي وإضافي

أمّا القصر الحقيقي فهو تخصيص المقصور علىٰ المقصور عليه حقيقة وعلىٰ

---

١. الفاتحة: ٢.

٢. العصر: ١-٢.

الإطلاق، كقولنا: «لا إله إلّا اللّه»؛ وأمّا القصر الإضافي فهو عبارة عن تخصيص المقصور علىٰ المقصور عليه بالإضافة إلىٰ فرد خاص لا بالقياس إلىٰ جميع ماعداه، كما تقول: «زيد قاتل لا عمرو» بخلاف ما إذا قلت: «زيد قاتل لا غيره»، وكما قلت: «ما خليل إلّا مسافر» أي لا حاضر، لا أنّه ليس له صفة مطلقاً إلّا كونه مسافراً.

ثمّ إنّه كان من اللائق بالذكر انقسام القصر الحقيقي إلى قسمين: حقيقي واقعي وحقيقي ادّعائي، كقولهم «ما الشاعر إلّا زيد» فينزّل شاعرية غيره منزلة العدم.

المبحث الثالث: تقسيم القصر إلىٰ قصر الصفة علىٰ الموصوف وقصر الموصوف علىٰ الصفة

ينقسم القصر باعتبار طرفيه إلىٰ قصر الصفة علىٰ الموصوف، مثل: «لا رازق إلّا اللّه»، وقصر الموصوف علىٰ الصفة، كقولك: «ما زيد إلّا شاعر»، وهو إنّما يصحّ بأحد وجهين: إمّا أن يكون حقيقيّاً ادعائيّاً بفرض سائر صفاته كالعدم، وإمّا أن يكون إضافيّاً يعني شاعر لا فقيه مثلاً، فالمقصود به نفي صفة خاصّة منه.

المبحث الرابع: انقسام القصر الإضافي إلىٰ ثلاثة أقسام

ينقسم القصر الإضافي سواء كان من قبيل قصر الصفة علىٰ الموصوف أم قصر الموصوف علىٰ الصفة -باعتبار حالات المخاطب- إلىٰ ثلاثة أقسام:

١. قصر إفراد: وذلك إذا كان المخاطب معتقداً بالشركة، كما إذا اعتقد شركة

زيد وعمرو في القتل فقلت: «ما القاتل إلّا زيد» ومعناه نفي شركة عمرو في ذلك.

٢. قصر قلب: وذلك إذا كان المخاطب معتقداً عكس ذلك، كما إذا كان معتقداً بكون القاتل عمرو فقلت له «ما القاتل إلّا زيد».

٣. قصر تعيين: وذلك إذا كان المخاطب متردّداً في ذلك فلايدري هل القاتل زيد أو عمرو فقلت له «ما القاتل إلّا زيد».

أقول: والأمر سهل لأنّه لا فائدة في التفاصيل التي لا أثر له أو لا ثمرة تترتّب عليها، وإلّا فيمكن تكثير التفاصيل بأن يقال في الموصوف والصفة، الموصوف إمّا أن يكون من الجواهر أو من الأعراض أو من الاعتباريات، فإن كان من الجواهر فإمّا أن يكون من ذوات الأرواح أو غيرها، وعلىٰ تقدير كونه من ذوات الأرواح فإمّا أن يكون من ذوي العقول أو لا.

وللصفة أيضاً أنواع: فإنّها إمّا أن يكون أمراً اختيارياً أو غير اختياري، وعلىٰ تقدير كونه اختيارياً فإمّا أن يكون ممدوحاً أو مذموماً، وعلىٰ التقديرين فإمّا أن يكون من الصفات الشائعة أو من الصفات النادرة وهكذا إلىٰ أن يتسلسل.

نماذج من القصر في كلمات الإمام عليه السلام

قوله عليه السلام: «إِنَّمَا الْأَئِمَّةُ قُوَّامُ اللَّهِ عَلَى خَلْقِهِ وَعُرَفَاؤُهُ عَلَى عِبَادِهِ وَلَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ عَرَفَهُمْ وَعَرَفُوهُ وَلَا يَدْخُلُ النَّارَ إِلَّا مَنْ أَنْكَرَهُمْ وَأَنْكَرُوه»،[1] فأداة القصر «إنّما»

---

١. نهج البلاغة، الخطبة ١٥٢.

ومن قصر الصفة على الموصوف، لأنّه عليه السلام حصر هذه الأوصاف في الأئمّة عليهم السلام والقصر حقيقي وأمّا الرسول صلى الله عليه وآله فهو صدر الأئمّة.

وقوله عليه السلام: «إِنَّمَا مَثَلِي بَيْنَكُمْ كَمَثَلِ السِّرَاجِ فِي الظُّلْمَةِ يَسْتَضِيءُ بِهِ مَنْ وَلَجَهَا»،[١] فأداة الحصر «إنّما» ومن قصر الموصوف على الصفة والحصر إضافي يعني مثل السراج في الظلمة لا مثل ما لا يضيء.

وقوله عليه السلام: «إِنَّمَا هِيَ نَفْسِي أَرُوضُهَا بِالتَّقْوَى لِتَأْتِيَ آمِنَةً يَوْمَ الْخَوْفِ الْأَكْبَرِ وَتَثْبُتَ عَلَى جَوَانِبِ الْمَزْلَقِ»،[٢] فأداة الحصر «إنّما» وهي من حصر الموصوف على الصفة والحصر إضافي، لأنّ المقصود بالحصر نفي هذه الحالة فقط لا نفي جميع الحالات والصفات عنها.

وقوله عليه السلام: «فَإِنَّمَا أَهْلُهَا كِلَابٌ عَاوِيَةٌ وَسِبَاعٌ ضَارِيَةٌ يَهِرُّ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ وَيَأْكُلُ عَزِيزُهَا ذَلِيلَهَا وَيَقْهَرُ كَبِيرُهَا صَغِيرَهَا»،[٣] فأداة الحصر فيه «إنّما» وهي من قصر الموصوف على الصفة مع كون الحصر إضافي.

وقوله عليه السلام: «وَإِنَّمَا قَلْبُ الْحَدَثِ كَالْأَرْضِ الْخَالِيَةِ مَا أُلْقِيَ فِيهَا مِنْ شَيْءٍ قَبِلَتْهُ»،[٤] والحصر بـ«إنّما» وهي من قصر الموصوف على الصفة والقصر إضافياً.

---

١. نهج البلاغة، الخطبة ١٨٧.
٢. نهج البلاغة، الكتاب ٤٥ وهو كتابه عليه السلام إلى عثمان بن حنيف الأنصاري.
٣. نهج البلاغة، الكتاب ٣١.
٤. نهج البلاغة، الكتاب ٣١.

وقوله عليه السلام: «فَإِنَّمَا مَثَلُ الدُّنْيَا مَثَلُ الْحَيَّةِ لَيِّنٌ مَسُّهَا قَاتِلٌ سَمُّهَا»،[١] والقصر بـ «إنّما» وهي من قصر الموصوف علىٰ الصفة مع كونه إضافياً.

وقوله عليه السلام: «وَلَا يَحْمِلُ هَذَا الْعَلَمَ إِلَّا أَهْلُ الْبَصَرِ وَالصَّبْرِ»،[٢] وأداة القصر «النفي مع الاستثناء» والقصر حقيقي ومن قصر الصفة علىٰ الموصوف، إذ المراد أنّ صفة حمل هذا العلم مقصور علىٰ أهل البصر والصبر.

وقوله عليه السلام: «لَاتَرَى الْجَاهِلَ إِلَّا مُفْرِطاً أَوْ مُفَرِّطا»،[٣] وأداة القصر «النفي والاستثناء» وهي من قسم قصر الموصوف علىٰ الصفة، والظاهر كونه حقيقياً، لأنّ جميع ما يصدر من الجاهل من مصاديق أحدهما حتّىٰ أكله ونومه وتكلّمه وغير ذلك.

وقوله عليه السلام: «وَلَقَدْ كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ نَقْتُلُ آبَاءَنَا وَأَبْنَاءَنَا وَإِخْوَانَنَا وَأَعْمَامَنَا مَا يَزِيدُنَا ذَلِكَ إِلَّا إِيمَاناً وَتَسْلِيماً وَمُضِيّاً عَلَى اللَّقَمِ وَصَبْراً عَلَى مَضَضِ الْأَلَمِ وَجِدّاً فِي جِهَادِ الْعَدُوِ»،[٤] وأداة القصر «النفي والاستثناء» والقصر إضافي في مقابل ضدّه خاصّة ومن قصر الموصوف علىٰ الصفة.

وقوله عليه السلام: «إِنَّهُ لَيْسَ عَلَى الْإِمَامِ إِلَّا مَا حُمِّلَ مِنْ أَمْرِ رَبِّهِ الْإِبْلَاغُ فِي الْمَوْعِظَةِ وَالِاجْتِهَادُ فِي النَّصِيحَةِ وَالْإِحْيَاءُ لِلسُّنَّةِ وَإِقَامَةُ الْحُدُودِ عَلَى مُسْتَحِقِّيهَا وَإِصْدَارُ

١. نهج البلاغة، الكتاب ٦٨.
٢. نهج البلاغة، الخطبة ١٧٣.
٣. نهج البلاغة، كلمة ٧٠.
٤. نهج البلاغة، الخطبة ٥٦.

السُّهْمَانِ عَلَى أَهْلِهَا»،[١] فإنّ القصر فيه بـ «النفي والاستثناء» ومن قصر الموصوف علىٰ الصفة والقصر حقيقي، لأنّ وظائف الإمام منحصر في ما أفاده عليه السلام.

وقد يقوم مقام «إلّا» في الدلالة علىٰ الحصر كلمات كـ «حتّىٰ» في مثل قوله عليه السلام: «وَاللَّهِ مَا أَرَى عَبْداً يَتَّقِي تَقْوَى تَنْفَعُهُ حَتَّى يَخْزُنَ لِسَانَه ... وَلَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ لَا يَسْتَقِيمُ إِيمَانُ عَبْدٍ حَتَّى يَسْتَقِيمَ قَلْبُهُ وَلَا يَسْتَقِيمُ قَلْبُهُ حَتَّى يَسْتَقِيمَ لِسَانُه».[٢]

فهو في قوّة أن يقال: لايستقيم إيمان عبد إلّا أن يستقيم لسانه ...، فدلالته علىٰ الحصر واضحة والقصر حقيقي لعدم تحقّق المشروط بدون شرطه مطلقاً ومن قصر الموصوف علىٰ الصفة.

وقوله عليه السلام: «فَالْمُتَّقُونَ فِيهَا هُمْ أَهْلُ الْفَضَائِلِ»،[٣] فإنّ تعريف المسند إليه بلام الاستغراق من أدوات الحصر، والحصر فيه حصر الموصوف علىٰ الصفة، والحصر إضافي ظاهراً، وذلك لأنّه في مقام نفي الرذائل فقط لا كلّ صفة ليست برذيلة ولا فضيلة كالحالات الشخصية مثل النوم والأكل.

وهذه غيض من فيض ونمّ من يمّ و للّه الحمد ربّ العالمين.

---

١. نهج البلاغة، الخطبة ١٠٥.

٢. نهج البلاغة، الخطبة ١٧٦.

٣. نهج البلاغة، الخطبة ١٩٣.

الباب الثامن

الوصل والفصل

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: مواضع الوصل

المبحث الثاني: مواضع الفصل

الوصل والفصل

والمراد وصل الجمل بالعطف بالواو وفصلها كذلك.

قال في الجواهر: قد سئل بعض البلغاء عن البلاغة فقال: هي معرفة الفصل والوصل، ثمّ قال: وشرط الوصل بالعطف بالواو أن يكون بين الجملتين جامع كالموافقة في نحو «زيد يقرأ ويكتب» وكالمضادّة في نحو «يضحك ويبكي».

وإنّما كانت المضادّة بمنزلة الموافقة، لأنّ الذهن ينتقل من تصوّر أحدهما إلىٰ الآخر كالعلم والجهل والسواد والبياض والنور والظلمة وهكذا. والجامع يجب أن يكون باعتبار المسند والمسند إليه كليهما كقولنا «خليل قادم وسعيد ذاهب» لوجود الجامع فيهما بين المسند والمسند إليه، بخلاف ما إذا تخلّف أحدهما ك«خليل قادم والبعير ذاهب» أو «سعيد عالم وخليل قصير».

وهٰهنا بحثان:

المبحث الأول: مواضع الوصل

قال: وصل الجملتين بعطف أحدهما علىٰ الآخر بالواو في ثلاثة مواضع:

الموضع الأول: فيما إذا كانت بين الجملتين مناسبة تامّة ولم يكن هناك سبب يقتضي الفصل واتّفقتا في الخبرية أو الإنشائية، كقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ * وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾[١] وقوله تعالىٰ: ﴿فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ﴾.[٢]

ولو كان المراد من الخبر الإنشاء أو من الإنشاء الخبر بحسب اللبّ، والمراد الجدّي لوحظ ما هو المراد منه جدّاً نحو قولك: «إذهب إلىٰ فلان وتقول له كذا وكذا»، فإنّ الجملة الثانية خبر أُريد به الإنشاء أي: وقل له كذا وكذا، فيجب الوصل بعطف أحدهما علىٰ الآخر بالواو.

الموضع الثاني: فيما إذا كان الفصل يوهم خلاف المقصود فيوصل بين الجملتين ولو اختلفتا في الخبرية والإنشائية، كما تقول في جواب من سألك عن برء: «عليّ من مرضه لا وشفاه اللّٰه»، إذ لو ترك الواو يتوهّم السامع أنّك تريد الدعاء عليه.

الموضع الثالث: فيما إذا كان للجملة الأُولىٰ محلّ من الإعراب وأردت تشريك الجملة الثانية لها في الإعراب حيث لا مانع منه، نحو «عليّ يقول ويفعل» فإنّ قولك «يقول» في موضع الرفع بالخبرية وكذلك قولك «ويفعل».

---

١. الانفطار: ١٣-١٤.

٢. الشورى: ١٥.

والأحسن أن تتّفق الجملتان في هذه الصورة في الإسمية والفعلية، والفعليّتان في الماضوية والمضارعية، والإسمية في كون المسند مفرداً أو جملة أو شبه جملة كالظرف والجار والمجرو، ولايحسن العدول عنه إلّا لأغراض مهمّة تدعو إلىٰ خلاف ذلك بإيراد أحدهما اسمية والأُخرىٰ فعليه كإفادة التجدّد والحدوث في الثانية والدوام والثبوت في الأُولىٰ.

أقول: المهمّ من الصور الثلاث هو الصورة الأُولىٰ، وأمّا الصورتان الأخيرتان فملحقة بها لأسباب عارضة منعت من الفصل واقتضت الوصل، فالمدار في الوصل بحسب الذات وجود المناسبة التامّة مع اتّحاد السبك من حيث الخبرية والإنشائية.

وحقّ المطلب يقتضي القول بلزوم الفصل أو حسنه مع انتفاء ما ذكر، لأنّ الفصل والوصل ضدّان لا ثالث لهما، فإذا انتفىٰ أحدهما ثبت الآخر قهراً.

المبحث الثاني: مواضع الفصل

قال في صدر كلامه: «من حقّ الجمل أن تربط بالواو لتكون علىٰ نسق واحد، ولكن قد يعرض ما يوجب تركه، ويسمّىٰ هذا فصلاً ويقع في خمسة مواضع:

الموضع الأول: أن يكون بين الجملتين تباين تامّ ويسمّىٰ بـ«كمال الانقطاع»، وذلك بأن يختلفا خبراً وإنشاءاً كما تقدّم، أو بأن لايكون بينهما مناسبة في المعنىٰ والارتباط، كقولك: «عليّ كاتب والحمّام طائر»، لأنّ العطف للربط وهما في شدّة التباعد وكمال الانقطاع.

الموضع الثاني: أن يكون بين الجملتين اتّحاد تامّ ويسمّىٰ بـ «كمال الاتّصال»، فتكون الجملة الثانية بمنزلة استمرار الجملة الأُولىٰ فيجعل بدلاً منها، كما إذا كان مضمونها بعضاً لمضمون الأول، كقوله تعالىٰ: ﴿أَمَدَّكُمْ بِما تَعْلَمُون * أَمَدَّكُمْ بِأَنْعامٍ وَبَنين﴾،[١] أو بدلًا لها كقوله تعالىٰ: ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطانُ قالَ يا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلى شَجَرَةِ الْخُلْدِ﴾،[٢] أو تكون مؤكّدة لها كقوله تعالىٰ: ﴿فَمَهِّلِ الْكافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْداً﴾،[٣] فلا مجال معها للعطف كما هو واضح، لأنّ عطف الشيء علىٰ نفسه باطل ولابدّ من تغاير بين المعطوف والمعطوف عليه.

الموضع الثالث: أن تكون بين الجملتين رابطة قوية ويسمّىٰ بـ «شبه كمال الاتّصال»، كأن تكون الجملة الثانية جواباً لسؤال مفهوم من الجملة الأُولىٰ، كقوله تعالىٰ: ﴿وَما أُبَرِّئُ نَفْسي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾،[٤] والسؤال المقدّر المفهوم «لم لاتبرّئ نفسك»، فإنّ هاتين الجملتين أيضاً بمنزلة جملة واحدة والثانية متمّم للجملة الأُولىٰ والمجموع جملة واحدة.

الموضع الرابع: أن تكون بين الجملتين جملة متوسّطة حائلة بينهما مانعة عن العطف، ويسمّىٰ بـ «شبه كمال الانقطاع».

---

١. الشعراء، ١٣٢-١٣٣.

٢. طه: ١٢٠.

٣. الطارق: ١٧.

٤. يوسف: ٥٣.

قال الماتن: وهذا المانع الخارجي يمكن دفعه بإقامة القرينة علىٰ المراد وهو عطف الجملة المتأخّرة على الجملة الأُولىٰ.

الموضع الخامس: أن تكون بين الجملتين مناسبة، لكن يمنع من عطفها مانع وهو عدم قصد اشتراكها في الحكم، ويسمّىٰ بـ «التوسّط بين الكمالين».

أقول: أي كمال الاتّصال وكمال الانقطاع، كقوله تعالىٰ: ﴿وَإِذا خَلَوْا إِلى شَياطِينِهِمْ قالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّما نَحْنُ مُسْتَهْزِؤُنَ * اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾،[1] إذ لو قيل «واللّٰه يستهزئ بهم» توهّم أنّه من مقول قول المنافقين.

أقول: وهذا التوهّم لايخطر بالبال لوجود القرينة الجليّة علىٰ أنّه ليس مقولاً لقولهم، والصحيح أنّ وجه الفصل كونه كلاماً مستأنفاً من متكلّم آخر في مقام ردّ السابق فبينهما كمال الانقطاع.

هذه خلاصة ما أُفيد في المقام، ولٰكنّي أذكرك مرّة أُخرى بأنّ الفصل والوصل لا فراغ بينهما، لأنّ الوصل عبارة عن العطف بالواو، والفصل عبارة عن عدمه وارتفاع النقيضين محال؛ فكيف يمكن أن يكون موضع أحدهما وجود المناسبة التامّة سنخاً ومضموناً وموضع الآخر وجود المنافرة التامّة سنخاً ومضموناً.

فلو فرضنا انتفاء الأمرين لزم منه أن لايحسن الوصل ولا الفصل وهو غير معقول، لاستلزامه ارتفاع النقيضتين أو ما هو بمنزلته. وأمّا كون الجملتين بمنزلة جملة

١. البقرة: ١٤-٥.

واحدة -لشدّة الاتّصال بينهما واستهجان العطف كما إذا كان أحدهما تأكيداً للآخر أو بدلاً عنه- فهو خارج عن محلّ كلامنا، لأنّ محلّ البحث تعدّد الجملتين وتغايرهما مع انتفاء المناسبة التامّة وانتفاء المنافرة التامّة، فماذا يصنع فيه، هل يوصل بينهما أو يفصل؟

ملاحظة

المستفاد من كلامه أنّه إذا كان بين الجملتين مناسبة تامّة واتّفقتا سنخاً (خبراً وإنشاءاً) ولم يكن مانع عن العطف فيحسن الوصل وهو يحصل بالعطف بالواو؛ فنقول هذا بعمومه غير صحيح، كما إذا لم تكن الواو العاطفة وافياً بالمقصود، كما إذا كان مضمون إحدىٰ الجملتين مترتّبة علىٰ الأُخرىٰ، كما إذا كان مجيء زيد مثلاً سبباً لإكرامك أيّاه وأردت بيانه، فلايؤدّيه قولك «جاء زيد وأكرمته»، بل لابدّ من العطف بالفاء بأن تقول: «جاء زيد فأكرمته»، وكم له نظير في سائر أدوات العطف، فإنّ لها معاني مخصوصة لايؤدّيها الواو وكلّا وبل وثمّ وأو ولكن، فكيف يمكن أن يكون شدّة المناسبة بين مضمون الجملتين واتّحاد سنخهما كافياً في حسن العطف بالواو كما يستفاد من ظاهر كلامه، بل هذه الموارد ليست داخلة في مواضع الفصل أيضاً، فلاحظ المواضع الخمسة للفصل والمواضع الثلاثة للوصل هذا.

نماذج من الفصل والوصل في كلمات الإمام عليه السلام:

منها: قوله عليه السلام في وصف الدنيا: «دَارٌ بِالْبَلَاءِ مَحْفُوفَةٌ وَبِالْغَدْرِ مَعْرُوفَةٌ لَا

تَدُومُ أَحْوَالُهَا وَلَايَسْلَمُ نُزَّالُهَا أَحْوَالٌ مُخْتَلِفَةٌ وَتَارَاتٌ مُتَصَرِّفَةٌ الْعَيْشُ فِيهَا مَذْمُومٌ وَالْأَمَانُ مِنْهَا مَعْدُومٌ وَإِنَّمَا أَهْلُهَا فِيهَا أَغْرَاضٌ مُسْتَهْدَفَةٌ تَرْمِيهِمْ بِسِهَامِهَا وَتُفْنِيهِمْ بِحِمَامِهَا».[١]

فلاحظ هذا الكلام الشريف كيف يفرّق بين الجمل، فيعطف جملة علىٰ الأُخرىٰ ثمّ يفصل ويبدأ بذكر جملتين اُخريين؛ وليس ذلك إلّا اختصاص المناسبة بين الجملتين المعطوفتين وعدم مناسبتهما مع مابعدهما وماقبلهما، فمنشأ الفصل عدم المناسبة ومنشأ الوصل ثبوت المناسبة، هذا مضافاً إلىٰ التناسب في الأوزان والقوافي.

وكذلك قوله عليه السلام في وصف المنافقين: «وَأُحَذِّرُكُمْ أَهْلَ النِّفَاقِ فَإِنَّهُمُ الضَّالُّونَ الْمُضِلُّونَ وَالزَّالُّونَ الْمُزِلُّونَ يَتَلَوَّنُونَ أَلْوَاناً وَيَفْتَنُونَ افْتِنَاناً وَيَعْمِدُونَكُمْ بِكُلِّ عِمَادٍ وَيَرْصُدُونَكُمْ بِكُلِّ مِرْصَادٍ قُلُوبُهُمْ دَوِيَّةٌ وَصِفَاحُهُمْ نَقِيَّةٌ يَمْشُونَ الْخَفَاءَ وَيَدِبُّونَ الضَّرَاءَ وَصْفُهُمْ دَوَاءٌ وَقَوْلُهُمْ شِفَاءٌ وَفِعْلُهُمُ الدَّاءُ الْعَيَاء».[٢]

وقوله عليه السلام في وصف الإسلام: «فَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ وَثِيقُ الْأَرْكَانِ رَفِيعُ الْبُنْيَانِ مُنِيرُ الْبُرْهَانِ مُضِيءُ النِّيرَانِ عَزِيزُ السُّلْطَانِ مُشْرِفُ الْمَنَارِ مُعْوِذُ الْمَثَارِ فَشَرِّفُوهُ وَاتَّبِعُوهُ وَأَدُّوا إِلَيْهِ حَقَّه».[٣]

وقوله عليه السلام في وصف المتّقين: «قُلُوبُهُمْ مَحْزُونَةٌ وَشُرُورُهُمْ مَأْمُونَةٌ وَأَجْسَادُهُمْ نَحِيفَةٌ

---

١. نهج البلاغة، الخطبة ٢٢٦.

٢. نهج البلاغة، الخطبة ١٩٤.

٣. نهج البلاغة، الخطبة ١٩٨.

وَحَاجَاتُهُم خَفِيفَةٌ وَأَنْفُسُهُمْ عَفِيفَةٌ صَبَرُوا أَيَّاماً قَصِيرَةً أَعْقَبَتْهُمْ رَاحَةً طَوِيلَة».[١]

فتدبّر ودقّق النظر في مراعاة الوصل في بعض الفقرات والفصل في بعضها الآخر والحمد لله.

١. نهج البلاغة، الخطبة ١٩٣.

الباب التاسع

الإيجاز والإطناب والمساواة

وفيه ثلاث مباحث:

المبحث الأول: الإيجاز وأقسامه

المبحث الثاني: الإطناب

المبحث الثالث: المساواة

تعريف الإيجاز والإطناب

الإيجاز عبارة من أن لايكون التعبير بقدر المعنىٰ بل أقلّ منه.

والإطناب عبارة من أن تكون العبارة أكثر أو أزيد من المعنىٰ.

والمساواة عبارة من أن تكون العبارة بقدر المعنىٰ لا أزيد ولا أقلّ منه، والميزان في ذلك متعارف الأوساط.

المبحث الأول: الإيجاز وأقسامه

الإيجاز هو الاختصار في الكلام بجمع المعاني المتكاثرة تحت اللفظ القليل الوافي بالغرض، كقوله تعالىٰ: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجاهِلين﴾،[1] جمع فيه مكارم الأخلاق بأسرها.

أقول: وكقوله تعالىٰ: ﴿وَقيلَ يا أَرْضُ ابْلَعي ماءَكِ وَيا سَماءُ أَقْلِعي وَغيضَ الْماءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقيلَ بُعْداً لِلْقَوْمِ الظّالِمين﴾.[2]

فإن لم تف بالغرض سمّي إخلالاً بالبيان.

---

١. الأعراف: ١٩٩.

٢. هود: ٤٤.

وينقسم الإيجاز إلىٰ أقسام نذكر بعضها:

منها: إيجاز قصر بتضمين العبارات القصيرة معاني كثيرة، وإيجاز حذف بحذف قطعة من العبارة لايخلّ بالفهم، كقوله تعالىٰ: ﴿وَواعَدْنا مُوسى ثَلاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْناها بِعَشْرٍ﴾،[١] أي بعشر ليال، وقوله تعالىٰ: ﴿لا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْئَلُونَ﴾،[٢] أي عمّا يفعلون.

وكالحديث «الناس مجزيّون بأعمالهم إن خيراً فخير وإن شرّاً فشرّ»، أي إن كان عملهم خيراً فجزاؤهم خير وإن كان عملهم شرّاً فجزاؤهم شرّ.

وقد قسّموها إلىٰ أقسام كثيرة وضربوا لكلّ مثالاً، من أرادها فليراجع المطوّلات.

المبحث الثاني: الإطناب

والإطناب زيادة اللفظ علىٰ المعنىٰ لغرض، كقوله تعالىٰ: ﴿رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْباً﴾،[٣] أي كبرت.

أقول: ومنه قوله تعالىٰ: ﴿وَما تِلْكَ بِيَمِينِكَ يا مُوسىٰ * قالَ هِيَ عَصايَ أَتَوَكَّؤُا عَلَيْها وَأَهُشُّ بِها عَلى غَنَمي وَلِيَ فيها مَآرِبُ أُخْرىٰ﴾،[٤] وفائدته لذّة التكلّم مع المحبوب فتكثر بإكثاره.

---

١. الأعراف: ١٤٢.

٢. الأنبياء: ٢٣.

٣. مريم: ٤.

٤. طه: ١٧-١٨.

فإن لم تكن فيه فائدة سمّي بالتطويل إن لم تكن الزيادة بعينها معلومة، وبالحشو إن كانت معلومة، وكلاهما عيب في البيان يبعّد عن البلاغة.

ودواعي الإطناب كثيرة: منها التوضيح ومنها التأكيد ومنها إثارة الشوق والحميّة ومنها التكرار لأجل التثبيت في الذهن لئلّا ينساه المخاطب.

أقول: ومنها إثارة الشوق والحميّة كقول الكميت الأسدي في مدح بني هاشم:

طربت وما شوقاً إلىٰ البيض أطرب ... ولا لعباً منّي وذو الشيب يلعب

ولم تلهني دار ولا رسم منزل ... و لم يتطرّبني بنان مخضّب

ولا السانحات البارحات عشيّة ... أمرّ سليم القلب أم مرّ غاضب

ففي كلّ ذلك تطويل لازدياد عطش المخاطب إلىٰ استماع منشأ طربه فيقول:

لكن إلى أهل الفضائل والتقى ... وخير بنى حوّاء والخير يطلب

بنى هاشم رهط النبي فإنّني ... بهم ولهم أرضىٰ مراراً وأغضب[1]

ومنه قول دعبل الخزاعي في شأن أمير المؤمنين عليه السلام:

سعياً لبيعة أحمد ووصيّه ... أعني الإمام وليّنا المحسودا

أعني الذي نصر النبي محمّداً ... قبل البرية ناشئاً ووليداً

أعني الذي كشف الكروب ولم يكن ... في الحرب عند لقائه رعديدا

أعني الموحّد قبل كل موحّد ... لا عابداً وثناً ولا جلمودا[2]

---

١. أمالي للمرتضى، ١: ٦٦.

٢. مناقب ل أبي طالب، ٢: ٢٨.

والمراد بيعة علي أمير المؤمنين عليه السلام.

ومنه قول الإمام الشافعي في حقّ علي عليه السلام:

إلام أُلام و حتّىٰ متىٰ أعاتب في حبّ هذا الفتىٰ

وهل فاطم زوّجت غيره وفي غيره هل أتى هل أتى[١]

فإنّ قوله: إلام أُلام وما بعده بمعنىٰ واحد وإن اختلفا في اللفظ، ولٰكنّه مطلوب لفائدة التأكيد.

وكقول أمير أُمراء البلاد صاحب بن عبّاد في جهاد أمير المؤمنين عليه السلام:

شهر الحسام الحسم داء معضل وحمى الجيوش كمثل ليل أليل

كم باسل قد ردّه وعليه من دمه رداء أحمر لم يصقل

كم ضربة من كفّه في قرنه قد خيل جرى دماؤها من جدول[٢]

فإنّ الأبيات الثلاثة لبيان معنى واحد وهو بسالته عليه السلام في ميدان الحرب.

وقد ذكر للإطناب أقساماً عشرة ومنها التكرار، وذكر له أغراضاً تسعة ومنها الاعتراض في أثناء الكلام بجملة أجنبية، وذكر لها أغراضاً ستّة، ولايسعني المجال لإيرادها، فمن أردها فليراجع.

المبحث الثالث: المساواة

وقد عرفت أنّه بمعنىٰ مساواة اللفظ للمعنىٰ في المقدار بالقياس إلىٰ السيرة المتعارفة في التكلّم، كقوله تعالىٰ: ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ﴾.[٣]

---

١. روح المعاني، ١٥: ١٧٤.

٢. أدب الطفّ، ٢: ١٣٦.

٣. البقرة: ١١٠.

علم البيان

تعريف علم البيان

وهو لغة بمعنىٰ الكشف والإيضاح، واصطلاحاً قواعد يعرف بها إيراد معنىٰ واحد بطرق مختلفة لما فيها من الحلاوة والطراوة مع المطابقة لمقتضىٰ الحال.

والفرق بينه وبين البديع أنّ البديع التفنّن في القوالب اللفظية والهيئات الكلامية لأن يعطي الكلام جمالاً وبهاءاً، وأمّا البيان فلإلقاء المعاني والمفاهيم بكيفيات مختلفة فأحدهما يرتبط بالظرف والأُخرىٰ بالمظروف، وأمّا المعاني المتكفّل لمطابقة مقتضىٰ الحال، فشرط في الجميع.

مقدّمة

المشهور أنّ اللفظ إن استعمل في معناه الموضوع له وكان إسناد بعض الكلمات إلىٰ بعض علىٰ وجه الحقيقة بلا تأوّل ومسامحة كان الاستعمال حقيقياً.

وإن كان بتصرّف وتسامح، فإن كان ذلك في الإسناد يسمّىٰ مجازاً في الإسناد أو إسناداً مجازياً أو مجازاً عقلياً، نحو «بنىٰ الأمير المدينة» بعلاقة كون الأمير آمراً بالبناء وسبباً فيه فأُسند البناء إليه مجازاً، وأمّا المفردات فهي علىٰ معانيها الحقيقية.

وإن كان التصرّف في الألفاظ باستعمالها في غير ما وضعت له لعلاقة وقرينة، فإن منعت القرينة إرادة المعنىٰ الموضوع له فمجاز، وهو علىٰ ضربين: مجاز بالاستعارة إن كانت العلاقة المشابهة، ومجاز مرسل إن كانت غيرها.

وإن لم تمنع القرينة إرادة المعنىٰ الموضوع له فإن كان بـ «الكاف» و«كأنّ» ونحوهما من أدوات التشبيه فـ «تشبيه» وإلّا فـ «كناية»، ولهذا ينحصر مباحث علم البيان في التشبيه والمجاز والكناية.

والتشبيه كأن تقول في مقام بيان جود زيد: «زيد كالحاتم» والمجاز كقولك: «رأيت الحاتم» مريداً به زيداً بوصف كونه جواداً، والكناية كأن تقول: «زيد كثير الرماد» مريداً به كونه جواداً بعلاقة كون كثرة الرماد من آثار كثرة إطعام الضيوف وهو من لوازم الجود.

أقول: هذا هو المشهور، ولنا كلام في الجميع:

أمّا في الكناية والتشبيه فيحتاج إلىٰ مقدّمة وهي أنّ ما يتّصف بالحقيقة والمجاز هو المعنىٰ الذي يستعمل فيه اللفظ ابتداءاً وبتبعه يتّصف الاستعمال أيضاً بالحقيقي والمجازي.

ثمّ إنّ هناك مراداً آخر غير المستعمل فيه وهو ما يكون داعياً إلىٰ الاستعمال، فيكون بيان المعنىٰ المستعمل فيه قنطرة لتفهيم ذلك المعنىٰ ونسمّيه بـ «المراد الجدّي» كما نسمّىٰ المستعمل فيه بـ «المراد الاستعمالي»، فقد يتّحدان فيستعمل اللفظ في المعنىٰ بداعي تفهيم ذلك المعنىٰ وهو الاستعمال الحقيقي المعهود، كأن يقال: «زيد

جواد» يريد به بيان جود زيد، لأنّ الداعي إلىٰ ذكر تلك الجملة إفهام ذلك المعنىٰ دون معنىٰ آخر.

وقد يكون الداعي إلىٰ الاستعمال معنىٰ آخر له علاقة بالمعنىٰ المستعمل فيه، فيختلف المراد الاستعمالي عن المراد الجدّي، فإن كانت أدوات التشبيه موجودة في الكلام فهو تشبيه وإلّا فهو كناية، فكلاهما من قسم الاستعمال الحقيقي لعدم تجوّز في الإسناد وهو كاف في تسميته بالحقيقة وإن كان المراد الجدّي شيئاً آخر، كما أنّ المراد الجدّي في باب التشبيه إثبات ما للمشبّه به من الآثار للمشبّه كإثبات الجود لزيد والمراد الاستعمالي تشبيه زيد بحاتم.

والميزان في الحقيقة والمجاز استعمال اللفظ في معناه الموضوع له وعدمه، فالاستعمال في باب التشبيه والكناية استعمال حقيقي لاستعمال اللفظ في الموضوع له، وإن كان المراد الجدّي شيئاً آخر فهو الميزان في صدق الكلام وكذبه.

فإن قلت: «زيد كثير الرماد» وكان جواداً، كان الكلام صدقاً وإن لم يكن له رماد، وإن لم يكن جواداً كان كذباً وإن كثر رماده.

وأمّا في باب المجاز فقد ذهب سيّدنا الأعظم رحمه الله تبعاً لبعض مشايخه أنّ اللفظ في مطلق المجاز -مرسلاً كان أو استعارة- مستعمل في ما وضع له لا غير، لكن يكون جدّه علىٰ خلاف استعماله وإنّما يكون تطبيق المعنىٰ الموضوع له علىٰ ما أراده جدّاً

بادّعاء كونه مصداقاً له كما في الكلّيات وعينه كما في الأعلام الشخصية.[١]

فقوله تعالىٰ: ﴿ما هذا بَشَراً إِنّ هذا إِلاّ مَلَكٌ كَريم﴾[٢] استعمل الملك فيها في الماهية المعهودة من الروحانييّن وإنّما حملها عليه بادّعاء كونه من مصاديقها، فالادّعاء علىٰ مذهب السكاكي وقع قبل الإطلاق، فأطلق اللفظ علىٰ المصداق الادّعائي. وأمّا على ما ذكرنا فالادّعاء وقع بعد الاستعمال في مقام تطبيق المفهوم علىٰ المصداق، وفي قوله: «رأيت حاتماً» أُريد بحاتم الشخص المعروف وادّعي أنّ فلاناً هو هو.

والحاصل: أنّ حسن الكلام في باب المجازات إنّما هو بتبادل المعاني لا بعارية الألفاظ وتبادلها، والشاهد عليه هو الطبع السليم والذوق المستقيم.

أقول: أضف إليه أنّ المبالغة المقصودة إنّما يحصل بادّعاء أنّ زيداً عين واقع الحاتم لا بعارية لفظ الحاتم له وإطلاقه عليه، فإنّ اللفظ بما هو هو لا قيمة له.

وقد سبق إلىٰ هذا القول المحقّق الشيخ محمّدرضا الإصفهاني في كتابه «وقاية الأذهان»[٣] والفقيه المحقّق السيّد البروجردي علىٰ ما في تقريرات درسه نهاية الأُصول.

وعلىٰ ما ذكر فالمصحّح لاستعمال اللفظ في المعنىٰ دائماً هو الوضع، وقد عرفت ذلك منّا في باب التشبيه والكناية، فأضف إليهما المجاز علىٰ هذا المسلك، وهذا ما

١. تهذيب الاصول، ١: ٦١.

٢. يوسف: ٣١.

٣. وقاية الأذهان: ١١٢.

صرّح به في نهاية الأُصول؛ قال: «والحاصل أنّ اللفظ دائماً يستعمل في نفس ما وضع له، غاية الأمر أنّ المراد الجدّي إمّا أن يكون نفس الموضوع له حقيقة أو عينه أو من أفراده إدّعاءاً وتنزيلاً»؛[١] وقوله «عينه» يكون في الأعلام الشخصية كحاتم. وقوله «من أفراده» في أسماء الأجناس كأسد.

وقد سبق الجميع إلىٰ ذلك السكاكي في خصوص الاستعارة من قسمي المجاز علىٰ ما نسب إليه بتفاوت مّا بين كلامه وما أفاده الأستاد سيّدنا الأعظم رحمه الله ولايسعني المجال لتوضيح ذلك بأكثر، ولكن أُشير إليه في كلماته.

وكيف كان فمباحث علم البيان تكون في ثلاثة مواضع: التشبيه والمجاز والكناية، فهٰهنا ثلاثة أبواب.

١. نهاية الاصول: ٣٠.

الباب الأول

التشبيه

وفيه ثمانية مباحث:

المبحث الأول: انقسام طرفي التشبيه باعتبار المحسوس والمعقول

المبحث الثاني: انقسام طرفي التشبيه باعتبار الإفراد والتركيب

المبحث الثالث: تعدّد طرفي التشبيه

المبحث الرابع: أقسام التشبيه باعتبار وجه الشبه

المبحث الخامس: تشبيه التمثيل

المبحث السادس: أدوات التشبيه

المبحث السابع: فوائد التشبيه

المبحث الثامن: انقسام التشبيه باعتبار الغرض إلىٰ مقبول ومردود

قال المبرّد: «لو قال قائل هو أكثر كلام العرب لم يبعد»،[1] وقال المطرازي: «هو ركن من أركان البلاغة لإخراجه الخفيّ إلىٰ الجليّ وإدنائه البعيد من القريب».[2]

تعريف التشبيه وأقسامه

وهو في اللغة التمثيل، وعند علماء البيان مشاركة أمر لأمر آخر في وجه يدلّ عليه أدوات معلومة، فأركانه أربعة: المشبّه والمشبّه به ووجه الشبه وأداة التشبيه؛ فقد تكون ملفوظة وقد تكون ملحوظة، ووجه الشبه أيضاً كذلك فقد يذكر وكثيراً ما معلوم من الخارج ولا حاجة إلىٰ ذكره لوضوحه.

وفي هذا الباب مباحث:

المبحث الأول: انقسام طرفي التشبيه باعتبار المحسوس والمعقول

أنّ طرفي التشبيه إمّا حسّيان وإمّا عقليان، وإمّا يكون المشبّه به حسّياً والمشبّه عقلياً، وإمّا يكون بعكس ذلك فيكون المشبّه عقلياً والمشبّه به حسّياً.

---

١. الكامل في اللغة والأدب، ٣: ٧٠.

٢. نهاية الأرب، ٧: ٣٨.

أقول: والأوّل كقوله عليه السلام: «كُنْ فِي الْفِتْنَةِ كَابْنِ اللَّبُونِ لَا ظَهْرٌ فَيُرْكَبَ وَلَا ضَرْعٌ فَيُحْلَبَ»،[١] وكقوله عليه السلام: «اللِّسَانُ سَبُعٌ إِنْ خُلِّيَ عَنْهُ عَقَرَ»،[٢] وكقوله عليه السلام: «رَحِمَ اللَّهُ مَالِكاً وَمَا مَالِكٌ وَاللَّهِ لَوْ كَانَ جَبَلًا لَكَانَ فِنْداً وَلَوْ كَانَ حَجَراً لَكَانَ صَلْداً»،[٣] والظاهر أنّ منه قوله عليه السلام: «الدَّاعِي بِلَا عَمَلٍ كَالرَّامِي بِلَا وَتَرٍ»،[٤] وكقوله عليه السلام في حقّ أهل البصرة في ذلك العصر: «كَأَنِّي بِمَسْجِدِكُمْ كَجُؤْجُؤِ سَفِينَةٍ»،[٥] إلىٰ غير ذلك من الأمثلة.

والثاني: قوله عليه السلام: «حَتَّى تَكُونَ نُصْرَةُ أَحَدِكُمْ مِنْ أَحَدِهِمْ كَنُصْرَةِ الْعَبْدِ مِنْ سَيِّدِهِ»،[٦] فإنّ المتشابهين عبارة عن انتقامهم من بني اُميّة وانتقام العبد من مولاه وهو أمر معقول، ووجه الشبه ذلّتهم وذلّة العبد.

وقوله عليه السلام: «لَا غِنَى كَالْعَقْلِ وَلَا فَقْرَ كَالْجَهْلِ»،[٧] إذ ليس المراد من الغنىٰ والفقر نفس المال الخارجي وفقده، بل تملّك الأموال وعدمه وهو أمر معقول، وقوله عليه السلام: «الطَّمَعُ رِقٌّ مُؤَبَّدٌ».[٨]

---

١. نهج البلاغة، كلمة ١.
٢. نهج البلاغة، كلمة ٦٠.
٣. نهج البلاغة، كلمة ٤٤٣.
٤. نهج البلاغة، كلمة ٣٣٧.
٥. نهج البلاغة، الخطبة ١٣.
٦. نهج البلاغة، الخطبة ٩٧.
٧. نهج البلاغة، كلمة ٥٤.
٨. نهج البلاغة، كلمة ١٨٠.

والثالث: كقوله عليه السلام: «الدَّاعِي بِلَا عَمَلٍ كَالرَّامِي بِلَا وَتَر»،[١] إن قلنا إنّ المراد من الداعي حالة الدعاء والابتهال وهو أمر معقول، فشبّه المعقول بالمحسوس وهو محتمل، وكقوله عليه السلام: «فَإِنَّ الْأَمْرَ يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ كَقَطْرِ الْمَطَر»،[٢] إذ المقصود نزول التقدير فهو من تشبيه المعقول بالمحسوس.

وأمّا الرابع: فكقوله عليه السلام: «الْآدَابُ حُلَلٌ مُجَدَّدَةٌ وَالْفِكْرُ مِرْآةٌ صَافِيَة»،[٣] وكقوله عليه السلام: «فَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا (الدنيا) إِلَّا صُبَابَةٌ كَصُبَابَةِ الْإِنَاء»،[٤] فإنّ الباقي من حياة الدنيا أمر معقول شبّه بأمر محسوس وهو صبابة الإناء، أي القطرات المتخلّفة في الإناء بعد صبّ الماء، وكقوله عليه السلام: «الْقَنَاعَةُ مَالٌ لَا يَنْفَد»،[٥] وكقوله عليه السلام: «الْقَلْبُ مُصْحَفُ الْبَصَر»،[٦] إذ المراد من القلب القوّة العاقلة دون الجارحة المخصوصة.

المبحث الثاني: انقسام طرفي التشبيه باعتبار الإفراد والتركيب

طرفا التشبيه إمّا مفردان مطلقان أو مفردان مقيّدان أو مختلفان، وهذه كلّها من تشبيه المفرد بالمفرد، وإمّا مفرد بمركّب وإمّا مركّب بمفرد وإمّا مركّبان؛ فتارة يكون التركيب بحيث لايمكن إفراد أجزائه بحيث يكون المركّب الهيئة الحاصلة من

---

١. نهج البلاغة، كلمة ٣٣٧.
٢. نهج البلاغة، الخطبة ٢٣.
٣. نهج البلاغة، كلمة ٥.
٤. نهج البلاغة، الخطبة ٤٢.
٥. نهج البلاغة، كلمة ٥٧.
٦. نهج البلاغة، كلمة ٤٠٩.

المجموع أو بحيث إذا أفردت أجزاؤه زال المقصود من هيئة المشبّه به وتارة أُخرى ليس كذلک.

أقول: **والأوّل** أي كونهما مفردين مطلقين كقوله عليه السلام: «لَا غِنَى كَالْعَقْلِ وَلَا فَقْرَ كَالْجَهْل»،(١) وكقوله عليه السلام: «اللِّسَانُ سَبُعٌ إِنْ خُلِّيَ عَنْهُ عَقَر»،(٢) وكقوله عليه السلام: «الْمُنَجِّمُ كَالْكَاهِنِ وَالْكَاهِنُ كَالسَّاحِرِ وَالسَّاحِرُ كَالْكَافِر»،(٣) وكقوله عليه السلام: «وَاللَّهِ لَا أَكُونُ كَالضَّبُعِ تَنَامُ عَلَى طُولِ اللَّدْمِ حَتَّى يَصِلَ إِلَيْهَا طَالِبُهَا»،(٤) إذ المشبّه به هو الضبع وقوله «تنام على طول اللدم ...» بيان وجه الشبه وليس قيداً للضبع.

والثاني أي كونهما مقيّدين كقوله عليه السلام: «وَإِنَّ الْعَالِمَ الْعَامِلَ بِغَيْرِ عِلْمِهِ كَالْجَاهِلِ الْحَائِرِ الَّذِي لَا يَسْتَفِيقُ مِنْ جَهْلِه»،(٥) وكقوله عليه السلام: «الدَّاعِي بِلاَ عَمَلٍ كَالرَّامِي بِلاَ وَتَر»،(٦) وكقوله عليه السلام: «صَدْرُ الْعَاقِلِ صُنْدُوقُ سِرِّه».(٧)

والثالث وهو كون أحدهما مطلقاً والآخر مقيّداً كقوله عليه السلام: «الْعِلْمُ وِرَاثَةٌ كَرِيمَةٌ

---

١. نهج البلاغة، كلمة ٥٤.
٢. نهج البلاغة، كلمة ٦٠.
٣. نهج البلاغة، الخطبة ٧٩.
٤. نهج البلاغة، الخطبة ٦.
٥. نهج البلاغة، الخطبة ١١٠.
٦. نهج البلاغة، كلمة ٣٣٧.
٧. نهج البلاغة، كلمة ٦.

وَالْآدَابُ حُلَلٌ مُجَدَّدَةٌ وَالْفِكْرُ مِرْآةٌ صَافِيَةٍ»،[١] وكقوله عليه السلام: «الْقَنَاعَةُ مَالٌ لاَ يَنْفَد»،[٢] وكقوله عليه السلام: «الْحِكْمَةُ ضَالَّةُ الْمُؤْمِن»،[٣] وكقوله عليه السلام: «الطَّمَعُ رِقٌّ مُؤَبَّد»،[٤] وكقوله عليه السلام: «الْجُودُ حَارِسُ الْأَعْرَاض»،[٥] وكقوله عليه السلام: «الْحِلْمُ فِدَامُ السَّفِيه»،[٦] وكقوله عليه السلام: «الْعَفْوُ زَكَاةُ الظَّفَر»،[٧] هذا كلّه إذا كان المشبّه مطلقاً والمشبّه به مقيّداً.

وأمّا العكس، فكقوله عليه السلام: «الْغِنَى فِي الْغُرْبَةِ وَطَنٌ وَالْفَقْرُ فِي الْوَطَنِ غُرْبَة».[٨]

ثمّ لايذهب عليك أنّ ما ذكر كلّها من مقولة التشبيه بكون الأداة إمّا ملحوظاً ذهناً وإن لم يكن ملفوظاً، وإمّا لأنّ حمل شيء على شيء أقوىٰ من التشبيه في إثبات وجه الشبه، فهو تشبيه بلسان الحمل وادّعاء الهوهوية والاتّحاد.

والرابع وهو تشبيه المفرد بالمركّب كقوله عليه السلام: «يَا أَهْلَ الْعِرَاقِ فَإِنَّمَا أَنْتُمْ كَالْمَرْأَةِ الْحَامِلِ حَمَلَتْ فَلَمَّا أَتَمَّتْ أَمْلَصَتْ وَمَاتَ قَيِّمُهَا وَطَالَ تَأَيُّمُهَا وَوَرِثَهَا أَبْعَدُهَا»،[٩] إذ المشبّه به هو الهيئة الحاصلة من مجموع الخصوصيات فيعدّ مركباً، والمشبّه مفرد وهو

---

١. نهج البلاغة، كلمة ٥.
٢. نهج البلاغة، كلمة ٥٧.
٣. نهج البلاغة، كلمة ٨٠.
٤. نهج البلاغة، كلمة ١٨٠.
٥. نهج البلاغة، كلمة ٢١١.
٦. نهج البلاغة، كلمة ٢١١.
٧. نهج البلاغة، كلمة ٢١١.
٨. نهج البلاغة، كلمة ٥٦.
٩. نهج البلاغة، الخطبة ٧١.

أهل العراق في تلك الآونة.

والخامس وهو تشبيه المركّب بالمفرد، فمثّل له الجواهر بنحو «الماء المالح كالسمّ».

وفيه: أنّ «الماء المالح» من قبيل المقيّد دون المركّب.

ومثّل له في «الحاشية» بقول الشاعر:

لا تعجبوا من خاله في خدّه　　　كلّ الشقيق بنقطة سوداء

وفيه: أنّ المشبّه به ليس مفرداً بل الشقيق بما فيه من نقطة سوداء أيضاً مركّب كالمشبّه وهو الخال في الخدّ، فالصحيح هو التمثيل له بقول أبي التمّام:

تريا نهاراً مشمّساً قد شابه　　　زهر الربا فكأنّما هو مقمر

فإنّه شبّه النهار المشمّس التي نقص نورها لسبب شدّة اخضرار الأرض وكثرة ما فيه من الأزهار فأشبهت بالليل المقمر، فالمشبّه مركّب والمشبّه به مفرد.

والسادس وهو تشبيه المركّب بالمركّب، كقوله عليه السلام: «[الناس] مُجْتَمِعِينَ حَوْلِي كَرَبِيضَةِ الْغَنَم»[1] وربيضة الغنم مع رعاتها المجتمعة فيه، فشبّه عليه السلام الهيئة الحاصلة من اجتماعهم حوله بالهيئة الحاصلة من اجتماع الأغنام حول رعاتها في المرابض.

وأيضاً من تشبيه المركّب بالمركّب تشبيه بعض أرباب المقاتل سيّد الشهدا عليه السلام حينما ركب ظهر جواده يريد الذهاب إلىٰ ميدان حرب الأشقياء بجدّه رسول الله صلى الله عليه وآله وهو راكب علىٰ البراق يريد العروج إلىٰ السماوات العلىٰ كي يصل إلىٰ

---

١. نهج البلاغة، الخطبة ٣.

مقام قاب قوسين أو أدنىٰ وإبراهيم عليه السلام حينما رفعوه علىٰ المنجنيق ليرموا به في نار نمرود فأنجاه اللّه، وعيسىٰ عليه السلام حينما أراد اليهود أن يصلّبوه ونجاه اللّه، ونوح حينما ركب السفينة وهي تجري بهم في موج كالجبال إلىٰ أن ﴿قُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾،[1] فمن ركبها نجىٰ ومن تخلّف عنها غرق وهوىٰ.

ونهضة الحسين عليه السلام كان سبباً لبقاء الدين ومنعاً عن اضمحلاله بأيدي يزيد وأزلامه، ولذا ورد في الحديث: «إنّ الحسين مصباح الهدىٰ وسفينة النجاة».

ثمّ إنّهم ذكروا للمركّب أيضاً قسمين، يطول الكلام بذكره وأمثلته.

المبحث الثالث: تعدّد طرفي التشبيه

ينقسم التشبيه بهذا الاعتبار إلىٰ أربعة أقسام: ملفوف ومفروق وتسوية وجمع.

فالملفوف عبارة عن جمع المشبّهات المتعدّدة ثمّ تشبيهها بالمشبّهات المتعدّدة المجتمعة، كقوله:

ليل وبدر وغصن   صدغ ووجه وقد

والمفروق عبارة عن جمع كلّ مشبّه مع ما شبّه به وإيراد المتعدّد منهما بتلك الصورة، كقوله:

إنّما النفس كالزجاجة والعلم   سراج وحكمة اللّه زيت

1. هود: ٤٤.

فـإذا أشرقـت فإنّـك حـيّ وإذا أظلمـت فإنّـك ميّـت

والتسوية عبارة عن أن يتعدّد المشبّه دون المشبّه به، كقوله:

صدغ الحبيب وحالي كلاهمـا كالليـالي
وثغـره في صفـاء وأدمعـي كاللئـالي

والجمع عبارة عن تعدّد المشبّه به دون المشبّه، كقوله:

كأنّما يبسم عن لؤلؤ منضّد أو برد أو أُقاح

فإنّه شبّه أسنان الحبيب بأُمور ثلاثة: اللؤلؤ المنضّد والبرد وأُقاح، وهو نوع ورد أبيض طيّب الرائحة، ووجه الشبه واحد وهو الجمال الحاصل من بياضها وصفائها.

المبحث الرابع: أقسام التشبيه باعتبار وجه الشبه

فإنّه قد يقسّم إلىٰ تمثيل وغير تمثيل:

والأول: عبارة عن كون وجه الشبه صورة منتزعة من أُمور متعدّدة، كقوله عليه‌السلام: «كُنْ فِي الْفِتْنَةِ كَابْنِ اللَّبُونِ لَا ظَهْرٌ فَيُرْكَبَ وَلَا ضَرعٌ فَيُحْلَب».[١] حيث إنّ وجه الشبه صورة منتزعة عن قوله عليه‌السلام «لا ضرع ...» وهي عبارة عن كونه بلا فائدة حتّىٰ لايقدر الفتّانون بالإستفادة منه لمقاصدهم الشريرة.

والثاني: كقوله عليه‌السلام: «الْمُنَجِّمُ كَالْكَاهِنِ ...»،[٢] أي في التخرّص على الغيب.

١. نهج البلاغة، كلمة ١.
٢. نهج البلاغة، الخطبة ٧٩.

وقد يقسّم من جهة أُخرىٰ إلىٰ مفصّل ومجمل:

والأول: ما ذكر فيه وجه الشبه، نحو قوله عليه السلام: «... لَا ظَهْرٌ فَيُرْكَبَ وَلَا ضَرْعٌ فَيُحْلَب»،[١] فإنّه عليه السلام ذكر فيه وجه الشبه، وكقوله عليه السلام: «لاَ تَلْقَينَّ طَلْحَةَ فَإِنَّكَ إِنْ تَلْقَهُ تَجِدْهُ كَالثَّوْرِ عَاقِصاً قَرْنَهُ يَرْكَبُ الصَّعْبَ وَيَقُولُ هُوَ الذَّلُول»،[٢] إذ المراد نخوته وإعجابه بنفسه.

والثاني: ما لم يذكر فيه وجه الشبه اعتماداً علىٰ وضوحه، كقوله عليه السلام: «الْفِكْرُ مِرْآةٌ صَافِيَة»[٣] و«الْقَنَاعَةُ مَالٌ لاَ يَنْفَد»[٤] و«الطَّمَعُ رِقٌّ مُؤَبَّد»،[٥] وكقوله عليه السلام في حقّ مروان: «لَهُ إِمْرَةٌ كَلَعْقَةِ الْكَلْبِ أَنْفَه»،[٦] والمراد قلّة زمانه واشمئزاز الطباع منه.

وينقسم أيضاً من جهة أُخرىٰ إلىٰ قريب مبتذل وبعيد غريب:

والأول: هو ما اتّضح فيه وجه الشبه جدّاً، كقولهم: «وجهه كالبدر» أو «خدّه كالورد»،

والثاني: هو ما خفي فيه وجه الشبه أشدّ الخفاء مع عدم ذكره، كقوله: «والشمس كالمرآة في كفّ الأشل»، فإنّ المرآة في كفّ الأشل يتحرّك لضعف الجارحة فلايقدر

---

١. نهج البلاغة، كلمة ١.
٢. نهج البلاغة، الخطبة ٣١.
٣. نهج البلاغة، كلمة ٥.
٤. نهج البلاغة، كلمة ٥٧.
٥. نهج البلاغة، كلمة ١٨٠.
٦. نهج البلاغة، الخطبة ٧٣.

علىٰ إمساكها، والشمس كذلك في نظر الرائي، مضافاً إلىٰ الاستدارة والاستنارة.

أقول: وكلاهما خارجان عن طريق البلاغة والموافق لها هو الطريقة الوسطىٰ، كقوله عليه السلام: «اللِّسَانُ سَبُعٌ إِنْ خُلِّيَ عَنْهُ عَقَر»،[١] وكقوله عليه السلام: «الْعَفْوُ زَكَاةُ الظَّفَر»،[٢] وكقوله عليه السلام: «لَا تِجَارَةَ كَالْعَمَلِ الصَّالِح»،[٣] وكقوله عليه السلام: «أَلَا وَإِنَّ التَّقْوَى مَطَايَا ذُلُلٌ حُمِلَ عَلَيْهَا أَهْلُهَا وَأُعْطُوا أَزِمَّتَهَا فَأَوْرَدَتْهُمُ الْجَنَّة»،[٤] وكقوله عليه السلام في وصف رسول الله صلى الله عليه وآله: «طَبِيبٌ دَوَّارٌ بِطِبِّهِ قَدْ أَحْكَمَ مَرَاهِمَهُ وَأَحْمَى مَوَاسِمَهُ يَضَعُ ذَلِكَ حَيْثُ الْحَاجَةُ إِلَيْهِ مِنْ قُلُوبٍ عُمْيٍ وَآذَانٍ صُمٍّ وَأَلْسِنَةٍ بُكْم ...»،[٥] أي أنّه عليه السلام كطبيب.

المبحث الخامس: تشبيه التمثيل

لا ريب في كون تشبيه التمثيل أبلغ من غيره لما فيه من إمعان نظر، وهو قسمان: ما كان الأداة فيه مذكورة كبعض ما تقدّم من الأمثلة، وما كان الأداة فيه محذوفة كقولهم: «أراك تقدّم رجلاً وتؤخّر اُخرىٰ» والمعنىٰ أراك في تردّدك فيما أنت فيه مثل من يقدّم رجلاً ويؤخّر اُخرىٰ».

ومن جهة اُخرىٰ يكون أيضاً قسمان، إذ قد يكون في مفتتح الكلام، نحو قوله

١. نهج البلاغة، كلمة ٦٠.

٢. نهج البلاغة، كلمة ٢١١.

٣. نهج البلاغة، كلمة ١١٣.

٤. نج البلاغة، الخطبة ١٦.

٥. نهج البلاغة، الخطبة ١٠٨.

تعالىٰ: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ﴾،[١] وقد يكون بعد تمام المعاني لتقريرها فيشبه البرهان الذي تثبت به الدعوىٰ، نحو قوله:

وما المال والأهلون إلّا ودائع ولابدّ يوماً أن تـردّ الودائع

أقول: وكقول جار اللّه الزمخشري:

كـثر الشـكّ والخـلاف فكل يدّعي الفوز بالصراط السويّ
فاعتصامـي بـلا إلٰـه سـواه ثـمّ حبّـي لأحمـد وعـليّ
فاز كلب بحبّ أصحاب كهف كيف أشقىٰ بحبّ آل النبي[٢]

فإنّ البيت الأخير بمنزلة البرهان علىٰ صحّة طريقته من اعتصامه بحبّ النبي والوصي، وذلك في قالب التشبيه وذكر المثال.

ولايذهب عليك أيّها الحبيب اللبيب أنّ ذلك الكلب لم يكتف بالحبّ القلبي الغريزي، بل أظهر حبّه بالمتابعة إلىٰ باب الكهف ولازمهم وصار حارساً، وقد قال تعالىٰ في حقّهم: ﴿سَيَقُولُونَ ثَلاثَةٌ رابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْماً بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾.[٣]

وقال الشيخ السعدي:

---

١. البقرة: ٢٦١.
٢. كشف الأسرار، ١: ٣٦٩.
٣. الكهف: ٢٢.

پسر نوح با بدان بنشست خاندان نبوتش گم شد
سگ اصحاب كهف روزى چند پى مردم گرفت و مردم شد[١]

المبحث السادس: أدوات التشبيه

وهي مثل «الكاف» و«كأنّ» و«مثل» وكلّ ما يدلّ علىٰ المشابهة، اسماً كان أو فعلاً أو حرفاً، وقد يغني عن أداة التشبيه فعل كأفعال القلوب، فإمّا يفيد قرب المشابهة وقوّته وإمّا يفيد بعده وضعفه؛ والأول ك «علم» و«رأىٰ» والثاني ك «ظنّ» و«حسب».

ثمّ قد يكون التشبيه مؤكّداً وهو ما حذفت أداته، وقد يكون بليغاً وهو ما حذفت فيه الأداة ووجه الشبه، ومرسلاً وهو ما ذكرت فيه الأداة.

ومن المؤكّد ما أُضيف فيه المشبّه به إلىٰ المشبّه فيغنيه الإضافة عن ذكر الأداة.

أقول: ما يفيد قرب المشابهة كقوله عليه السلام: «مَا لِي أَرَاكُمْ أَشْبَاحاً بِلَا أَرْوَاحٍ وَأَرْوَاحاً بِلَا أَشْبَاحٍ وَنُسَّاكاً بِلَا صَلَاحٍ وَتُجَّاراً بِلَا أَرْبَاحٍ وَأَيْقَاظاً نُوَّماً وَشُهُوداً غُيَّباً وَنَاظِرَةً عَمْيَاءَ وَسَامِعَةً صَمَّاءَ وَنَاطِقَةً بَكْمَاء».[٢]

ومن المؤكّد قوله عليه السلام: «وَإِنَّمَا أَنَا قُطْبُ الرَّحَى تَدُورُ عَلَيَّ وَأَنَا بِمَكَانِي»،[٣] وقوله عليه السلام: «فَتَدَاكُّوا عَلَيَّ تَدَاكَّ الْإِبِلِ الْهِيمِ يَوْمَ وِرْدِهَا وَقَدْ أَرْسَلَهَا رَاعِيهَا وَخُلِعَتْ مَثَانِيهَا»،[٤]

١. كلستان، الباب الأول، الحكاية ۴.
٢. نهج البلاغة، الخطبة ١٠٨.
٣. نهج البلاغة، الخطبة ١١٩.
۴. نهج البلاغة، الخطبة ۵۴.

وقوله عليه السلام: «بَلِ انْدَمَجْتُ عَلَى مَكْنُونِ عِلْمٍ لَوْ بُحْتُ بِهِ لَاضْطَرَبْتُمْ اضْطِرَابَ الْأَرْشِيَةِ فِي الطَّوِيِّ الْبَعِيدَة»،(١) لعدم ذكر وجه الشبه.

أيضاً من موارد إضافة المشبّه به قوله عليه السلام: «وَنَاطَ بِهَا زِينَتَهَا مِنْ خَفِيَّاتِ دَرَارِيِّهَا وَمَصَابِيحِ كَوَاكِبِهَا»،(٢) والمراد كواكبها التي كالمصابيح.

المبحث السابع: فوائد التشبيه

وهي غالباً تعود إلىٰ المشبّه وفي الغالب يكون لبيان حاله، وقد يكون لأغراض آخر كإزالة الغرابة بالتشبيه وكبيان المقدار قوّة وضعفاً وكالمدح والذمّ وغير ذلك.

أقول: مثال بيان الحال قوله عليه السلام: «أَلَا إِنَّ مَثَلَ آلِ مُحَمَّدٍ كَمَثَلِ نُجُومِ السَّمَاءِ إِذَا خَوَى نَجْمٌ طَلَعَ نَجْمٌ»،(٣) والمراد أنّ أوصياء الرسول صلى الله عليه وآله يكون كلّ منهم تلو الآخر ولاتخلو الأرض منهم عليهم السلام.

ويمكن أن يكون التشبيه فيها لإزالة الغرابة بتشبيه عالم التشريع بعالم التكوين.

ومثال بيان المقدار قوله عليه السلام: «فَصَاحِبُهَا كَرَاكِبِ الصَّعْبَةِ إِنْ أَشْنَقَ لَهَا خَرَمَ وَإِنْ أَسْلَسَ لَهَا تَقَحَّمَ»،(٤) إذ الغرض بيان شدّة الخشونة بعد ما كان أصله معلوماً معروفاً.

وما قاله عليه السلام في وصف الملائكة: «وَمِنْهُمْ مَنْ هُوَ فِي خَلْقِ الْغَمَامِ الدُّلَّحِ وَفِي عِظَمِ

١. نهج البلاغة، الخطبة ٥.

٢. نهج البلاغة، الخطبة ٩١.

٣. نهج البلاغة، الخطبة ١٠٠.

٤. نهج البلاغة، الخطبة ٣.

الْجِبَالِ الشُّمَّخِ».

وممّا جاء فيه لزيادة الإيضاح، قوله عليه السلام: «الدَّاعِي بِلَا عَمَلٍ كَالرَّامِي بِلَا وَتَر»،[١] وقوله عليه السلام: «وَإِيَّاكُمْ وَالْفُرْقَةَ فَإِنَّ الشَّاذَّ مِنَ النَّاسِ لِلشَّيْطَانِ كَمَا أَنَّ الشَّاذَّ مِنَ الْغَنَمِ لِلذِّئْب»،[٢] ويمكن أن يكون منه قوله عليه السلام: «فَإِنَّمَا مَثَلُ الدُّنْيَا مَثَلُ الْحَيَّةِ لَيِّنٌ مَسُّهَا قَاتِلٌ سَمُّهَا».[٣]

والمدح كقوله عليه السلام: «وَكِتَابُ اللَّهِ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ نَاطِقٌ لَا يَعْيَا لِسَانُهُ وَبَيْتٌ لَا تُهْدَمُ أَرْكَانُهُ وَعِزٌّ لَا تُهْزَمُ أَعْوَانُه»،[٤] وقوله عليه السلام: «وَعَلَيْكُمْ بِكِتَابِ اللَّهِ فَإِنَّهُ الْحَبْلُ الْمَتِينُ وَالنُّورُ الْمُبِينُ وَالشِّفَاءُ النَّافِعُ وَالرِّيُّ النَّاقِع».[٥]

والذمّ كقوله عليه السلام: «إِلَى أَنْ قَامَ ثَالِثُ الْقَوْمِ نَافِجاً حِضْنَيْهِ بَيْنَ نَثِيلِهِ وَمُعْتَلَفِه»،[٦] وكقوله عليه السلام: «مَا لِي أَرَاكُمْ أَشْبَاحاً بِلَا أَرْوَاحٍ ...»،[٧] ويمكن أن يكون هذه للإغراء والتشجيع.

ومن مجيئه للاستطراف -أي عدّه طريفاً غريباً- قوله عليه السلام لابن عبّاس: «هَيْهَاتَ

---

١. نهج البلاغة، كلمة ٣٣٧.

٢. نهج البلاغة، الخطبة ١٢٧.

٣. نهج البلاغة، الخطبة ٦٨.

٤. نهج البلاغة، الخطبة ١٣٣.

٥. نهج البلاغة، الخطبة ١٥٦.

٦. نهج البلاغة، الخطبة ٣.

٧. نهج البلاغة، الخطبة ١٠٨.

يَا ابْنَ عَبَّاسٍ تِلْكَ شِقْشِقَةٌ هَدَرَتْ ثُمَّ قَرَّتْ»، والشقشقة قطعة لحم أحمر يظهر في أطراف فم الإبل عندما يغضب ثمّ يسكن فورته ويزول تدريجاً.

ومن طريف ما جاء لبيان حال المشبّه به دون المشبّه علىٰ خلاف المتعارف قوله:

وبدا الصباح كان غرّته وجه الخليفة حين يمتدح

وهذا لكمال المبالغة فيجعل المشبّه مشبّهاً به وبالعكس، لإيهام أنّ ممدوحه أتمّ وأكمل من ضياء الصباح وإشراقه، ولذا ترىٰ بعض الظرفاء يبدّلون المثل المعروف «المسافر كالمجنون» بقولهم «المجنون كالمسافر».

ثمّ من الذي يقبل ذلك ويُقبل إليه إلّا الخليفة وأزلامه، قال سبحانه وتعالىٰ: ﴿وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُون * أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وادٍ يَهيمُون﴾.[١]

وقد يورد التشبيه ضمناً ويجعل في صورة برهان علىٰ الحكم الذي اُسند إليه المشبه، كقول المتنبّي:

من يهن يسهل الهوان عليه ما لجرح بميّت إيلام[٢]

أقول: والظاهر أنّ منه قوله عليه السلام: «هَذَا مَاءٌ آجِنٌ وَلُقْمَةٌ يَغَصُّ بِهَا آكِلُهَا وَمُجْتَنِي الثَّمَرَةِ لِغَيْرِ وَقْتِ إِينَاعِهَا كَالزَّارِعِ بِغَيْرِ أَرْضِه»،[٣] فإنّ قوله عليه السلام «ومجتني الثمرة ...» في قوّة التعليل، لكون الإقدام للخلافة فعلاً غير مفيد بل مضرّ، فدلّ بقوله «هذا ماء

---

١. الشعراء: ٢٢٤-٢٢٥.

٢. تاريخ الخلفاء، ١: ٥٧٧.

٣. نهج البلاغة، الخطبة ٥.

آجن» ثمّ يشبّهه بذلك لتقريره وإثباته، وعدّوا ما ذكر من التشبيه علىٰ غير طرقه الأصلية.

المبحث الثامن: انقسام التشبيه باعتبار الغرض إلىٰ مقبول ومردود

فالمقبول ما يوفي بالغرض، بأن يكون وجه الشبه من الأوصاف البارزة للمشبّه به ويكون من أظهر خواصّه كالأسد في الشجاعة لا في بخر الفم وإن كان من خواصّه.

قال: «وقد اشتهر رجال من العرب بخلال محمودة فصاروا فيها أعلاماً فجرىٰ التشبيه بهم» وعدّ أشخاصاً ليس بينهم أمير المؤمنين عليه السلام، ولعلّ الوجه فيه أنّه لايقاس به أحد في أيّ وصف من أوصافه، فكلامه عليه السلام فوق كلام المخلوق ودون كلام الخالق، وفتوّته بحيث نادىٰ المنادي في وقعة أُحد «لا فتىٰ إلّا علي لا سيف إلّا ذوالفقار».

وشجاعته فقد وصفه رسول الله صلى الله عليه وآله في وقعة خيبر بأنّه «كرّار غير فرّار يفتح الله علىٰ يديه» فقلع باب الخيبر لا بقوّة جسدانية بل بقوّة ربّانية.

وعبادته كان بحيث يغشىٰ عليه من خشية الله في مناجاته بالليل ودعائه وصلواته وتضرّعه وابتهاله بما لايعرفه أحد بعد النبي صلى الله عليه وآله إلّا بتعليمه؛ فلاحظ ما ورد عنه من صنوف الدعاء كدعاء كميل والمناجاة الشعبانية ودعاء الصباح ثمّ احكم هل يقدر عليها أحد إلّا من ارتضاه الله من خلقه وأفاض عليه من علمه وجعله وليّاً فوق جميع أوليائه، وهذا عدله وزهده وعلمه، فقد كان باب مدينة علم رسول الله بإجماع الأُمّة علىٰ صحّة مضمون الحديث المتواتر «أَنَا مَدِينَةُ الْعِلْمِ وَعَلِيٌّ

بَابُهَا ...».[١]

وهذا السيّد الحميري الشاعر المعروف يقول:

حدّثــه في مجلـس واحــد ألف حديث معجب حاجب
كل حديـث مـن أحاديثـه يفتـح ألـف عـدّة الحاسـب
فتلـك وفـت ألـف ألـف لـه فيهاجماع المحكم الصائب[٢]

وهذا عدله فقد اشتهر فيه أنّه قتل في محراب عبادته لشدّة عدله عليه السلام.

١. المستدرك، ٣: ١٣٧.

٢. مناقب آل أبي طالب عليهم السلام، ٢: ٣٦.

الباب الثاني

المجاز

وفيه أحد عشر مبحثاً:

المبحث الأول: أنواع المجاز

المبحث الثاني: المجاز المفرد المرسل

المبحث الثالث: المجاز المفرد بالاستعارة

المبحث الرابع: المجاز المركب بالاستعارة التمثيلية

المبحث الخامس: تقسيم الاستعارة باعتبار ما يذكر من الطرفين

المبحث السادس: تقسيم الاستعارة بالتحقيقية والتخييلية

المبحث السابع: تقسيم الاستعارة باعتبار لفظه إلى الأصلية والتبعية

المبحث الثامن: تقسيم الاستعارة المصرّحة بالرفاقية والعنادية

المبحث التاسع: تقسيم الاستعارة إلى عامّية وخاصّية

المبحث العاشر: انقسام الاستعارة إلىٰ مطلقة ومرشّحة ومجرّدة

المبحث الحادي عشر: المجاز المرسل المركّب

تعريف المجاز

المجاز هو اللفظ المستعمل في غير ما وضع له لعلاقة مع قرينة دالّة علىٰ عدم إرادة المعنىٰ الموضوع له، وهو مشتقّ من جاز الشيء يجوزه إذا تعدّاه، لأنّ اللفظ قد جيز به موضعه الأصلي. وهذا كما عرّفه المشهور وقد عرفت تحقيق الكلام فيه.

وفيه مباحث:

المبحث الأول: أنواع المجاز

ينقسم المجاز إلىٰ أربعة أقسام: مجاز مفرد مرسل و مجاز مفرد بالاستعارة ومجاز مركّب مرسل ومجاز مركّب بالاستعارة.

المبحث الثاني: المجاز المفرد المرسل

وهو الكلمة المستعملة في غير معناها الموضوع له لملاحظة علاقة غير المشابهة مع قرينة دالّة عليه وعلىٰ عدم إرادة المعنىٰ الموضوع له، وبعبارة اُخرىٰ مع القرينة الصارفة المعيّنة. وسمّي مرسلاً لإرساله بين العلائق الكثيرة بخلاف الاستعارة.

علاقات المجاز المفرد المرسل

وله علاقات كثيرة وأهمّها:

١. السببية: وهي كون المعنىٰ المنقول عنه سبباً للمنقول إليه، نحو «رعت الماشية الغيث» أي النبات، لأنّ الغيث أي المطر سبب لحدوث النبات، وقرينته لفظية وهي قوله «رعت».

أقول: ومنه قوله عليه السلام في بعض أدعية شهر رجب: «وَأَيَادِيكَ الْفَاضِلَة» وفي بعض آخر «أَيَادِيكَ الْجَمِيلَة»، والمراد العطايا والنعم، أُطلق عليها الأيادي لأنّها أسباب لحصولها.

والظاهر أنّ منه قوله تعالىٰ: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾،[١] لأنّ المراد منه شكر رزقكم فأُطلق عليه الرزق، لكونه سبباً للشكر عند العقلاء.

٢. المسبّبية: وهي أن يكون المنقول عنه مسبّباً للمنقول إليه، بعكس الصورة السابقة، نحو ﴿وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّماءِ رِزْقاً﴾،[٢] أي مطراً يسبّب الرزق.

أقول: والظاهر أنّ منه قوله عليه السلام: «فَالْتَمِسُوا ذَلِكَ مِنْ عِنْدِ أَهْلِهِ فَإِنَّهُمْ عَيْشُ الْعِلْمِ وَمَوْتُ الْجَهْل».[٣] في الحقيقة أنهم أسباب عيش العلم وموت الجهل، فذكر ما هو ظاهر في المسبّب وأريد مجازاً سببه. هذا إن لم نقل أنّه من قبيل التجوّز في الإسناد بأن يراد

١. الواقعة: ٨٢.

٢. غافر: ١٣.

٣. نهج البلاغة، الخطبة ١٤٧.

بكلّ من الموضوع والمحمول (المسند والمسند إليه) معناه الحقيقي ثمّ أسند أحدهما إلىٰ الآخر مجازاً.

٣. الكلّية: وهي كون الشيء متضمّناً للمقصود ولغيره، نحو ﴿يَجْعَلُونَ أَصابِعَهُمْ في آذانِهِمْ مِنَ الصَّواعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ﴾.[١] والمراد بأصابعهم «أناملهم» مجازاً، فذكر الكلّ وأريد به الجزء.

أقول: والظاهر أنّ منه آية حدّ السرقة وهي قوله تعالىٰ: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُما﴾،[٢] إذ هي حقيقة في تمام الجارحة والمراد به الأصابع الأربعة أو من حدّ الزند كما أفتىٰ به بعض.

٤. الجزئية: وهي كون المذكور ضمن شيء آخر، نحو «نشر الحاكم عيونه في المدينة» أي الجواسيس، لأنّ كلّ عين جزء من الجاسوس والقرينة الاستحالة إمّا باستحالة أهل المدينة بكون الجواسيس عيوناً للحاكم، فكأنّه لم يشرف عليهم غير الحاكم، وإمّا باستحالة الجواسيس من جهة أنّهم صاروا بمنزلة عيون الحاكم.

وكيف كان فعدّ الاستحالة قرينة في المقام من الأغلاط، إذ القرينة هٰهنا عبارة عن عدم إمكان نشر عيون الحاكم حقيقة في المدينة، فينتقل الذهن منه إلىٰ انتشار العيون التي هي بمنزلة عيون الحاكم وهي عيون الجواسيس. وحيث إنّ انتشار تلك العيون بدون انتشار أصحابها أيضاً غير ممكن، فينتقل الذهن إلىٰ انتشار أصحاب

---

١. البقرة: ١٩.

٢. المائدة: ٣٨.

تلك العيون.

نعم الاستمالة له فائدة تترتّب علىٰ هذا النمط من الاستعمال المجازي؛ وكإطلاق الرقبة علىٰ الإنسان في مثل قوله تعالىٰ: ﴿فَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ مُّؤۡمِنَةٖ﴾،[١] حيث أريد من الرقبة تحرير العبد.

أقول: ذكر لاستعمال اللفظ الموضوع للجزء في الكلّ شرط، وهو أن يكون الجزء من الأجزاء الركينة كإطلاق الرقبة علىٰ الإنسان وإطلاق العين علىٰ الجاسوس، لأنّ التجسّس لايتحقّق إلّا بالعين، ولايصحّ استعماله في جميع الموارد لأنّ الطبع السليم لايستحسنه.

وقد ذكر من العلائق اللازمية: كـ«طلع الضوء» أي الشمس.

وفيه: أنّه من الكناية، لأنّ المراد طلوع الضوء لينتقل منه الذهن إلىٰ طلوع الشمس.

والملازمية: نحو «ملأت الشمس المكان» أي ضوؤها.

وفيه: أنّ للشمس إطلاقين حقيقة علىٰ عين الشمس وعلىٰ ضوئه.

والآلية: نحو قوله تعالىٰ: ﴿وَٱجۡعَل لِّي لِسَانَ صِدۡقٖ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ﴾،[٢] أي ذكراً حسناً، بعلاقة آلية اللسان للذكر الحسن.

وفيه أيضاً تأمّل، لأنّه لا مانع من إرادة الحقيقة، فيدعو لهم أن يجعل اللّٰه لسانهم

---

١. النساء: ٩٢.

٢. الشعراء: ٨٤.

لساناً صادقاً في حقّه، فلايذكرونه بالكذب والإفتراء.

والإطلاق: كقوله تعالىٰ: ﴿فَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٍ﴾،[١] أراد به رقبة مؤمنة.

وفيه: أولاً: أنّ ذلك مبنيّ علىٰ كون أسماء الأجناس موضوعة للطبيعة بما هي مطلقة، وليس كذلك بل هي موضوعة لنفس الطبيعة لا بشرط من الإطلاق والتقييد فهما خارجتان عن الموضوع له والمستعمل فيه، وإنّما يفهمان من دوالّ أُخرىٰ بنحو تعدّد الدالّ والمدلول.

وثانياً: أنّ إرادة المقيّد من الطبيعة لايستلزم التجوّز، لأنّ اللفظ مستعمل في ذات الطبيعة والتقيّد يستفاد من دالّ آخر، فلايلزم التجوّز بوجه.

والتقييد: نحو «ما أغلظ جحفلة زيد» أي شفته، مع أنّ الجحفلة بمعنىٰ شفة الفرس حقيقة.

وفيه: أنّه إنّما يستعمل في موارد المبالغة في الغلظة، فهو من الاستعارة لغلظة شفة الفرس وعلاقته المشابهة دون الإطلاق والتقييد.

والعموم: كقوله تعالىٰ: ﴿أَمۡ يَحۡسُدُونَ النَّاسَ عَلَى ما آتاهُمُ اللَّهُ مِنۡ فَضۡلِهِ﴾،[٢] والمراد من الناس خصوص النبي صلى الله عليه وآله وعترته عليهم السلام.

أقول: هذا النمط من الاستعمال في القرآن الكريم كثير، بل ينبغي أن يعدّ ذلك لسان القرآن، كقوله تعالىٰ: ﴿الَّذِينَ قالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدۡ جَمَعُوا لَكُمۡ

---

١. النساء: ٩٢.

٢. النساء: ٥٤.

فَاخْشَوْهُم﴾،[١] والمراد شخص واحد وهو نعيم بن مسعود الأشجعي.

وكقوله تعالىٰ: ﴿هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لاتُنْفِقُوا عَلى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُّوا ... يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنا إِلَى الْمَدينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَز﴾،[٢] وكان المقصود منه شخص واحد وهو عبدالله بن أبيّ.

وكقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّما وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكاةَ وَهُمْ راكِعُونَ﴾،[٣] والمراد به بإجماع الاُمّة علي بن أبي طالب عليه السلام.

وكقوله تعالىٰ: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخافُونَ يَوْماً كانَ شَرُّهُ مُسْتَطيراً﴾،[٤] والمراد خصوص العترة الطاهرة علي وفاطمة والحسنين وفضّة عليهم السلام.

إلىٰ غير ذلك ممّا قيل في المقام من العلائق، فلانطيل الكلام بذكرها عدا مورداً واحداً، وهو إطلاق اسم الفاعل وإرادة المفعول، كقوله تعالىٰ: ﴿لا عاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّه﴾،[٥] والمراد به المعصوم.

أقول: وهذا عجيب بل المتعيّن كونه بمعنىٰ الفاعل، لأنّه مقولة قول نوح عليه السلام في جواب ابنه حيث قال: ﴿سَآوي إِلى جَبَلٍ يَعْصِمُني مِنَ الْماء قَالَ لا عاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ

---

١. آل عمران: ١٧٣.

٢. المنافقون: ٧-٨.

٣. المائدة: ٥٥.

٤. الإنسان: ٧.

٥. هود: ٤٣.

اللّه﴾،[١] أي لا عاصم اليوم من أمر اللّه سواء الجبل وغيره ممّا هو أعظم منه وأقوىٰ، فالكلمة مستعملة في معناها الحقيقي؛ كما أنّه يمكن أن يكون المراد من العاصم المعصوم يعني لايكون أحد معصوماًمن أمره تعالى ويؤيّده ما ذكر في ذيل الآية (إلّا من رحم) فيكون مستعملاً في المعنى المجازي.

المبحث الثالث: المجاز المفرد بالاستعارة

والاستعارة في اللغة من العارية، وفي الاصطلاح استعمال اللفظ في غير ما وضع له لعلاقة المشابهة بين المعنىٰ الموضوع له والمستعمل فيه مع قرينة صارفة عن إرادة المعنىٰ الحقيقي.

والفرق بينه وبين التشبيه، أنّ التشبيه في باب التشبيه هو المقصود بالبيان، كقولك: «زيد كالأسد أو أسد»، بينما يكون التشبيه في باب الاستعارة أمراً مفروغاً عنه والمتكلّم جعله ثابتاً غير محتاج إلىٰ البيان مباشرة، والذي أُريد بيانه أمر آخر، كقولك: «رأيت الأسد» أو «جاء الحاتم» فتكون فعلاً في مقام بيان الرؤية والمجيء، وأمّا كون زيداً أسداً أو حاتماً فهو أمر مفروغ عنه، وكأنّه ممّا يعلمه المخاطب، إذن ففي كلّ استعارة تشبيه مكتوم جعل ثبوته مفروغاً عنه، ولذا قال في الجواهر: «ولابدّ فيها من عدم ذكر وجه الشبه ولا أداة التشبيه، بل لابدّ من تناسي التشبيه الذي من أجله وقعت الاستعارة فقط مع ادّعاء أنّ المشبّه عين المشبّه به أو فرد من أفراده

١. هود: ٤٣.

إن كان كلّياً كاسم الجنس وعلمه، كما أنّ ادّعاء العينيّة إنّما هو فيما إذا كان المشبّه به أمراً شخصياً، والمقصود من بيان ذلك إثبات ما للمشبّه به من الوصف الذي عرف به للمشبّه، ولذا تبطل الاستعارة في مثله إن لم يكن للمشبّه به وصفاً معروفاً به.

المبحث الرابع: المجاز المركّب بالاستعارة التمثيلية

ورجّحت تقديم هذا المبحث علىٰ تقسيمات الاستعارة المختلفة، لأنّ محلّها طبيعة الاستعارة الجامعة بين المفردة والمركّبة، فالأولىٰ إيراد كلا القسمين ثمّ التعرّض لما يمكن أن يرد عليهما من الانقسامات ككون الاستعارة تحقيقة أو تخييلة، أصلية أو تبعية، مطلقة أو مرشّحة أو مجرّدة، عامّية أو خاصّية وهكذا.

فنقول بعون اللّٰه تعالىٰ: المستعار إمّا مفرد يستعار له مفرد، وإمّا مركّب كذلك، وحيث إنّ المركب بجميع أجزائها علىٰ التفصيل لايكون ظرفاً للاستعارة، فالمستعار هي الهيئة التركيبية؛ وبعبارة اُخرىٰ هي الصورة المنتزعة من المركّب وكذا المستعار له، كالمثل المعروف «في الصيف ضيّعت اللبن» يستعار به لمن فرّط في تحصيل أمر في زمنه المناسب ثمّ يطلبه في زمن لايمكن تحصيله فيه.

ونحو «إنّي أراك تقدّم رجلاً وتؤخّر اُخرىٰ» يستعار به لمن يتردّد في أمر فتارة يقدم و اُخرىٰ يحجم من باب تشبيه المعقول بالمحسوس.

ونحو «أحشفاً[١] وسوء كيله» يستعار به لمن يظلم من جهتين يكون اجتماعهما عجيباً، وأصله أنّ رجلاً اشترىٰ تمراً فإذا هو رديء وناقص الكيل فنطق بذلك.

١. التمر البالي.

ومن النظم قوله:

إذا جاء موسىٰ وألقىٰ العصا فقد بطل السحر والساحر

يستعار به لكلّ مصلح قادر علىٰ إمحاء فساد المفسدين وعنده الإمكانيات والقابليات لذلك في الأُمور.

وكقوله:

متىٰ يبلغ البنيان يوماً تمامه إذا كنت تبنيه وغيرك يهدم

يستعار به لكلّ مصلح يعارضه في إصلاحاته بعض المفسدين؛ ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾،[١] أعاذنا اللّٰه منهم.

أقول: مثاله في كلامه عليه السلام: «فَإِنَّ الشَّيْطَانَ كَامِنٌ فِي كِسْرِهِ وَقَدْ قَدَّمَ لِلْوَثْبَةِ يَداً وَأَخَّرَ لِلنُّكُوصِ رِجْلا»،[٢] استعار عليه السلام لمعاوية أو عمرو بن العاص الشيطان واستعار لهيئة تردّده في الإقدام في القتال والإحجام عنه بمن يقدّم يده ويؤخّره رجله.

ولعلّ منه قوله عليه السلام: «وَطَفِقْتُ أَرْتَئِي بَيْنَ أَنْ أَصُولَ بِيَدٍ جَذَّاءَ أَوْ أَصْبِرَ عَلَى طَخْيَةٍ عَمْيَاء»،[٣] فإنّه عليه السلام شبّه تردّده بين حالتي الإقدام مع قلّة الناصر وخذلان الحبيب وتركه بتحمّل تلك الخسارة الفادحة بمن يتردّد بين أن يصول بيد جزّاء أو يصبر علىٰ طخية عمياء، ولٰكنّه عليه السلام فضّل الثاني علىٰ الأوّل تحفّظاً علىٰ الوحدة

---

١. البقرة: ١١.

٢. نهج البلاغة، الخطبة ٦٦.

٣. نهج البلاغة، الخطبة ٣.

ودماء المسلمين.

ثمّ لايشتبه عليك الأمر أنّ هذا يغاير الاستعارات المفردة المتتالية والمترتّب بعضها علىٰ بعض، كما إذا قلت: «رأيت حاتماً يجود بعلمه ما أكثر من أرواه من منهل علمه ببارد بيانه ومن أشبعه من خزانة فكره بلذيذ كلامه»، فقد استعرت للعالم بالحاتم ثمّ استعرت بالجود -الذي ينصرف في نفسه إلىٰ الجود بالمال- لتعليم العلم ثمّ استعرت بالإرواء لإفهام الطلّاب المشتاقين إلىٰ تحصيل العلوم فشبّهوا بالعطشانين الطالبين للماء وكذلك ما بعده.

وعلىٰ كلّ حال هذه استعارات مفردة متتالية ومترتّب بعضها علىٰ بعض وليست بالاستعارة التركيبية، لأنّ شرطه أن يكون المشبّه مركّباً من أمرين في عرض واحد والمشبّه به أيضاً يكون أمرين في عرض واحد، ثمّ يستعار بالثاني للأوّل بدون الإشارة إلىٰ التشبيه كالأمثلةالسابقة.

المبحث الخامس: تقسيم الاستعارة باعتبار ما يذكر من الطرفين

١. الاستعارة التصريحية أو المصرّحة: وهي ما إذا ذكر لفظ المشبّه به فقط كما تقدّم من الأمثلة، مثل «رأيت الحاتم» مريداً به زيداً لكونه مثل الحاتم في الجود فكأنّه عينه.

٢. الاستعارة بالكناية أو المكنية: وهي أن يذكر لفظ المشبّه خاصّة، ثمّ يشار إلىٰ المشبّه به بذكر لازمه، كالبيت المعروف:

وإذا المنية أنشبت أظفارها   ألفيت كلّ تميمة لا تنفع[١]

فشبّه المنيّة بالسبع في الاغتيال واستعار السبع لها في نفسه ولم يذكرها ولكن رمز إليه بإثبات الأظفار للمنية التي هي من خصائص السبع، فالاستعارة في هذا المقام استعارة تخييلية، لأنّه يبتني علىٰ وجود الأظفار الوهمية المجسّمة في قوّة الخيال للمنيّة بعد ما شبّه بالسبع، وحيث إنّ الاستعارة التخييلية قرينة الاستعارة المكنية (بالكناية) فهي لازمة لها لاتفارقها أبداً، لأنّه لا مجاز إلّا مع القرينة والقرينة منحصرة فيها.

فتحصّل أنّ أنواع الاستعارة ثلاثة: تصريحية ومكنية وتخييلية.

أقول: هذا مذهب السلف كالشيخ عبدالقاهر، وخالف في ذلك السكّاكي علىٰ ما نسب إليه، فقال علىٰ ما حكي عنه: «إنّ المستعار بالاستعارة بالكناية هو لفظ المشبّه المستعمل في المشبّه به بادّعاء أنّه عينه، وتطبيقه بأن يقال: إنّ المستعار في بيت الهذلي هو لفظ المنيّة والمستعار منه الموت والمستعار له هو السبع فقد أُريد بالمنيّة السبع بادّعاء السبعية لها بقرينة إضافة الأظفار التي هي من خواصّ السبع إليها».

وتحقيق المقام ممّا لايساعده المجال، والغرض وقوفك علىٰ الأقوال.

المبحث السادس: تقسيم الاستعارة بالتحقيقية والتخييلية

إن كان المستعار له أمراً محقّقاً إمّا حسّاً وإمّا عقلاً فالاستعارة تحقيقية؛ والأول مثل «رأيت بحراً يعطي»، فاستعير البحر لإنسان مشار إليه بالحواس، والثاني مثل ﴿اهْدِنَا

---

١. كنز الفوائد: ١: ٦٤.

الصِّراطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾،[١] حيث استعير الصراط المستقيم للدين الحقّ.

وإن لم يكن المستعارله محقّقاً لا حسّاً ولا عقلاً، بل أوجدها الخيال فالاستعارة تخييلية، كالأظفار التي أثبتها الشاعر للمنيّة بعد تشبيهها بسبع، فصارت المنيّة سبعاً في عالم الخيال، لها أنياب وأظفار بصنع الخيال.

ثمّ إنّهم قالوا: «إنّ الاستعارة التخييلية لا تفارق الاستعارة المكنية لأنّها قرينته، فإنّ استعارة السبع المقدّرة التي هي استعارة بالكناية غير مذكورة ولا دالّ عليها سوىٰ ذكر الأظفار فلابدّ من ذكرها. أمّا إذا كانت اللوازم متعدّدة فما هو الأقوىٰ منها كالأظفار تكون قرينة عليها، وماعداه من الملائمات ترشيح، كالإنشاب في قولهم أنشبت المنيّة، لأنّ مناسبتها للسبعية ليست بمقدار تناسب الأظفار إيّاها».

ومن الاستعارة التخييلية قوله عليه السلام: «يَنْحَدِرُ عَنِّي السَّيْلُ وَلَا يَرْقَى إِلَيَّ الطَّيْر»،[٢] حيث استعار القلّة الرفيعة لنفسه الشريفة بلحاظ الرفعة العلمية ثمّ أوعز إليه ببيان لوازمه وهو قوله عليه السلام: «ينحدر عنّي السيل» أي كما ينحدر عن القلل العالية، «ولايرقىٰ إليّ الطير» كما لايرقىٰ إلىٰ القمم الشامخة، والغرض كونه رفيعاً علماً شامخاً معنوياً. والمراد من «السيل» سيل العلوم، والمراد من «الطير» من يدّعي ما ليس له بغياً وحسداً.

---

١. الفاتحة: ٦.

٢. نهج البلاغة، الخطبة ٣.

وكقوله عليه السلام: «لَكِنِّي أَسْفَفْتُ إِذْ أَسَفُّوا وَطِرْتُ إِذْ طَارُوا»،[١] فاستعار عليه السلام لنفسه الشريفة استعارة بالكناية طائراً لايتخلّف عن سائر الطيور فترك وأتىٰ بقرينته وهي الاستعارة التخييلية.

«أسففت إذ أسفّوا» يعني تركت الطيران ونزلت إذا أرادوا النزول، «وطرت إذ طاروا» يعني فلم انعزل عنهم.

وكقوله عليه السلام: «فَسَدَلْتُ دُونَهَا (الخلافة) ثَوْباً وَطَوَيْتُ عَنْهَا (الخلافة) كَشْحا»،[٢] فشبّه عليه السلام في نفسه الخلافة بشيء يكرهه فيحتجب عنه بستر، فترك ذكر المستعار وأثبت ما هو من لوازمه وهو إرخاء الستر دونه وكذا ما بعده.

وأمّا قوله عليه السلام: «فَصَبَرْتُ وَفِي الْعَيْنِ قَذًى وَفِي الْحَلْقِ شَجًا»،[٣] فهو من الاستعارة التصريحية، لأنّه شبّه تأذّيه وحزنه بوجود القذىٰ في العين والشجىٰ في الحلق وهو لايقدر علىٰ إخراجها، فلم يذكر التشبيه بل طبّق المشبّه به علىٰ المشبّه.

المبحث السابع: تقسيم الاستعارة باعتبار لفظه إلى الأصلية والتبعية

والأول: كما إذا كان لفظاً جامداً كالبدر والأسد إذا استعير للجميل والشجاع، أو إسماً جامداً مستعاراً لمعنىٰ كالقتل للضرب الشديد، فتسمّىٰ الاستعارة بالأصلية،

١. نهج البلاغة، الخطبة ٣.
٢. نهج البلاغة، الخطبة ٣.
٣. نهج البلاغة، الخطبة ٣.

كقوله تعالىٰ: ﴿لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُماتِ إِلَى النُّورِ﴾،[١] فاستعير الظلمات والنور للضلال والهدىٰ. وإنّما سمّيت بـ«الأصلية» لأصالتها وعدم ابتنائهاعلىٰ تشبيه آخر.

والثاني: كما إذا كان المستعار فعلاً أو اسم فعل أو مشتقّاً، فالاستعارة إذن تبعية، لأنّ الاستعارة ابتداءاً تقع في مصدرها ثمّ فيها؛ كما إذا قلت: «نطقت الحال بكذا»، إذ المستعار ابتداءاً هو النطق الذي يكون بمعنىٰ إظهار الشيء لفظاً لمطلق الإبراز والإظهار وبتبعه أطلق الفعل (نطقت) في وقوع الإظهار الخالي عن اللفظ في الزمان الماضي.

المبحث الثامن: تقسيم الاستعارة المصرّحة بالوفاقية والعنادية

فالوفاقية: هي ما يمكن اجتماع طرفيها في شيء واحد.

والعنادية: ما لايمكن اجتماعهما كذلك.

وقد اجتمع مثالاهما في قوله تعالى: ﴿أَوَمَنْ كانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْناه﴾،[٢] أي ضالّاً فهديناه، فاستعير «ميتاً» لضالّاً وهما لايمكن اجتماعهما في محلّ واحد فهي عنادية، واستعير «أحييناه» لهديناه وهما يمكن اجتماعهما لاجتماع الهداية والحياة فهي وفاقية.

ومن العنادية «رأيت أسداً»، لعدم إمكان اجتماع الحيوان المفترس والرجل الشجاع في محلّ واحد.

---

١. إبراهيم: ١.

٢. الأنعام: ١٢٢.

قال في الجواهر: وقد يستعمل العنادية تهكّماً واستهزاءاً كإطلاق الأسد علىٰ المعروف بالجبن والضعف.

أقول: لايختصّ بذلك، بل يجري ذلك في الوفاقية أيضاً، كما إذا قلت للمستغرق في بحار الضلال: «لقد أحياك الإسلام»، فاستعرت الإحياء للهداية تهكّماً.

وأمّا المثال من كلامه عليه‌السلام، فللوفاقية قوله عليه‌السلام: «وَإِنَّمَا الدُّنْيَا مُنْتَهَى بَصَرِ الْأَعْمَى»،[1] فقد استعار لفظ «البصر» للعقل و«الأعمىٰ» للجاهل ويمكن اجتماع البصر والعقل وكذا العمىٰ والجهل.

والعنادية كقوله عليه‌السلام: «وَذَلِكَ مَيِّتُ الْأَحْيَاءِ»،[2] فإنّ الموت والحياة لايمكن اجتماعهما.

المبحث التاسع: تقسيم الاستعارة إلىٰ عامّية وخاصّية

الاستعارة المصرّحة باعتبار الجامع (وجه الشبه) نوعان:

١. عامّية: وهي ما يكون الجامع فيها واضحاً يعرفه كلّ أحد من دون إمعان نظر، كقولك: «رأيت أسداً يرمي».

٢. خاصّية: وهي التي يكون الجامع فيها غامضاً لايدركه إلّا الفطن الحاذق.

أقول: وخير الأُمور أوسطها، والميزان في ذلك أن يستجوده الطبع السليم والذوق

---

١. نهج البلاغة، الخطبة ١٣٣.

٢. نهج البلاغة، الخطبة ٨٧.

المستقيم، كما هو كذلك في الآيات الكريمة والخطب الشريفة، فقد يكون قريباً للأفهام الساذجة، كقوله تعالىٰ: ﴿ما هذا بَشَراً إِنْ هذا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾،[١] وكقوله عليه السلام: «فَصَبَرْتُ وَفِي الْعَيْنِ قَذًى وَفِي الْحَلْقِ شَجًا أَرَى تُرَاثِي نَهْبا»،[٢] وكقوله عليه السلام: «وَافْتَحِ اللَّهُمَّ لَنَا مَصَارِيعَ الصَّبَاحِ بِمَفَاتِيحِ الرَّحْمَةِ وَالْفَلَاحِ»،[٣] وكقوله عليه السلام: «أَمْ كَيْفَ تَرُدُّ ظَمْآناً وَرَدَ إِلَى حِيَاضِكَ شَارِباً كَلَّا وَحِيَاضُكَ مُتْرَعَةٌ فِي ضَنَكِ الْمُحُول».[٤]

إلىٰ غير ذلك من الاستعارات اللطيفة المقبولة.

المبحث العاشر: انقسام الاستعارة إلىٰ مطلقة ومرشّحة ومجرّدة

تنقسم الاستعارة باعتبار ذكر ملائم المستعار له وعدمه إلىٰ ثلاثة أقسام: مطلقة ومرشّحة ومجرّدة.

فالمطلقة: هي التي لم تقترن بملائم أصلاً، نحو «عندي أسد».

والمرشّحة: المقرونة بملائم المستعار منه، كقوله عليه السلام: «أَفْلَحَ مَنْ نَهَضَ بِجَنَاح»،[٥] فإنّه عليه السلام استعار الجناح للأعوان والأنصار وقرنه بما يلائم المستعار منه أي الجناح الحقيقي وهو ذكر النهوض، وكقوله عليه السلام: «يَنْحَدِرُ عَنِّي السَّيْل»،[٦] فإنّه عليه السلام استعار

١. يوسف: ٣١.
٢. نهج البلاغة، الخطبة ٣.
٣. دعاء الصباح.
٤. دعاء الصباح.
٥. نهج البلاغة، الخطبة ٥.
٦. نهج البلاغة، الخطبة ٣.

السيل للعلوم المفاضة منه ولكن قرنه بما يلائم المستعار منه وهو الانحدار، فإنّه من شأن السيل الحقيقي.

والمجرّدة: المقترنة بملائم المستعار، كقوله عليه السلام: «بِنَا اهْتَدَيْتُمْ فِي الظَّلْمَاءِ»،[1] استعير به بالظلماء للضلالة ثمّ قرنه بالإهتداء عنه وهو يناسب المستعار له دون المستعار منه.

المبحث الحادي عشر: المجاز المرسل المركّب

المجاز المرسل المركّب عبارة عن كلام (لا كلمة) مستعمل في غير معنىٰ الموضوع له لعلاقة غير المشابهة مع قرينة مانعة عن إرادة المعنىٰ الموضوع له.

قالوا: ويقع أوّلاً في المركّبات الخبرية المستعملة في الإنشاء وعكسه لأغراض كثيرة:

منها: التحسّر وإظهار التأسّف، فهو وإن وضع للإخبار عن المعنىٰ، لكن يستعمل في إنشاء التحسّر والتحزّن علىٰ ما فاته.

ومنها: إظهار السرور.

ومنها: الدعاء.

أقول: لا شبهة في إمكان الإخبار بداعي الإنشاء وفي صيرورته بذلك إنشاءاً

---

١. نهج البلاغة، الخطبة ٤.

كاستعمال الخبر في موضع الطلب، وكثر ذلك في الروايات الفقهية، كقولهم عليهم السلام: «يعيد الصلاة أو يتوضّأ أو يغتسل» بمعنىٰ وجوب الإعادة والوضوء والغسل، وقد ذكروا لذلك توجيهاً وجيهاً في الكتب الأُصولية.

وقد يكون الطلب دعائياً، كقولنا: «غفر اللّٰه لك ولوالديك» و«رحم اللّٰه فلان»، والمراد طلب الرحمة والمغفرة من اللّٰه سبحانه وتعالىٰ. وعلامة كونه إنشائياً أنّه غير قابل للتصديق والتكذيب.

وهذا بخلاف الإخبار عن بعض الأُمور لبعض الدواعي كالإخبار عن مضيّ الشباب تحسّراً أو الإخبار عن صدور أمر في الخارج عن فاعله ممّا لايليق بشأنه، فيكون الداعي إلىٰ ذكر ذلك توبيخه، أو عن صدور فعل حسن يعدّ فضيلة ومنقبة فيكون الكلام مدحاً، فإنّ ذلك كلّه لايخرجه عن طبيعته الأوّلية وهي الإخبار، فلذا يكون قابلاً للتصديق والتكذيب بأن يقال: ما قلت مطابق للواقع أو مخالف، فهذه الدلالات دلالات تبعية من قبيل دلالة الإيماء والإشارة.

وممّا جاء في كلامه عليه السلام من هذا النمط قوله عليه السلام: «إِنَّكُمْ وَاللَّهِ لَكَثِيرٌ فِي الْبَاحَاتِ قَلِيلٌ تَحْتَ الرَّايَاتِ»،[1] فإنّه لم يرد إعلامهم بذلك كيف وهم أبصر بذلك، بل كان المراد من ذكره توبيخهم عليه وردعهم عنه، وقوله عليه السلام حينما بلغه أنّ قريش احتجّوا علىٰ استحقاقهم للخلافة بأنّهم شجرة الرسول صلى الله عليه وآله: «وَأَضَاعُوا الثَّمَرَةَ»،[2] إذ لم

١. نهج البلاغة، الخطبة ٦٩.

٢. نهج البلاغة، الخطبة ٦٧.

يكن الغرض من بيان هذا الكلام صرف الإخبار والإعلام، بل كان الغرض إبطال احتجاجهم وأنّهم لم يكونوا مخلصين في ذلك، إذ من كان مخلصاً في حفظ الشجرة كان للثمرة -وهي عترة النبي صلى الله عليه وآله- أحفظ، فمن انتفاء التالي يعلم انتفاء المقدّم.

ومع ذلك لا شكّ في كون الكلام جملة خبرية وترتّب أمثال هذه الدواعي لاتخرجها عن طبيعته.

الباب الثالث

الكنـاية

وفيه فصلان:

تعريف الكناية

تقسيمات الكناية

تعريف الكناية

وهي لغة ترك التصريح والاكتفاء بالتلويح، واصطلاحاً لفظ أطلق وأُريد به لازم معناه مع قرينة معيّنة لا مانعة من إرادة المعنىٰ الأصلى، نحو «زيد طويل النجاد» تريد به طول قامته لاستلزامه طول حمّالة السيف، ولا مانع من إرادته حقيقة بأن يراد اللازم والملزوم كما يمكن أن يكون المراد خصوص المعنىٰ الالتزامي.

نعم قد يمتنع إدارة المعنىٰ الأصلي لخصوصية فيه تقتضي استحالته، كقوله تعالىٰ: ﴿الرَّحْمنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوى﴾،[1] فهي كناية عن الاستيلاء علىٰ العرش وتمام القدرة علىٰ إرادة العالم، كما أنّ جلوس السلطان علىٰ السرير يقتضي ذلك.

تقسيمات الكناية

وتنقسم -علىٰ ما قيل- إلىٰ ثلاثة أقسام، فإنّ المطلوب منها قد يكون صفة وقد يكون موصوفاً وقد يكون نسبة.

---

١. طه: ٥.

أمّا الأول: فعلىٰ نوعين: قريب وبعيد.

والقريب: ما يكون الانتقال فيها بلا واسطة بين المعنىٰ المنتقل عنه والمنتقل إليه أو وسائط قليلة، فإنّ دلالة طول النجاد علىٰ طول القامة والشجاعة قريبة واضحة.

والبعيد: ما له وسائط، نحو «فلان كثير الرماد»، لأنّه حاك عن كثرة إحراق الحطب وهو حاك عن كثرة الطبخ وهو حاك عن كثرة الضيوف وهو حاك عن الجود والكرم.

وأمّا الثاني: فإمّا هي صفة واحدة تكون كناية عن الموصوف كـ«موطن الأسرار»، فإنّها كناية عن القلب، وأمّا مجموع الصفات كقولك: «جائني حيّ مستوىٰ القامة عريض الأظفار»، فهي كناية عن الإنسان لاختصاص مجموع تلك الصفات به.

وأمّا الثالث: وهي النسبة، كقوله: «أنّ السماحة والمروّة والندىٰ في قبّة ضربت علىٰ ابن الحشرج»، فإنّ الصفات والموصوف معلومة قد جعلت كناية عن النسبة وهي تلبّس ابن الحشرج بتلك الصفات وانتسابها إليه.

أقول: ليت شعري ما وجه اختصاص انقسام الكناية إلىٰ قريب وبعيد بخصوص القسم الأول وهو كون المطلوب صفة -كما هو صريح الجواهر- فلماذا لايأتي ذلك في القسمين الأخيرين، أي ما إذا كان المطلوب الموصوف أو النسبة، وما المانع من كون الوسائط فيهما قليلة أو كثيرة، بل هو بمكان من الإمكان.

قال: وتنقسم أيضاً باعتبار الوسائط إلىٰ أربعة أقسام: تعريض وتلويح ورمز

وإيماء.

فالتعريض: أن يطلق الكلام ويراد به معنى آخر يفهم من السياق، نحو قولك: «المسلم من سلم المسلمون من يده ولسانه» تريد به تقبيح المؤذي بنفي صفة الإسلام عنه.

والتلويح: لغة أن تشير إلىٰ غيرك من بعد، واصطلاحاً الذي كثرت وسائطه بلا تعريض، كقوله:

وما يك فيّ من عيب فإنّي جبان الكلب مهزول الفصيل

يريد به أنّه جواد كثير الضيف ولكثرة تردّدهم يكون كلبه جباناً ويشرب لبن الناقة فلا يبقىٰ شيء لفصيله فيكون مهزولاً.

والرمز: ما قلّت وسائطه مع خفاء في اللزوم بلا تعريض، نحو «فلان عريض القفا» أي أبله.

والإيماء والإشارة: ما قلّت وسائطه مع وضوح اللزوم بلا تعريض، كقوله:

أو ما رأيت المجد ألقىٰ رحله في آل طلحة ثمّ لم يتحوّل

كناية عن اتّصافهم بالمجد والجود بغاية الوضوح.

علم البديع

تعريف البديع

البديع لغة ما اخترع علىٰ غير مثال سابق، واصطلاحاً علم يعرف به وجوه تحسين الكلام والمزايا التي بها تزيد الكلام حسناً وطلاوة مع مطابقته لمقتضىٰ الحال. وواضعه -علىٰ ما قيل- عبدالله بن المعتزّ المتوفّىٰ سنة ٢٧٤ هجرية، ثمّ اقتفىٰ أثره غيره، ولكن قد عرفت وستعرف أزيد أن جذور ذلك قد جاءت في كلمات مولانا أميرالمؤمنين عليه السلام أمير البيان ويعسوب الإيمان.

قال في الجواهر: وفي هذا العلم بابان وخاتمة، الباب الأول: في المحسّنات المعنوية.

أقول: وقد سقط من كلامه ما لايستحقّه السقوط ممّا لايستهان بشأنه، فقال مشايخ البلاغة ينبغي للمتكلّم أن يتأنّق كلامه في ثلاثة مواضع: الابتداء والتخلّص والانتهاء، فنقول تبعاً لهم:

أمّا الأول: وهو الابتداء، فمن اللازم أن يفتتح الكلام بأعذب الألفاظ وأجزلها وأخلاها من الحشو والزوائد والابتذال والتعقيد.

قالوا: وقد أتت القران الكريم في جميع فواتح السور بأحسن الوجوه من البلاغة وأكملها، كالتحميدات والنداء بمثل قوله تعالىٰ: ﴿ياأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ والحروف المقطّعة فيوقظ السامع للإصغاء إليه.

وفرّعوا علىٰ ذلك براعة الاستهلال وهو أن يكون أوّل الكلام دالّاً علىٰ ما يناسب مساق الكلام وحال المتكلّم. قال ابن المقفّع: «ليكن في صدر كلامك دليل علىٰ حاجتك».

وقال الجاحظ: «فرق بين صدر خطبة النكاح وخطبة الجمعة و...»[١] وأبرز ذلك كلّه مفتتح القرآن وهو سورة «الحمد» فإنّها مشتمل علىٰ جميع مقاصده، وكذلك أول سورة إقرأ وفيها: ﴿عَلَّمَ الْإِنْسانَ ما لَمْ يَعْلَم﴾.[٢]

وهو كثير وواضح في كلام أمير المؤمنين عليه السلام، لاحظ قوله عليه السلام: «الْحَمْدُ لِلَّهِ وَإِنْ أَتَى الدَّهْرُ بِالْخَطْبِ الْفَادِحِ وَالْحَدَثِ الْجَلِيلِ»،[٣] فإنّ ذلك ينبأ عن عظم ما يريد أن يلقيه في أثناء الكلام.

وأمّا الثاني: التخلّص، وهو الخروج والانتقال ممّا افتتح به الكلام إلىٰ المقصود علىٰ وجه سهل برابطة ملائمة وجهة جامعة، فإن خلا من ذلك سمّي «اقتضاباً» و«ارتجالاً»، كقولهم بعد الحمد والثناء، «أمّا بعد فكذا وكذا».

---

١. البيان والتبيين، ١: ١١٤.

٢. العلق: ٥.

٣. نهج البلاغة، الخطبة ٣٥.

فمن حسن التخلّص في كلامه الشريف هو قوله عليه السلام بعد حمد الله تعالىٰ والثناء عليه «أَنْشَأَ الْخَلْقَ إِنْشَاءاً»،[١] فأخذ في بيان كيفية إنشاء العالم وإحداثه.

ومن الاقتضاب الشبيه بالتخلّص ما جاء في قوله عليه السلام: «أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ مَعْصِيَةَ النَّاصِحِ الشَّفِيق ...».[٢]

وأمّا الانتهاء فهو عبارة عن أن يكون آخر الكلام عذباً حسناً، ومن أحسنها ما جاء في كلماته عليه السلام[٣]، فلاحظ ختم كلامه، حيث إنّه بعد ذكر الحجّ ختمه بذكر الآية المباركة ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً﴾.[٤]

وقوله عليه السلام بعد توبيخ أصحابه علىٰ التحكيم، ختمه بالتمثيل ببيت أخي هوازن وهو قوله:

أمرتكم أمري بمنعرج اللّوىٰ فلم تستبينوا النصح إلّا ضحىٰ الغد[٥]

وناهيك حسناً ما ختم به في قوله عليه السلام المنساق لبيان أوصاف الجلال والجمال، فختمه بقوله عليه السلام: «تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يَقُولُهُ الْمُشَبِّهُونَ بِهِ وَالْجَاحِدُونَ لَهُ عُلُوّاً كَبِيرا».[٦]

١. نهج البلاغة، الخطبة ١.
٢. نهج البلاغة، الخطبة ٣٥.
٣. نهج البلاغة، الخطبة ١.
٤. آل عمران: ٩٧.
٥. نهج البلاغة، ٣٥.
٦. نهج البلاغة، الخطبة ٤٩.

الباب الأوّل

المحسّنات المعنوية

ثمّ اعلم أنّ صاحب الجواهر قدّم البحث عن التورية والاستخدام والاستطراد والافتتان وسنتعرّض لها فيما بعد إن شاء اللّه تعالىٰ.

الطباق

وهو يشمل الجمع بين الضدّين بل كلّ متقابلين ولو كانا متضايفين أو كان بينهما تقابل الإيجاب والسلب أو العدم والملكة.

وله أقسام لأنّه إمّا بين المعنيين الحقيقيين أو المجازيين، والأول قد يكونان اسمين وقد يكونان فعلين؛ والأول كقوله تعالىٰ: ﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقاظاً وَهُمْ رُقُود﴾،[1] وقوله عليه السلام: «ثُمَّ جَمَعَ سُبْحَانَهُ مِنْ حَزْنِ الْأَرْضِ وَسَهْلِهَا وَعَذْبِهَا وَسَبَخِهَا».[2]

والثاني (فعلين) كقوله سبحانه: ﴿تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشاءُ﴾،[3] وكقوله عليه السلام: «إِلَى اللَّهِ أَشْكُو مِنْ مَعْشَرٍ يَعِيشُونَ

---

١. الكهف: ١٨.

٢. نهج البلاغة، الخطبة ١.

٣. آل عمران: ٢٦.

جُهَّالًا وَيَمُوتُونَ ضُلَّالاً».[١]

والثالث (حرفين) كقوله تعالىٰ: ﴿لَها ما كَسَبَتْ وَعَلَيْها مَا اكْتَسَبَتْ﴾،[٢] وكقوله عليه السلام مخاطباً للأشعث: «مَا يُدْرِيكَ مَا عَلَيَّ مِمَّا لِي».[٣]

وقد جمع بين الطباق في الكلم الثلاث في قوله عليه السلام: «لَكَانَ قَلِيلًا فِيمَا أَرْجُو لَكُمْ مِنْ ثَوَابِهِ وَأَخَافُ عَلَيْكُمْ مِنْ عِقَابِهِ».[٤]

وأمّا الطباق بين المجازيين فكقوله سبحانه: ﴿أَوَمَنْ كانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْناه﴾،[٥] وكقوله عليه السلام: «فَالْبَصِيرُ مِنْهَا شَاخِصٌ وَالْأَعْمَى إِلَيْهَا شَاخِصٌ وَالْبَصِيرُ مِنْهَا مُتَزَوِّدٌ وَالْأَعْمَى لَهَا مُتَزَوِّد».[٦] فإنّ المراد من الموت والحياة في الآية، الضلالة والهداية، ومن البصير والأعمىٰ العاقل والجاهل، فهما مجازيان.

ومن جملة الأقسام، الطباق المعنوي، والمراد به مقابلة الشيء بضدّه التزاماً لا مطابقة، كقوله تعالىٰ: ﴿قالُوا رَبُّنا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُون﴾[٧] أي صادقون، وكقوله عليه السلام: «مِنْ سَقْفٍ فَوْقَهُمْ مَرْفُوعٍ وَمِهَادٍ تَحْتَهُمْ مَوْضُوع».[٨]

١. نهج البلاغة، الخطبة ١٧.
٢. البقرة: ٢٨٦.
٣. نهج البلاغة، الخطبة ١٩.
٤. نهج البلاغة، الخطبة ٥٢.
٥. الأنعام: ١٢٢.
٦. نهج البلاغة، الخطبة ١٣٣.
٧. يس: ١٦.
٨. نهج البلاغة، الخطبة ١.

ومن أقسامه طباق السلب، وهو الجمع بين السلب والإيجاب والأمر والنهي، كقوله تعالىٰ: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾،[١] وكقوله عليه السلام: «يُغَارُ عَلَيْكُمْ وَلَا تُغِيرُونَ وَتُغْزَوْنَ وَلَا تَغْزُون»،[٢] وقوله عليه السلام: «تُكَادُونَ وَلَا تَكِيدُون».[٣]

ومن الأمر والنهي قوله تعالىٰ: ﴿فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ﴾،[٤] وكقوله عليه السلام: «فَكُونُوا مِنْ أَبْنَاءِ الْآخِرَةِ وَلَا تَكُونُوا مِنْ أَبْنَاءِ الدُّنْيَا».[٥]

ومن أقسامه الطباق الخفيّ، كقوله تعالىٰ: ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾،[٦] فإنّ الشدّة وإن لم تكن في مقابل الرحمة إلّا أنّ الرحمة من لوازم اللين وهو في مقابل الشدّة.

وكقوله عليه السلام: «فَالْهُدَى خَامِلٌ وَ الْعَمَى شَامِل»،[٧] فإنّ العمىٰ سبب الضلال وهو في مقابل الهدىٰ، وكقوله عليه السلام: «فَإِنَّهُ وَاللَّهِ الْجِدُّ لَا اللَّعِبُ وَالْحَقُّ لَا الْكَذِب»،[٨] إذ الحقّ ملازم للصدق وهو مقابل الكذب.

---

١. الزمر: ٩.

٢. نهج البلاغة، الخطبة ٢٧.

٣. نهج البلاغة، الخطبة ٣٤.

٤. المائدة: ٤٤.

٥. نهج البلاغة، الخطبة ٤٢.

٦. الفتح: ٢٩.

٧. نهج البلاغة، الخطبة ٢.

٨. نهج البلاغة، الخطبة ١٣٢.

المقابلة

وهي أن يؤتىٰ بمعنيين أو أكثر متوافقة ثمّ يؤتىٰ بما يقابل كلّاً منها علىٰ الترتيب، والفرق بينه وبين الطباق في الوحدة والتعدّد، فإن أتىٰ بما يقابل الواحد فهو طباق، وإن أتىٰ بمتعدّد ثمّ أتىٰ بما يقابلها فهو مقابلة، وكلّما كان أكثر كان أحسن، فمن المقابلة بين اثنين قوله تعالىٰ: ﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلاً وَلْيَبْكُوا كَثِيراً﴾،[1] حيث قابل الضحك بالبكاء والقلّة بالكثرة، وكقوله عليه السلام: «مَا أَصِفُ مِنْ دَارٍ أَوَّلُهَا عَنَاءٌ وَآخِرُهَا فَنَاءٌ فِي حَلَالِهَا حِسَابٌ وَفِي حَرَامِهَا عِقَابٌ مَنِ اسْتَغْنَى فِيهَا فُتِنَ وَمَنِ افْتَقَرَ فِيهَا حَزِنَ».[2]

ومن تقابل الثلاثة بالثلاثة قوله عليه السلام: «أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ الدُّنْيَا قَدْ أَدْبَرَتْ وَآذَنَتْ بِوَدَاعٍ وَإِنَّ الْآخِرَةَ قَدْ أَقْبَلَتْ وَأَشْرَفَتْ بِاطِّلَاعٍ».[3]

ومن مقابلة الأربعة بالأربعة قوله تعالىٰ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى * وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى * وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى﴾،[4] وقوله عليه السلام: «لَعَنَ اللَّهُ الْآمِرِينَ بِالْمَعْرُوفِ التَّارِكِينَ لَهُ وَالنَّاهِينَ عَنِ الْمُنْكَرِ الْعَامِلِينَ بِهِ»،[5] والمقابلة الرابعة خفية واقعة بين «له» و«به».

---

١. التوبة: ٨٢.

٢. نهج البلاغة، الخطبة ٨١.

٣. نهج البلاغة، الخطبة ٢٨.

٤. الليل: ٥-١٠.

٥. نهج البلاغة، الخطبة ١٢٩.

ومن مقابلة الأربعة بالأربعة أيضاً قوله عليه السلام: «فَقَدِّمُوا بَعْضاً يَكُنْ لَكُمْ قَرْضاً وَلَا تُخْلِفُوا كُلًّا فَيَكُونَ فَرْضاً عَلَيْكُم»،[١] ولذا فهو من مقابلة الأربعة بالأربعة.

مراعاة النظير

ويسمّىٰ بالتناسب والتوفيق والتلفيق أيضاً، وهو جمع الأُمور المتناسبة المتوازنة؛ فقد يكون بجمع أمرين، كقوله تعالىٰ: ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾،[٢] وقوله عليه السلام: «وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ دَائِبَانِ فِي مَرْضَاتِه»،[٣] وقوله عليه السلام: «عِبَادَ اللَّهِ أَيْنَ الَّذِينَ عُمِّرُوا فَنَعِمُوا وَعُلِّمُوا فَفَهِمُوا»،[٤] فإنّ المعنىٰ في الفقرة الثانية من لوازم المعنىٰ في الفقرة الأُولىٰ، وكقوله عليه السلام في وصف الدنيا: «غَرَّارَةٌ ضَرَّارَةٌ حَائِلَةٌ زَائِلَةٌ نَافِدَةٌ بَائِدَةٌ أَكَّالَةٌ غَوَّالَةٌ»،[٥] فإنّ الأوصاف كلّها متلازمة.

وقد يكون بجمع أُمور ثلاثة، كقوله عليه السلام: «وَالدُّنْيَا كَاسِفَةُ النُّورِ ظَاهِرَةُ الْغُرُورِ عَلَى حِينِ اصْفِرَارٍ مِنْ وَرَقِهَا وَإِيَاسٍ مِنْ ثَمَرِهَا وَاغْوِرَارٍ مِنْ مَائِهَا»،[٦] إذ التناسب التامّ موجود بين الثلاثة الأخيرة وهي الورق والثمر والماء.

وقد يكون بين أُمور أربعة، كقوله عليه السلام: «ثُمَّ زَيَّنَهَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ وَضِيَاءِ

١. نهج البلاغة الخطبة ٢٠٣.

٢. الرحمن: ٥.

٣. نهج البلاغة، الخطبة ٩٠.

٤. نهج البلاغة، الخطبة ٨٣.

٥. نهج البلاغة، الخطبة ١١١.

٦. نهج البلاغة، الخطبة ٨٩.

الثَّوَاقِبِ وَأَجْرَى فِيهَا سِراجاً مُسْتَطِيراً وَقَمَراً مُنِيرا»،[١] وقوله عليه السلام: «فَكَفَى بِالْجَنَّةِ ثَوَاباً وَنَوَالًا وَكَفَى بِالنَّارِ عِقَاباً وَوَبَالًا وَكَفَى بِاللَّهِ مُنْتَقِماً وَنَصِيراً وَكَفَى بِالْكِتَابِ حَجِيجاً وَخَصِيما».[٢]

وقد يكون بين أكثر منه، كقوله عليه السلام: «أَمْ هَذَا الَّذِي أَنْشَأَهُ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْحَامِ وَشُغُفِ الْأَسْتَارِ نُطْفَةً دِهَاقاً وَعَلَقَةً مِحَاقاً وَجَنِيناً وَرَاضِعاً وَوَلِيداً وَيَافِعاً ثُمَّ مَنَحَهُ قَلْباً حَافِظاً وَلِسَاناً لَافِظاً وَبَصَراً لَاحِظا»،[٣] وقوله عليه السلام: «الَّذِي لَمْ يَزَلْ قَائِماً دَائِماً إِذْ لَا سَمَاءٌ ذَاتُ أَبْرَاجٍ وَلَا حُجُبٌ ذَاتُ إِرْتَاجٍ وَلَا لَيْلٌ دَاجٍ وَلَا بَحْرٌ سَاجٍ وَلَا جَبَلٌ ذُو فِجَاجٍ وَلَا فَجٌّ ذُو اعْوِجَاجٍ وَلَا أَرْضٌ ذَاتُ مِهَادٍ وَلَا خَلْقٌ ذُو اعْتِمَاد».[٤]

تشابه الأطرف

وهو أن يختتم الكلام بما يناسب أوله في المعنىٰ وقد قدّمناه، لأنّ بعضهم كالخطيب في «الإيضاح»[٥] جعله قسماً من مراعاة النظير، فكان من الأولىٰ اتباعه به.

وله قسمان: لفظي ومعنوي؛ فاللفظي كقوله تعالى: ﴿مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ﴾،[٦] فإنّ الجملة الُاولىٰ

---

١. نهج البلاغة، الخطبة ١.

٢. نهج البلاغة، الخطبة ٨٣.

٣. نهج البلاغة، الخطبة ٨٣.

٤. نهج البلاغة، الخطبة ٩٠.

٥. الإيضاح في علوم البلاغة، ١: ٢٦١.

٦. النور: ٣٥.

ختمت بالمصباح والجملة الثانية فتحت به، وكذا الزجاجة في الجملة الثانية.

وقد يكون بتكرار ما ختم به المصراع الأول في أول البيت الذي يليه، وهو قول صاحب بن عبّاد يرثي الحسين عليه السلام:

لهيب بقلبي حين أذكر كربلا فيهلكني بعد النحيب نحيب
نحيب إذا قيل الحسين وقتله يزيد وفي قلبي الحزين وجيب
وجيب أراه واجباً بعد سادة تغادر صرعىٰ والجميع غريب
غريب بأرض الطفّ تسبىٰ نسائه وزينب واهىٰ والمراد جديب[1]

وفي النثر كقوله تعالىٰ: ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُون * يَعْلَمُونَ ظاهِراً مِنَ الْحَياةِ الدُّنْيا﴾،[2] وكقوله تعالىٰ: ﴿مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فيها مِصْباحٌ الْمِصْباحُ في زُجاجَةٍ الزُّجاجَةُ﴾،[3] وكقوله عليه السلام: «مَا لِي أَرَاكُمْ أَشْبَاحاً بِلاَ أَرْوَاحٍ وَأَرْوَاحاً بِلاَ أَشْبَاح»،[4] وكقوله عليه السلام: «الْمُنَجِّمُ كَالْكَاهِنِ وَالْكَاهِنُ كَالسَّاحِرِ وَالسَّاحِرُ كَالْكَافِرِ وَالْكَافِرُ فِي النَّار»،[5] وكقوله عليه السلام: «الظَّفَرُ بِالْحَزْمِ وَالْحَزْمُ بِإِجَالَةِ الرَّأْيِ وَالرَّأْيُ بِتَحْصِينِ الْأَسْرَار»،[6] وكقوله عليه السلام: «الإِسْلاَمُ هُوَ التَّسْلِيمُ وَالتَّسْلِيمُ هُوَ الْيَقِينُ وَالْيَقِينُ هُوَ

١. الديوان: ١٦٨.
٢. الروم: ٦-٧.
٣. النور: ٣٥.
٤. نهج البلاغة، الخطبة ١٠٨.
٥. نهج البلاغة، الخطبة ٧٩.
٦. نهج البلاغة، كلمة ٤٨.

التَّصْدِيقُ وَالتَّصْدِيقُ هُوَ الْإِقْرَارُ وَالْإِقْرَارُ هُوَ الْأَدَاءُ وَالْأَدَاءُ هُوَ الْعَمَل».[١]

والمعنوي أن يختم الكلام بما يناسب ابتداؤه في المعنىٰ، ومنه ما قاله عليه السلام في وصف القرآن: «وَتَعَلَّمُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ أَحْسَنُ الْحَدِيثِ وَتَفَقَّهُوا فِيهِ فَإِنَّهُ رَبِيعُ الْقُلُوبِ وَاسْتَشْفُوا بِنُورِهِ فَإِنَّهُ شِفَاءُ الصُّدُور»،[٢] لكمال تناسب الحديث مع التعلّم والقلوب مع التفقّه وهكذا.

الإرصاد

وهو مأخوذ من رَصَدَهُ بمعنىٰ رقبه، كأنّ السامع يرصد ذهنه لعجز الكلام بما يدلّ عليه ممّا قبله؛ وفي الاصطلاح أن يجعل قبل العجز من الفقرة أو من البيت ما يدلّ علىٰ العجز أعني آخر كلمة من البيت أو الفقرة.

فمن النثر قوله سبحانه: ﴿وَما كانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلكِنْ كانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُون﴾،[٣] وكقوله عليه السلام: «وَأَجْرَاهَا (الكواكب) عَلَىٰ أَذْلَالِ تَسْخِيرِهَا مِنْ ثَبَاتِ ثَابِتِهَا وَمَسِيرِ سَائِرِهَا وَهُبُوطِهَا وَصُعُودِهَا وَنُحُوسِهَا وَسُعُودِهَا»،[٤] وكقوله تعالىٰ: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوب﴾.[٥]

---

١. نهج البلاغة، كلمة ١٢٥.

٢. نهج البلاغة، الخطبة ١١٠.

٣. العنكبوت: ٤٠.

٤. نهج البلاغة، الخطبة ٩١.

٥. ق: ٣٩.

وقد يستغنىٰ عن معرفة الروي نحو ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذا جاءَ أَجَلُهُمْ لا يَسْتَأْخِرُونَ ساعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ﴾،[1] أي ساعة.

الإدماج

هو تضمين كلام سيق لمعنىٰ معنىً آخر لم يصرّح به، كقول المتنبّي:

أقلب فيه أجفاني كأنّي أعدّ بها علىٰ الدهر الذنوبا[2]

إذ المقصود بالبيان طول الليل وأدمج فيه الشكوىٰ من الدهر.

المذهب الكلامي

وهو أن يورد المتكلّم علىٰ صحّة دعواه حجّة قاطعة مسلّمة عند المخاطب، كقوله تعالىٰ: ﴿لَوْ كانَ فيهِما آلِهَةٌ إِلاَّ اللَّهُ لَفَسَدَتا﴾،[3] وكقوله عليه السلام: «خَلَقَ الْخَلْقَ مِنْ غَيْرِ رَوِيَّةٍ إِذْ كَانَتِ الرَّوِيَّاتُ لَا تَلِيقُ إِلَّا بِذَوِي الضَّمَائِرِ وَلَيْسَ بِذِي ضَمِيرٍ فِي نَفْسِهِ»،[4] وكقوله عليه السلام: «وَا عَجَبَا أَنْ تَكُونَ الْخِلَافَةُ بِالصَّحَابَةِ وَلَا تَكُونَ بِالصَّحَابَةِ وَ الْقَرَابَةِ».[5]

وقد نقل عنه في هذا المقام:

فإن كنت بالشورىٰ ملكت أمورهم فكيف بهذا و المشيرون غيّب

---

١. الأعراف: ٣٤.

٢. شرح ديوا المتنبّي: ١٤٨.

٣. الأنبياء: ٢٢.

٤. نهج البلاغة، الخطبة ١٠٨.

٥. نهج البلاغة، كلمة ١٩٠.

وإن كنت بالقربىٰ حججت خصيمهم فغـيرك أولىٰ بالنبـيّ وأقـرب[١]

وقد قيل في إثبات فضل أمير المؤمنين عليه السلام:

كم بين من شكّ في خلافته وبين من قيل أنّه اللّٰه[٢]

حسن التعليل

وهو أن يدّعىٰ لوصف علّة مناسبة له باعتبار لطيف لا علّة حقيقية، كقوله عليه السلام: «دَارُهَا هَانَتْ عَلَى رَبِّهَا فَخَلَطَ حَلاَلَهَا بِحَرَامِهَا وَخَيْرَهَا بِشَرِّهَا».[٣]

وكقول الزمخشري:

كـثر الشـكّ والخـلاف فكل يدّعي الفوز بالصراط السوي

فاعتصامـي بـلا إلٰـه سـواه ثـمّ حبّـي لأحمـد وعـليّ

فاز كلب بحبّ أصحاب كهف كيف أشقىٰ بحبّ آل النبي[٤]

ومحلّ الشاهد البيت الأخير، فإنّه بمنزلة الدليل علىٰ المدّعىٰ.

التجريد

وهو أن ينتزع من أمر ذي صفة أمراً آخر مثله في تلك الصفة مبالغة في كمالها في ذلك. فقد يكون بـ «من» التجريدية، كقولك لي: «من فلان صديق حميم»، ونحو

١. نهج البلاغة، كلمة ١٩٠.
٢. منهاج البراعة، ١: ١٤٨.
٣. نهج البلاغة، الخطبة ١١٣.
٤. كشف الأسرار، ١: ٣٦٩.

قوله عليه السلام: «يَا أَهْلَ الْكُوفَةِ مُنِيتُ مِنْكُمْ بِثَلَاثٍ وَاثْنَتَيْنِ صُمٌّ ذَوُو أَسْمَاعٍ وَبُكْمٌ ذَوُو كَلَامٍ وَعُمْيٌ ذَوُو أَبْصَارٍ لَا أَحْرَارُ صِدْقٍ عِنْدَ اللِّقَاءِ وَلَا إِخْوَانُ ثِقَةٍ عِنْدَ الْبَلَاءِ».(١)

وقد يكون بـ «الباء»، كقولك: «لئن سألت فلاناً لتسألنّ به بحراً»، وكقوله عليه السلام مخاطباً لأهل البصرة: «كَأَنِّي بِمَسْجِدِكُمْ كَجُؤْجُؤِ سَفِينَةٍ قَدْ بَعَثَ اللَّهُ عَلَيْهَا الْعَذَابَ».(٢)

وقد يكون بـ «في» كقوله تعالى: ﴿لَهُمْ فيها دارُ الْخُلْدِ﴾،(٣) وكقول الشاعر:

أفاءت بنو مروان ظلماً دمائنا   وفي اللّه إن لم يعدلوا حكم عدل(٤)

وقد يكون بلا واسطة حرف، نحو قوله تعالى: ﴿وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا في دينِكُمْ فَقاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ﴾.(٥)

وقد يكون بطريق الكناية، كقول الشاعر:

يا خير من يركب المطيّ ولا   يشرب كاساً بكفّ من بخلا(٦)

لأنّه يشرب الماء بيده وهو يد جواد.

---

١. نهج البلاغة، الخطبة ٩٧.

٢. نهج البلاغة، الخطبة ١٣.

٣. فصّلت: ٢٨.

٤. الخصائص، ٢: ٤٧٧.

٥. التوبة: ١٢.

٦. منهاج البراعة، ١:.

المشاكلة

كقوله تعالىٰ: ﴿تَعْلَمُ ما في نَفْسي وَلا أَعْلَمُ ما في نَفْسِك﴾،[١] أي ولا أعلم ما عندك فعبّر عنه بـ«نفسك» للمشاكلة مع سابقه، وكقوله عليه السلام: «وَاسْأَلُوهُ مِنْ أَدَاءِ حَقِّهِ مَا سَأَلَكُم»،[٢] أي أمركم وفرضه عليكم، أتىٰ به للمشاكلة، وكقوله عليه السلام: «وَايْمُ اللَّهِ لَئِنْ فَرَرْتُمْ مِنْ سَيْفِ الْعَاجِلَةِ لَا تَسْلَمُوا مِنْ سَيْفِ الْآخِرَة»،[٣] فعبرّ ب«سيف الآخرة» مشاكلة، إذ في الآخرة هو العذاب بالنار.

المزاوجة

وهو أن يزاوج بين معنيين في الشرط والجزاء بأن يرتّب علىٰ كلّ منهما ما رتّب علىٰ الآخر، كقول حسّان بن ثابت البكري شاعر رسول الله صلى الله عليه وآله:

وإن مريم أحصنت فرجها — وجاءت بعيسىٰ كبدر الدجىٰ

فقد أحصنت فاطم بعدها — وجاءت بسبطي نبي الهدىٰ[٤]

فرتّب علىٰ إحصان فاطمة عليها السلام ما رتّب علىٰ إحصان مريم من ولادة طيّبة.

الطيّ والنشر (اللفّ والنشر)

وهو أن يذكر متعدّد ثمّ يذكر ما لكلّ من حكمه وأثره ثقة بالسامع في ردّ كلّ

١. المائدة: ١١٦.

٢. نهج البلاغة، الخطبة ١١٣.

٣. نهج البلاغة، الخطبة ١٢٤.

٤. مناقب آل أبي طالب عليهم السلام، ٣: ٣٦٠.

إلىٰ موضوعه، وهو إمّا مرتّب أو مشوّش؛ فالأول كقوله عليه السلام: «وَلِيَخْتَبِرَ بِذَلِكَ الشُّكْرَ وَالصَّبْرَ مِنْ غَنِيِّهَا وَفَقِيرِهَا»،[١] وكقوله عليه السلام: «وَلَوْ وَهَبَ مَا تَنَفَّسَتْ عَنْهُ مَعَادِنُ الْجِبَالِ وَضَحِكَتْ عَنْهُ أَصْدَافُ الْبِحَارِ مِنْ فِلِزِّ اللُّجَيْنِ وَالْعِقْيَانِ وَنُثَارَةِ الدُّرِّ وَحَصِيدِ الْمَرْجَانِ مَا أَثَّرَ ذَلِكَ فِي جُودِهِ».[٢] فإنّ الفلزّ يرجع إلىٰ المعادن ونثارة الدرّ والمرجان يرجع إلىٰ الأصداف، وقوله عليه السلام: «فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى خَلَقَ الْخَلْقَ حِينَ خَلَقَهُمْ غَنِيّاً عَنْ طَاعَتِهِمْ آمِناً مِنْ مَعْصِيَتِهِمْ لِأَنَّهُ لَا تَضُرُّهُ مَعْصِيَةُ مَنْ عَصَاهُ وَلَا تَنْفَعُهُ طَاعَةُ مَنْ أَطَاعَهُ».[٣] وكقول السيّد الحميري:

محمّد خير بني غالب ... وبعده ابن أبي طالب
هذا نبي ووصيّ له ... ويعزل العالم في جانب[٤]

الجمع

وهو أن يجمع المتكلّم بين متعدّد تحت حكم واحد، نحو قوله تعالىٰ: ﴿الْمالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَياةِ الدُّنْيا﴾،[٥] وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصابُ وَالْأَزْلامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطانِ﴾،[٦] وكقوله عليه السلام في كتاب عهد الأشتر: «فَإِنَّ الْبُخْلَ

١. نهج البلاغة، الخطبة ٩١.
٢. نهج البلاغة، الخطبة ٩١.
٣. نهج البلاغة، الخطبة ١٩٣.
٤. مناقب آل أبي طالب عليهم السلام، ٣: ٥٠.
٥. الكهف: ٤٦.
٦. المائدة: ٩٠.

وَالْجُبْنَ وَالْحِرْصَ غَرَائِزُ شَتَّى يَجْمَعُهَا سُوءُ الظَّنِّ بِاللَّه»،[١] وكقوله عليه السلام: «إِنَّ الْمَالَ وَالْبَنِينَ حَرْثُ الدُّنْيَا وَالْعَمَلَ الصَّالِحَ حَرْثُ الْآخِرَة».[٢]

التفريق

وهو أن يفرّق بين شيئين من نوع واحد فيذكر لكلّ واحد حكماً علىٰ حده غير حكم الآخر، كقوله تعالىٰ: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾.[٣]

وكقوله عليه السلام: «صَاحِبُكُمْ يُطِيعُ اللَّهَ وَأَنْتُمْ تَعْصُونَهُ وَصَاحِبُ أَهْلِ الشَّامِ يَعْصِي اللَّهَ وَهُمْ يُطِيعُونَه»،[٤] وقوله عليه السلام: «غَيْرَةُ الْمَرْأَةِ كُفْرٌ وَغَيْرَةُ الرَّجُلِ إِيمَان».[٥]

الجمع مع التفريق

وهو أن يجمع بين شيئين أوّلاً في حكم واحد ثمّ يفرّق بينهما كذلك، كقوله عليه السلام: «حَتَّى يَقُومَ الْبَاكِيَانِ يَبْكِيَانِ بَاكٍ يَبْكِي لِدِينِهِ وَبَاكٍ يَبْكِي لِدُنْيَاه»،[٦] وقوله عليه السلام: «وَسَيَهْلِكُ فِيَّ صِنْفَانِ مُحِبٌّ مُفْرِطٌ يَذْهَبُ بِهِ الْحُبُّ إِلَى غَيْرِ الْحَقِّ وَمُبْغِضٌ

١. نهج البلاغة، الكتاب ٥٣.
٢. نهج البلاغة، الخطبة ٢٣.
٣. فاطر: ١٢.
٤. نهج البلاغة، الخطبة ٩٧.
٥. نهج البلاغة، كلمة ١٢٤.
٦. نهج البلاغة، الخطبة ٩٨.

مُفرِطٌ يَذْهَبُ بِهِ الْبُغْضُ إِلَى غَيْرِ الْحَق»،[١] وقوله عليه السلام: «هَلَكَ فِيَّ رَجُلَانِ مُحِبٌّ غَالٍ وَمُبْغِضٌ قَال».[٢]

التقسيم

وهو أن يذكر متعدّد ثمّ يضاف إلىٰ كلّ فرد من أفراده ما له علىٰ جهة التعيين، كقوله عليه السلام: «فَكُلُّ نَفْسٍ مَعَها سائِقٌ وَشَهِيدٌ سَائِقٌ يَسُوقُهَا إِلَى مَحْشَرِهَا وَشَاهِدٌ يَشْهَدُ عَلَيْهَا بِعَمَلِهَا».[٣]

أو يذكر أحوال الشيء ويفصّل فيها، كقوله عليه السلام: «الْمَرْءُ الْمُسْلِمُ الْبَرِيءُ مِنَ الْخِيَانَةِ يَنْتَظِرُ مِنَ اللَّهِ إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ إِمَّا دَاعِيَ اللَّهِ فَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لَهُ وَإِمَّا رِزْقَ اللَّهِ فَإِذَا هُوَ ذُو أَهْلٍ وَمَالٍ وَمَعَهُ دِينُهُ وَحَسَبُه».[٤]

الإغراق

وهو أن يكون الوصف المدّعىٰ بالغاً حدّ الإمكان العقلي من الاستحالة العادية، كقوله عليه السلام: «يَنْحَدِرُ عَنِّي السَّيْلُ وَلَا يَرْقَى إِلَيَّ الطَّيْر»،[٥] فإنّ عدم وصول الطائر في مكان يحلّ فيه الإنسان يستحيل عادة ولٰكنّه ممكن عقلاً.

---

١. نهج البلاغة، الخطبة ١٢٧.

٢. نهج البلاغة، كلمة ١١٧.

٣. نهج البلاغة، الخطبة ٨٥.

٤. نهج البلاغة، الخطبة ٢٣.

٥. نهج البلاغة، الخطبة ٣.

هذا بحسب تفسير ظاهر العبارة، ولٰكنّها داخل في سلك الكناية وهو أنّ أحداً من المدّعين للخلافة ليسوا بمستوىٰ الإمام عليه السلام وعليه لا مبالغة فيه و الإغراق.

وقد قيل:

كفىٰ بجسمي نحولاً إنّني بشر   لولا مكالمتي إيّاك لم ترني

وقيل:

ولو قلم اُلقيت في شقّ رأسه   من الغيّ ما غيّرت في خط كاتبه[1]

فإنّهما ممكنان عقلاً ومستحيلان عادة ووقوعاً.

الغلوّ

وهو أن يكون الوصف المدّعىٰ محالاً عقلاً وعادة، ووجه صحّة استعماله الاستعمال بأدوات من قبيل «كأنّ» و«كاد» و«لو»، كقوله عليه السلام: «فَكَأَنَّ مَا هُوَ كَائِنٌ مِنَ الدُّنْيَا عَنْ قَلِيلٍ لَمْ يَكُنْ وَكَأَنَّ مَا هُوَ كَائِنٌ مِنَ الْآخِرَةِ عَمَّا قَلِيلٍ لَمْ يَزَل.»[2]

المغايرة

وهي مدح الشيء بعد ذمّه أو عكسه. قد اشتهر عن بعض الاُمراء أنّه طلب من نديمه أن ينشد له بيتاً يستحقّ بمصراعه الأول القتل ويستحقّ بمصراعه الثاني الصلة، فأنشده باللغة الفارسية. والأشعار مستهجنة جدّاً لاتليق بالذكر.

---

١. تحفة الأزهار، ٢: ١٧٨.

٢. نهج البلاغة، ١٠٣.

تأكيد المدح بما يشبه الذمّ

ولكنّه في الواقع مدح في سياق الذمّ، كقوله:

ولا عيب فيهم غير أنّ سيوفهم   بهن فلول من قراع الكتائب

وكقوله:

ليس به عيب سوىٰ أنّه   لا تقع العين علىٰ شبهه

وقوله:

ولا عيب في معروفهم غير أنّه   يبيّن عجز الشاكرين عن الشكر

ومنه قوله عليه السلام في شأن محمّد بن أبي بكر بعد استشهاده: «إِنَّ حُزْنَنَا عَلَيْهِ عَلَى قَدْرِ سُرُورِهِمْ بِهِ إِلَّا أَنَّهُمْ نَقَصُوا بَغِيضاً وَنَقَصْنَا حَبِيبا»،[1] فإنّه ذكر بلسان الاستثناء ما يؤكّد كلامه السابق.

تأكيد الذمّ بما يشبه المدح

كقوله: «فلان لا خير فيه إلّا أنّه يتصدّق بما يسرق» وكقولهم: «فلان ليس أهلاً للمعروف إلّا أنّه يسيء إلىٰ من يحسن إليه» وهكذا.

التوجيه (الإيهام)

وهو أن يؤتىٰ بكلام يحتمل معنيين المدح والذمّ، كقوله في خيّاط خاط له قباءاً:

خاط لي عمرو قباءاً ليت عينه سواء   قلت شعراً لست أدري أمديح أم هجاء

---

١. نهج البلاغة، كلمة ٥٣٢.

وكقوله عليه السلام في قتل عثمان: «لَوْ أَمَرْتُ بِهِ لَكُنْتُ قَاتِلًا أَوْ نَهَيْتُ عَنْهُ لَكُنْتُ نَاصِرا».[١] هكذا قيل وفيه تأمّل.

ويمكن أن يكون منه ما ذكر في وصف الإمام عليه السلام: «كانت ضرباته عليه السلام وتراً فيوهم أنّه لم يكن قادراً على تكرير الضربة»، ولٰكنّ المراد عدم الحاجة إليه لهلاك العدوّ.

نفي الشيء بإيجابه

ومثّلوا له بقوله تعالىٰ: ﴿رِجالٌ لا تُلْهيهِمْ تِجارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّه﴾،[٢] فإنّه يوهم وقوع التجارة والبيع، ولٰكنّ المقصود انتفاؤهما، فعدم الإلهاء لانتفاء الموضوع.

القول بالموجب

وهو نوعان:

الأول: أن يقع إثبات صفة في كلام الغير وترتيب حكم عليها، فينقل السامع تلك الصفة إلىٰ مورد آخر من غير تعرّض لثبوت الحكم وعدمه، كقوله تعالىٰ: ﴿يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنا إِلَى الْمَدينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنين﴾،[٣] فأُثبتت العزّة للّٰه ولم يتعرّض لحكم الإخراج من المدينة للاستغناء عنه.

---

١. نهج البلاغة، الخطبة ٣٠.

٢. النور: ٣٧.

٣. المنافقون: ٨.

الثاني: حمل لفظ وقع في كلام الغير علىٰ خلاف مراده، كقوله:

وقالوا قد صفت منّا قلوب لقد صدقوا ولٰكن عن ودادي

ائتلاف اللفظ مع المعنىٰ

فيختار الألفاظ الجزلة للفخر والعبارات الشديدة للحماسة والكلمات الرقيقة والعبارات الليّنة للغزل والمدح.

أقول: راجع كتبه عليه السلام لأعدائه كمعاوية والمنحرفين كمنذر بن الجارود وأحبّته كمحمّد بن أبي بكر ومالك الأشتر تجدها مليئة بتلك الخصوصيات ولا مجال فعلاً لإيرادها.

التفريع

وهو أن يثبت حكم لمتعلّق أمر بعد إثباته لمتعلّق له آخر تشبيهاً به وتفريعاً عليه، كقوله:

فاضت يداه بالنضار كما فاضت ظباه في الوغى بدمي

أقول: ومنه قوله عليه السلام في عهده للأشتر النخعي: «فَأَعْطِهِمْ مِنْ عَفْوِكَ وَصَفْحِكَ مِثْلِ الَّذِي تُحِبُّ وَتَرْضَى أَنْ يُعْطِيَكَ اللَّهُ مِنْ عَفْوِهِ وَصَفْحِهِ»،[١] وهي مقتبس من قوله تعالىٰ: ﴿أَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾.[٢]

---

١. نهج البلاغة، الكتاب ٥٣.

٢. القصص: ٧٧.

الاستتباع

وهو الوصف بشيء علىٰ وجه يستتبع الوصف بشيء آخر مدحاً أو ذمّاً، كقوله في المدح:

سمح البديهة ليس يمسك لفظه فكأنّما ألفاظه من ماله

وفي الذمّ قوله:

أترىٰ القاضي أعمىٰ أم تراه يتعامىٰ
سرق العبد كأنّ الـ عبد أموال اليتامىٰ[1]

السلب والإيجاب

وهو أن يقصد المتكلّم اختصاص شيء بصفة فينفيها عن جميع الناس ثمّ يثبتها له مدحاً أو ذمّاً، كقوله:

وما بلغت كفّ امرئ متناولاً من المجد إلّا والذي نلت أطول

أقول: كقول المنادي في البدر وأُحد: «لا فتىٰ إلّا علي لا سيف إلّا ذوالفقار».

والفتوّة بمعناها الحقيقي وقع في كلام رسول اللّه صلى الله عليه وآله، كما ورد عنه: «أنا الفتىٰ ابن الفتىٰ أخ الفتىٰ» وأراد بالثاني إبراهيم الخليل عليه السلام وبالثالث علي بن أبي طالب عليه السلام.

الإبداع

وهو أن يشمل الكلام علىٰ عدّة أنواع من البديع، وأجمعها الآية الشريفة ﴿وَقِيلَ

١. أدب الطفّ، ٤: ٨٧.

يا أَرْضُ ابْلَعي ماءَكِ وَيا سَماءُ أَقْلِعي وَغيضَ الْماءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقيلَ بُعْداً لِلْقَوْمِ الظّالِمين﴾،[١] فعدّ فيها اثنان وعشرين نوعاً من البديع، فراجع حاشية الجواهر قد أجاد فيما أفاد.

اسلوب الحكيم

وهو تلقّي المخاطب بغير ما يترقّب إمّا بترك الإجابة عن سؤاله والإجابة عن أمر لم يسأل عنه، وإمّا بحمل كلامه علىٰ غير ما قصده تنبيهاً إلىٰ أنّه كان ينبغي له أن يسأل عنه، كقوله تعالىٰ: ﴿يَسْئَلُونَكَ ما ذا يُنْفِقُونَ قُلْ ما أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبينَ وَالْيَتامى وَالْمَساكينِ وَابْنِ السَّبيل﴾.[٢]

العكس

وهو بأن تقدّم ما أخّرت وتؤخّر ما قدّمت، كقولهم: «كلام الملوك ملوك الكلام»، وكقوله تعالىٰ: ﴿تُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَي﴾،[٣] وكقوله تعالىٰ: ﴿لا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُن﴾،[٤] وكقوله عليه السلام: «مَا لِي أَرَاكُمْ أَشْبَاحاً بِلاَ أَرْوَاحٍ وَأَرْوَاحاً بِلاَ أَشْبَاح»،[٥] وكقوله عليه السلام: «الظَّفَرُ بِالْحَزْمِ وَالْحَزْمُ بِإِجَالَةِ الرَّأْيِ

١. هود: ٤٤.
٢. البقرة: ٢١٥.
٣. آل عمران: ٢٧.
٤. الممتحنة: ١٠.
٥. نهج البلاغة، الخطبة ١٠٨.

وَالرَّأْيُ بِتَحْصِينِ الْأَسْرَارِ».[١]

تجاهل العارف

وهو السؤال عمّا يعلمه كأنّه لايعلمه لمصلحة، كالإنكار في قوله تعالىٰ: ﴿أَفَسِحْرٌ هذا أَمْ أَنْتُمْ لا تُبْصِرُون﴾،[٢] وكقوله عليه السلام: «مَوْلاَيَ يَا مَوْلاَيَ أَنْتَ الْمَوْلَى وَأَنَا الْعَبْدُ وَهَلْ يَرْحَمُ الْعَبْدَ إِلَّا الْمَوْلَى»،[٣] وعلىٰ هذا السياق يستفهم أكثر من عشرين مرّة، والغرض منه الاسترحام والاستعطاف.

التورية (الإيهام والتخييل)

وهو أن يكون للفظ معنيان ظاهر قريب وخفيّ بعيد وهو المراد، كقوله تعالىٰ: ﴿الرَّحْمنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوى﴾،[٤] أي استولىٰ وظاهره الاستقرار والاستواء، وكقوله عليه السلام: للأشعث بن قيس: «حَائِكٌ ابْنُ حَائِكٍ مُنَافِقٌ ابْنُ كَافِرٍ»،[٥] إذ الظاهر من الحائك الناسج والمراد واقعاً كونه كذّاباً ومفترياً كأنّه يحيك المطالب الكاذبة، وكقوله عليه السلام: «مَنْ يُعْطِ بِالْيَدِ الْقَصِيرَةِ يُعْطَ بِالْيَدِ الطَّوِيلَةِ».[٦] والمراد من اليد النعمة

---

١. نهج البلاغة، كلمة ٤٨.

٢. الطور: ١٥.

٣. مناجاة أمير المؤمنين عليه السلام.

٤. طه: ٥.

٥. نهج البلاغة، الخطبة ١٩.

٦. نهج البلاغة، كلمة ٢٣٢.

واليد الطويلة يد الله تعالىٰ أي نعمته الكبرىٰ، وكقوله عليه السلام: «وَأَجْرَى فِيهَا سِراجاً مُسْتَطِيراً وَقَمَراً مُنِيرا»،[١] والسراج أُريد به الشمس، وأولىٰ من ذلك كلّه قوله تعالىٰ: ﴿وَالسَّماءَ بَنَيْناها بِأَيْدٍ﴾،[٢] أي بقوّة مع أنّ ظاهره الجارحة المخصوصة.

الاستخدام

وهو ذكر لفظ أُريد به معنىٰ أُرجع إليه ضمير وأُريد به معنىً آخر، كقوله تعالىٰ: ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾،[٣] أُريد بالشهر الهلال ومن الضمير الزمان المعلوم، وكقوله عليه السلام: «وَخَلَقَ الْآجَالَ فَأَطَالَهَا وَقَصَّرَهَا وَقَدَّمَهَا وَأَخَّرَهَا»،[٤] فإنّ الظاهر من الضميرين الأوّلين كون الأجل بمعنىٰ مجموع المدّة، إذ هي قابلة للإطالة والتقصير ومن الأخيرين رأس المدّة وهو الموت.

الافتنان

وهو الجمع بين فنّين مختلفين من فنون البلاغة كالغزل والحماسة والمدح والهجو و...، كقوله تعالىٰ: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْها فانٍ * وَيَبْقى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلالِ وَالْإِكْرامِ﴾،[٥] وقد جمع بين التعزية والفخر، وكقوله عليه السلام: «زَرَعُوا الْفُجُورَ وَسَقَوْهُ الْغُرُورَ وَحَصَدُوا الثُّبُورَ لَا يُقَاسُ بِآلِ مُحَمَّدٍ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَحَدٌ وَ لَا يُسَوَّى بِهِمْ مَنْ جَرَتْ نِعْمَتُهُمْ عَلَيْهِ

١. نهج البلاغة، الخطبة ١.
٢. الذاريات: ٤٧.
٣. البقرة: ١٨٥.
٤. نهج البلاغة، الخطبة ٩١.
٥. الرحمن: ٢٦-٢٧.

أَبَدا»،[١] فإنّ الصدر للهجو والذيل للمدح.

الالتفات

وهو العدول عن التكلّم إلىٰ الخطاب أو الغيبة أو العكس، كقوله تعالىٰ: ﴿وَما لِيَ لاأَعْبُدُ الَّذي فَطَرَني وَإِلَيْهِ تُرْجَعُون﴾،[٢] وكقوله تعالىٰ: ﴿وَاللَّهُ الَّذي أَرْسَلَ الرِّياحَ فَتُثيرُ سَحاباً فَسُقْناهُ إِلى بَلَدٍ مَيِّت﴾،[٣] فإنّه التفات من الغيبة إلىٰ التكلّم، وكقوله تعالىٰ: ﴿حَتَّى إِذا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ﴾[٤] مكان بكم، فإنّه التفات من الخطاب إلىٰ الغيبة، وكقوله عليه السلام: «فَإِنْ أَقُلْ يَقُولُوا حَرَصَ عَلَى الْمُلْكِ ... وَاللَّهِ لَابْنُ أَبِي طَالِبٍ آنَسُ بِالْمَوْتِ مِنَ الطِّفْلِ بِثَدْيِ أُمِّه»، فإنّه التفات من التكلّم إلىٰ الغيبة، ثمّ يقول: «بَلِ انْدَمَجْتُ عَلَى مَكْنُونِ عِلْمٍ لَوْ بُحْتُ بِهِ لَاضْطَرَبْتُمْ اضْطِرَابَ الْأَرْشِيَةِ فِي الطَّوِيِّ الْبَعِيدَة»،[٥] فإنّه التفات من الغيبة إلىٰ التكلّم ثانياً.

وقد يكون الالتفات من المتكلّم وحده إلىٰ المتكلّم مع الغير، كقوله عليه السلام: «لَمْ يَكُنْ لِأَحَدٍ فِيَّ مَهْمَزٌ وَلَا لِقَائِلٍ فِيَّ مَغْمَزٌ الذَّلِيلُ عِنْدِي عَزِيزٌ حَتَّى آخُذَ الْحَقَّ لَهُ وَالْقَوِيُّ عِنْدِي ضَعِيفٌ حَتَّى آخُذَ الْحَقَّ مِنْهُ رَضِينَا عَنِ اللَّهِ قَضَاءَهُ وَسَلَّمْنَا لِلَّهِ أَمْرَه».[٦]

---

١. نهج البلاغة، الخطبة ٢.

٢. يس: ٢٢.

٣. فاطر: ٩.

٤. يونس: ٢٢.

٥. نهج البلاغة، الخطبة ٥.

٦. نهج البلاغة، الخطبة ٣٧.

التعديد

وهو إيقاع أسماء مفردة على سياق واحد، كقوله عليه السلام: «فَيَعْلَمُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ مَا فِي الْأَرْحَامِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَقَبِيحٍ أَوْ جَمِيلٍ وَسَخِيٍّ أَوْ بَخِيلٍ وَشَقِيٍّ أَوْ سَعِيد»،[1] وقوله عليه السلام: «وَمَا الْجَلِيلُ وَاللَّطِيفُ وَالثَّقِيلُ وَالْخَفِيفُ وَالْقَوِيُّ وَالضَّعِيفُ فِي خَلْقِهِ إِلَّا سَوَاء».[2]

حسن النسق

وهو بمعنى ذكر الأمور المتتالية المتعاطفة، كقوله تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ﴾،[3] وكقوله عليه السلام في وصف الدنيا: «غَرَّارَةٌ ضَرَّارَةٌ حَائِلَةٌ زَائِلَةٌ نَافِدَةٌ بَائِدَةٌ أَكَّالَةٌ غَوَّالَة».[4]

الاقتباس

وهو أن يضمن الكلام آية من القرآن، كقوله عليه السلام: «فَرَضَ حَقَّهُ وَأَوْجَبَ حَجَّهُ وَكَتَبَ عَلَيْكُمْ وِفَادَتَهُ فَقَالَ سُبْحَانَهُ: وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا».[5]

---

١. نهج البلاغة، الخطبة ١٢٨.
٢. نهج البلاغة، الخطبة ١٨٥.
٣. الحشر: ٢٣.
٤. نهج البلاغة، الخطبة ١١١.
٥. نهج البلاغة، الخطبة ١.

التلميح

وهو أن يشار في الكلام إلىٰ حديث مشهور أو مثل أو قصّة مشهورة من غير ذكره صريحاً، كقوله عليه السلام: «أَ لَمْ أَعْمَلْ فِيكُمْ بِالثَّقَلِ الْأَكْبَرِ وَأَتْرُكْ فِيكُمُ الثَّقَلَ الْأَصْغَرَ»،[١] وكقوله عليه السلام: «وَنَخَلْتُ لَكُمْ مَخْزُونَ رَأْيِي لَوْ كَانَ يُطَاعُ لِقَصِيرٍ أَمْرٌ».[٢]

التعريض

وهو أن يؤتىٰ بكلام دالّ علىٰ معنىٰ وإيهام أنّ الغرض أمر آخر، كقوله عليه السلام: «لَمْ تَكُنْ بَيْعَتُكُمْ إِيَّايَ فَلْتَة»،[٣] إذ الظاهر أنّه تعريض ببيعة من قال إنّ بيعته كانت فلتة، وكقوله عليه السلام: «وَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّهُ لَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ الْوَالِي عَلَى الْفُرُوجِ وَالدِّمَاءِ وَالْمَغَانِمِ وَالْأَحْكَامِ وَإِمَامَةِ الْمُسْلِمِينَ الْبَخِيلُ فَتَكُونَ فِي أَمْوَالِهِمْ نَهْمَتُهُ وَلَا الْجَاهِلُ فَيُضِلَّهُمْ بِجَهْلِهِ وَلَا الْجَافِي فَيَقْطَعَهُمْ بِجَفَائِهِ وَلَا الْحَائِفُ لِلدُّوَلِ فَيَتَّخِذَ قَوْماً دُونَ قَوْمٍ وَلَا الْمُرْتَشِي فِي الْحُكْمِ فَيَذْهَبَ بِالْحُقُوقِ وَيَقِفَ بِهَا دُونَ الْمَقَاطِعِ وَلَا الْمُعَطِّلُ لِلسُّنَّةِ فَيُهْلِكَ الْأُمَّة»،[٤] فإنّ في ذلك كلّه تعريض بعثمان وغيره ممّن سبقه في الخلافة.

الإيغال

وهو ختم الكلام بما يدلّ علىٰ نكتة يتمّ المعنىٰ بدونها فذكرها لأجل الإيغال، كقوله

---

١. نهج البلاغة، الخطبة ٨٧.

٢. نهج البلاغة، الخطبة ٣٥.

٣. نهج البلاغة، الخطبة ١٣٦.

٤. نهج البلاغة، الخطبة ١٣١.

تعالىٰ: ﴿اتَّبِعُوا مَنْ لا يَسْئَلُكُمْ أَجْراً وَهُمْ مُهْتَدُون﴾[١] بعد قوله تعالىٰ: ﴿قالَ يا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلين﴾،[٢] فإنّ المرسلين مهتدون بطبيعة الحال فلا حاجة إلىٰ ذكره، لٰكنّه إيغال وزيادة حثّ علىٰ الاتّباع وتحريص وترغيب في ذلك، وكقوله عليه السلام: «وَنَحْنُ عَلَى مَوْعُودٍ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ مُنْجِزٌ وَعْدَهُ وَنَاصِرٌ جُنْدَه»،[٣] فإنّ في ذكر الجملتين أيضاً إيغال.

الإيجاز

وقد ذكرنا ما عندنا في مبحث الإيجاز والإطناب والمساواة في علم المعاني فراجع هناك. وأزيدك علىٰ ذلك بأقوال من الإمام عليه السلام، قال في العدل والتوحيد: «التَّوْحِيدُ أَلَّا تَتَوَهَّمَهُ وَالْعَدْلُ أَلَّا تَتَّهِمَه»،[٤] وقوله عليه السلام: «تَخَفَّفُوا تَلْحَقُوا».[٥]

قال السيّد الرضي رحمه الله: «ما سمع كلام أقلّ منه مسموعاً ولا أكثر منه محصولاً وما أبعد غورها من كلمة وأنقع نطفتها من حكمه».

وكقوله عليه السلام: «مِسْكِينٌ ابْنُ آدَمَ مَكْتُومُ الْأَجَلِ مَكْنُونُ الْعِلَلِ مَحْفُوظُ الْعَمَلِ».[٦]

التفسير (التبيين)

وهو أن يكون في الكلام لبس فيؤتىٰ بما يزيله، كقوله عليه السلام): «إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ

١. يس: ٢١.
٢. يس: ٢٠.
٣. نهج البلاغة، الخطبة ١٤٦.
٤. نهج البلاغة، كلمة ٤٧٠.
٥. نهج البلاغة، الخطبة ١٦٧.
٦. نهج البلاغة، كلمة ٤١٩.

عَلَيْكُمُ اثْنَانِ اتِّبَاعُ الْهَوَى وَطُولُ الْأَمَلِ فَأَمَّا اتِّبَاعُ الْهَوَى فَيَصُدُّ عَنِ الْحَقِّ وَأَمَّا طُولُ الْأَمَلِ فَيُنْسِي الْآخِرَةَ»،[١] وكقوله عليه السلام: «أُوصِيكُمْ عِبَادَ اللَّهِ بِتَقْوَى اللَّهِ الَّتِي هِيَ الزَّادُ وَبِهَا الْمَعَاذُ زَادٌ مُبْلِغٌ وَمَعَاذٌ مُنْجِح»،[٢] وكقوله عليه السلام: «وَسَيَهْلِكُ فِيَّ صِنْفَانِ مُحِبٌّ مُفْرِطٌ يَذْهَبُ بِهِ الْحُبُّ إِلَى غَيْرِ الْحَقِّ وَمُبْغِضٌ مُفْرِطٌ يَذْهَبُ بِهِ الْبُغْضُ إِلَى غَيْرِ الْحَق»،[٣] وفي كلام آخر: «يَهْلِكُ فِيَّ رَجُلَانِ مُحِبٌّ غَالٍ وَمُبْغِضٌ قَال»،[٤] وأيضاً له عليه السلام: «يَهْلِكُ فِيَّ رَجُلَانِ مُحِبٌّ مُفْرِطٌ وَبَاهِتٌ مُفْتَرٍ».[٥]

ومع هذا لا حاجة إلىٰ عقد عنوان مستقلّ للتوشيع وهو أن يؤتىٰ في عجز الكلام بمثنىٰ مفسّر بإسمين ثانيهما معطوف علىٰ الأول، لأنّه من مصاديق التفسير.

التكرار

يؤتىٰ به إمّا للتأكيد، كقوله تعالىٰ: ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ * ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾،[٦] وكقوله عليه السلام: «الْعَمَلَ الْعَمَلَ ثُمَّ النِّهَايَةَ النِّهَايَةَ وَالِاسْتِقَامَةَ الِاسْتِقَامَةَ ثُمَّ الصَّبْرَ الصَّبْرَ وَالْوَرَعَ الْوَرَع»[٧] ومثله «الْجِهَادَ الْجِهَاد»[٨] وقوله عليه السلام: «فَاللَّهَ اللَّهَ مَعْشَر

١. نهج البلاغة، الخطبة ٤٢.
٢. نهج البلاغة، الخطبة ١١٤.
٣. نهج البلاغة، الخطبة ١٢٧.
٤. نهج البلاغة، كلمة ٤٦٩.
٥. نهج البلاغة، كلمة ٤٦٩.
٦. التكاثر: ٣-٤.
٧. نهج البلاغة، الخطبة ١٧٦.
٨. نهج البلاغة، الخطبة ١٨٢.

الْعِبَاد»[١] وما جاء من قوله عليه السلام «اللّٰه اللّٰه» في وصيّته المعروفة.[٢]

وقد يكون بالتكرار معنىً، كقوله عليه السلام: «هَيْهَاتَ قَدْ فَاتَ مَا فَاتَ وَذَهَبَ مَا ذَهَبَ».[٣]

وإمّا للتحذير، كقوله عليه السلام: «فَالْحَذَرَ الْحَذَرَ مِنْ طَاعَةِ سَادَاتِكُمْ وَكُبَرَائِكُم ...».[٤]

وإمّا للتهويل كقوله تعالىٰ: ﴿الْحَاقَّةُ * مَا الْحَاقَّةُ﴾،[٥] و﴿الْقَارِعَةُ * مَا الْقَارِعَةُ﴾.[٦]

وإمّا للإنكار والتوبيخ، كقوله تعالىٰ: ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

وإمّا للاهتمام بالشأن، كقوله عليه السلام: «اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ عَلَى مَا تَأْخُذُ وَتُعْطِي حَمْداً يَكُونُ أَرْضَى الْحَمْدِ لَكَ وَأَحَبَّ الْحَمْدِ إِلَيْكَ وَأَفْضَلَ الْحَمْدِ عِنْدَكَ حَمْداً يَمْلَأُ مَا خَلَقْتَ».[٧]

شجاعة الفصاحة

قال السيّد الرضي رحمه الله: «كان شيخنا أبو الفتح النحوي يسمّي هذا الجنس شجاعة الفصاحة، لأنّ الفصيح لايكاد يستعمله إلّا وفصاحته جريّة الجنان غزيرة الموادّ»،[٨]

---

١. نهج البلاغة، الخطبة ١٨٣.

٢. نهج البلاغة، الكتاب ٤٧.

٣. نهج البلاغة، الخطبة ١٩١.

٤. نهج البلاغة، الخطبة ١٩٢.

٥. الحاقّة: ١-٢.

٦. القارعة: ١-٢.

٧. نهج البلاغة، الخطبة ١٦٠.

٨. المجازات النبوية، المجاز ١٢.

وهو حذف شيء من الكلام اعتماداً علىٰ فهم السامع، مثل قوله تعالىٰ: ﴿حَتَّىٰ تَوارَتْ بِالْحِجاب﴾[١] أي الشمس، وكقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّا أَنْزَلْناهُ في لَيْلَةِ الْقَدْر﴾[٢] أي القرآن، وكقوله عليه السلام: «أَمَا وَاللَّهِ لَقَدْ تَقَمَّصَهَا فُلَانٌ (ابْنُ أَبِي قُحَافَةَ) وَإِنَّهُ لَيَعْلَمُ أَنَّ مَحَلِّي مِنْهَا مَحَلُّ الْقُطْبِ مِنَ الرَّحَى»،[٣] والمراد الخلافة.

أقول: لا خلاف في هذه الموارد وإنّما بُدّل الظاهر بالضمير من دون سبق المرجع.

---

١. ص: ٣٢.

٢. القدر: ١.

٣. نهج البلاغة، الخطبة ٣.

الباب الثانى

المحسّنات اللفظية

الجناس

وهو أن يتّفق اللفظان في النطق ويختلفان في المعنىٰ، والطبع يستحسن المكرّر مع اختلاف معناه، لأنّ فيه نوع استغراب ومحتاج إلىٰ دقّة وهو مطبوع للسامع بعد ما يصل إلىٰ مرام القائل ومغزى الكلام.

وهو ينقسم إلىٰ نوعين: لفظي ومعنوي.

أنواع الجناس اللفظي

الجناس التامّ

فإن كانا متماثلين كاسمين أو فعلين سمّي الجناس «مماثلاً» نحو قوله تعالىٰ: ﴿يَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ ما لَبِثُوا غَيْرَ ساعَةٍ كَذلِكَ كانُوا يُؤْفَكُون﴾.[1]

---

١. الروم: ٥٥.

فإنّ المراد بالساعة الأُولىٰ يوم القيامة وبالثانية مقدار زمان معروف.

وكقوله تعالىٰ: ﴿يَكادُ سَنا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصارِ * يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهارَ إِنَّ في ذٰلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصارِ﴾.[1] فإنّ المراد بالأبصار في الُاولىٰ العيون الناظرة وبالثانية العقول، وكقول مولانا أميرالمؤمنين عليه السلام: «كُلُّ وِعَاءٍ يَضِيقُ بِمَا جُعِلَ فِيهِ إِلَّا وِعَاءَ الْعِلْمِ فَإِنَّهُ يَتَّسِعُ بِهِ»،[2] فإنّ الوعاء الأوّل مادّي والثاني من سنخ المعقول.

وإن كانا من نوعين كاسم وفعل سمّي الجناس «مستوفياً» كقول الشاعر:

إذا رماك الدهر في معشر قد أجمع الناس على بغضهم
فدارهم ما دمت في دارهم وأرضهم ما دمت في أرضهم

والجناس غير التامّ ما اختلف فيه اللفظ في واحد أو أكثر نحو: «دوام الحال من المحال»، وكقوله تعالى: ﴿ذٰلِكُمْ بِما كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِما كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ﴾[3] وكقوله صلى الله عليه وآله: «الْخَيْلُ مَعْقُودٌ فِي نَوَاصِيهَا الْخَيْرُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ».[4]

وقد يكون باختلاف ترتيب الحروف كقول الشاعر:

حسامك فيه للأحباب فتح ورمحك فيه للأعداء حتف

١. النور: ٤٣-٤٤.
٢. نهج البلاغة، كلمة ٢٠٥.
٣. غافر: ٧٥.
٤. الكافي ٥: ٤٨.

الجناس المطلق

وهو توافق ركنيه في الحروف كقوله ﷺ: «أَسْلَمُ سَالَمَهَا اللّه»،[١] فإن جمعها اشتقاق سمّي جناس «الاشتقاق» مثل قوله تعالى: ﴿لا أَعْبُدُ ما تَعْبُدُون * وَلا أَنْتُمْ عابِدُونَ ما أَعْبُد﴾[٢]

الجناس المزيّل والمطرّف

فالأوّل الاختلاف في آخره والثاني الاختلاف في أوّله؛ فالأوّل كقول أبي التمّام:

يمدون من أيد عواص عواصم   تصول بأسياف قواض قواضب

والثاني كقول الشيخ عبدالقاهر:

وكم سبقت منه إليّ عوارف   ثنائي على تلك العوارف وارف

الجناس المضارع

يكون باختلاف ركنيه في حرفين مع قرب المخرج نحو: «ليل دامس وطريق طامس»، وأمّا في الوسط كقوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَ يَنْأَوْنَ عَنْه﴾.[٣]

والجناس اللاحق يكون في صورة اختلاف في المتباعدين نحو: ﴿هُمَزَةٍ لُمَزَة﴾[٤] وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ عَلى ذلِكَ لَشَهيد * وَإِنَّهُ لِحُبِ الْخَيْرِ لَشَديد﴾.[٥]

---

١. النهاية ٢: ٣٩٤.

٢. الكافرون: ٢-٣.

٣. الأنعام: ٢٦.

٤. الهمزة: ١.

٥. العاديات: ٧-٨.

الجناس اللفظي

ما تماثل ركناه لفظاً واختلفا خطّاً، مثل: «مثل الغزال نظرة ولفتة، من ذا رآه مقبلاً ولا افتتن»، وقوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ ناضِرَةٌ * إِلى رَبِّها ناظِرَةٌ﴾.[١]

الجناس المحرّف

وهو أن يتّفق اللفظان في الحروف وأعدادها وترتيبها ويختلفان في الهيئة، إمّا بالحركة كقوله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنا فيهِمْ مُنْذِرين * انْظُرْ كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الْمُنْذَرين﴾،[٢] وكقوله عليه السلام: «عَجزَ الْمُقَوِّمُ وَأَعْضَلَ الْمُقَوَّم»،[٣] وقوله عليه السلام: «يَختِلُونَ بِعَقْدِ الْأَيْمَانِ وَبِغُرُورِ الْإِيمَان»،[٤] وقوله عليه السلام: «فَإِنَّ التَّقْوَى فِي الْيَوْمِ الْحِرْزُ وَالْجُنَّةُ وَفِي غَدٍ الطَّرِيقُ إِلَى الْجَنَّة».[٥]

وإمّا بحركة أحدهما وسكون آخر، كقوله عليه السلام: «لَا تَرَى الْجَاهِلَ إِلَّا مُفْرِطاً أَوْ مُفَرِّطا»،[٦] ومحلّ الشاهد هو «الفاء»، فإنّه في أحدهما ساكن وفي الآخر متحرّك.

وكقول الشاعر:

---

١. القيامة: ٢٢-٢٣.

٢. الصافات: ٧٢-٧٣.

٣. نهج البلاغة، الخطبة ٩٧.

٤. نهج البلاغة، الخطبة ١٥١.

٥. نهج البلاغة، الخطبة ١٩١.

٦. نهج البلاغة، كلمة ٧٠.

ليـلي و ليـلىٰ نفىٰ نومـي اختلافهما ... بالطُول والطَول يا طوبىٰ لو اعتدلا

يجـود بالطُـول ليـلي كلـما بخلـت ... بالطَول ليلىٰ وإن جادت به بخلا[١]

الجناس المقلوب

وهو أن يتّفقا في الحروف وأنواعها وهيئاتها ويختلفا في الترتيب، وهو ضربان: قلب الكلّ وقلب البعض؛ فمن الأول قوله عليه السلام : «حَتَّى يَعْرِفَ الْحَقَّ مَنْ جَهِلَهُ وَيَرْعَوِيَ عَنِ الْغَيِّ وَالْعُدْوَانِ مَنْ لَهِجَ بِه».[٢] فإنّ «لهج» و«جهل» مقلوبان.

والثاني كقوله عليه السلام : «فَإِنَّمَا مَثَلُ الدُّنْيَا مَثَلُ الْحَيَّةِ لَيِّنٌ مَسُّهَا قَاتِلٌ سَمُّهَا»،[٣] وقوله عليه السلام : «الْعِلْمُ مَقْرُونٌ بِالْعَمَلِ فَمَنْ عَلِمَ عَمِل»،[٤] وقوله عليه السلام : «وَلاَ يَحْمِلُ هَذَا الْعَلَمَ إِلَّا أَهْلُ الْبَصَرِ وَالصَّبْرِ».[٥]

الجناس المصحّف (جناس الخطّ)

وهو أن تأتي بكلمتين متشابهتين خطّاً لا لفظاً، كقوله تعالىٰ: ﴿وَهُمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ يُحۡسِنُونَ صُنۡعا﴾،[٦] وكقوله عليه السلام : «شَحَّتْ عَلَيْهَا نُفُوسُ قَوْمٍ وَسَخَتْ عَنْهَا

---

١. شرح ديوان المتنبّي، ١: ٥٨.

٢. نهج البلاغة، الخطبة ٢٠٦.

٣. نهج البلاغة، الكتاب ٦٨.

٤. نهج البلاغة، كلمة ٣٦٦.

٥. نهج البلاغة، الخطبة ١٧٣.

٦. الكهف: ١٠٤.

نُفُوسُ آخَرِين»،[١] والشاهد في «شحّت» و«سخت» حيث هما متشابهان خطّاً لا لفظاً، وكقوله عليه السلام فيما كتب إلىٰ معاوية: «غَرَّكَ عِزُّكَ، فَصَارَ قُصَارُ ذَلِكَ ذُلَّكَ، فَاخْشَ فَاحِشَ فِعْلِكَ، فَعَلَّكَ تُهْدَى بِهَذَا».[٢]

الاشتقاق

وهو أن تجيء بألفاظ يجمعها أصل واحد، كقوله سبحانه: ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبا وَيُرْبِي الصَّدَقات﴾،[٣] ﴿أَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمان﴾،[٤] وكقوله عليه السلام: «فَالْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِه».[٥]

وشبه الاشتقاق أن يتشابها في اللفظ من دون أن يرجعا إلىٰ مادّة واحدة، كقوله عليه السلام: «أَهْلُهَا عَلَى سَاقٍ وَسِيَاق».[٦] فإنّ الأول بمعنىٰ الساق الذي هو بين الكعب والركبة والثاني من ساق يسوق.

ومن النظم ما قيل في وصف الربيع:

إنّ فصـل الربيـع فصـل مليـح   تضحك الأرض من بكاء السماء

---

١. نهج البلاغة، الخطبة ١٦٢.
٢. مناقب آل أبي طالب، ٢: ٤٨.
٣. البقرة: ٢٧٦.
٤. النمل: ٤٤.
٥. نهج البلاغة، الخطبة ١٦٧.
٦. نهج البلاغة، الخطبة ١٩١.

ذهـــب حيثـــا ذهبنـــا ودرّ حيث درنـا وفضّـة في الفضاء[١]

السجع

وهو توافق الفاصلتين من النثر علىٰ حرف واحد كالتقفية في النظم وله أقسام:

الأول: السجع المطرّف

وهو أن تختلف الفاصلتان في الوزن، مثل قوله تعالىٰ: ﴿ما لَكُمْ لا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقاراً * وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْواراً﴾،[٢] وقوله عليه السلام: «اتَّخَذُوا الشَّيْطَانَ لأَمْرِهِمْ مِلاَكاً وَاتَّخَذَهُمْ لَهُ أَشْرَاكاً».[٣]

الثاني: السجع المرصّع

وهو أن تكون القرينتان مع اتّفاق أعجازهما متّفقة الأوزان كالتقفية بحسب كلّ الكلمات أو أكثرها.

والأول: كقوله عليه السلام: «أَحْمَدُهُ اسْتِتْمَاماً لِنِعْمَتِهِ وَاسْتِسْلَاماً لِعِزَّتِه»،[٤] وقوله عليه السلام: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَلَا بِحَوْلِهِ وَدَنَا بِطَوْلِه».[٥]

---

١. أنوار الربيع: ٢٠.

٢. نوح: ١٣-١٤.

٣. نهج البلاغة، الخطبة ٧.

٤. نهج البلاغة، الخطبة ٢.

٥. نهج البلاغة، الخطبة ٨٣.

والثاني: كقوله عليه السلام: «مَانِحِ كُلِّ غَنِيمَةٍ وَفَضْلٍ وَكَاشِفِ كُلِّ عَظِيمَةٍ وَأَزْلٍ»،[١] لعدم اتّفاق كاشف ومانح في القافية، فالموافقة ليست بكلّية.

الثالث: السجع المتوازي

وهو أن تكون الموافقة في خصوص الأعجاز والفواصل لا في جميع الألفاظ كلّاً ولا بعضاً، وله ثلاثة أنواع:

الأول: أن يكون كلّ ما في أحدهما مخالفاً للآخر وزناً وتقفية، كقوله عليه السلام: «جَعَلَهُ اللَّهُ رِيّاً لِعَطَشِ الْعُلَمَاءِ وَرَبِيعاً لِقُلُوبِ الْفُقَهَاءِ وَمَحَاجَّ لِطُرُقِ الصُّلَحَاءِ».[٢]

والثاني: أن يكون المخالفة في الأكثر.

والثالث: أن يكون الموافقة والمخالفة في النصف، كقوله تعالىٰ: ﴿فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ * وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ﴾،[٣] وكقوله عليه السلام: «غُرُورٌ حَائِلٌ وَضَوْءٌ آفِلٌ وَظِلٌّ زَائِلٌ وَسِنَادٌ مَائِلٌ»،[٤] إلىٰ غير ذلك من التفصيلات التي لا جدوىٰ في التعرّض لها، فنكتفي بهذا المقدار.

التشطير

وعرّفوه بأن يقسّم الشاعر كلّاً من صدر بيته وعجزه (المصراع الأول والثاني)

١. نهج البلاغة، الخطبة ٨٣.
٢. نهج البلاغة، الخطبة ١٩٨.
٣. الغاشية: ١٣-١٤.
٤. نهج البلاغة، الخطبة ٨٣.

سطرين ثمّ يسجّع كلّاً منهما مع مخالفة الصدر والعجز في التسجيع، كقوله:

تدبير معتصم بالله منتقـم　　　لله مرتعب في الله مرتقب

وإن أطبقنا علىٰ النثر فكقوله عليه السلام: «وَأَعْظَمُ مَا هُنَالِكَ بَلِيَّةً نُزُولُ الْحَمِيمِ وَتَصْلِيَةُ الْجَحِيمِ وَفَوْرَاتُ السَّعِيرِ وَسَوْرَاتُ الزَّفِيرِ لَا فَتْرَةٌ مُرِيحَةٌ وَلَا دَعَةٌ مُزِيحَةٌ وَلَا قُوَّةٌ حَاجِزَةٌ وَلَا مَوْتَةٌ نَاجِزَةٌ».[1]

تضمين المزدوج

وهو أن يأتي المتكلّم في أثناء النثر أو النظم بلفظين مسجّعين، كقوله تعالىٰ: ﴿وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ﴾،[2] وقوله تعالىٰ: ﴿يَدْعُونَنَا رَغَباً وَرَهَباً﴾،[3] وقوله عليه السلام: «نَارٍ لَهَا كَلَبٌ وَلَجَبٌ وَلَهَبٌ سَاطِعٌ وَقَصِيفٌ هَائِل»،[4] وقوله عليه السلام: «وَالْجَحُودُ الْكَنُودُ وَالْعَنُودُ الصَّدُودُ وَالْحَيُودُ الْمَيُود».[5]

لزوم ما لايلزم

وهو أن يؤتىٰ قبل الروي بحرف أو حرفين مع عدم لزومها في السجع، كقوله

١. نهج البلاغة، الخطبة ٨٣.
٢. النمل: ٢٢.
٣. الأنبياء: ٩٠.
٤. نهج البلاغة، الخطبة ١٠٩.
٥. نهج البلاغة، الخطبة ١٩١.

تعالىٰ: ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ * وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾،[١] إذ السجع يحصل بالراء في آخر الجملتين، لكن لم يكتف به في الآيتين بل اُضيف إليه الهاء مع عدم لزومه في السجع، إذ كان بالإمكان أن يقول تعالىٰ: وأمّا اليتيم فلاتسخر وأمّا السائل فلاتزجر، ومثله قوله تعالىٰ: ﴿فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ * وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ﴾،[٢] وكقوله عليه السلام: «فَإِنَّهُ أَرْجَحُ مَا وُزِنَ وَ أَفْضَلُ مَا خُزِنَ».[٣]

الحذف

وهو أن يحذف المتكلّم من كلامه حرفاً أو أكثر من حروف الهجاء أو النقطة بشرط عدم التكلّف وتأدية المراد، والإمام عليه السلام هو الحائز قصب السبق في هذا المضمار كالخطبة المسمّاة بـ «المونقة» وهي الخالية عن الألف والاُخرىٰ خالية عن النقطة.

فقد روىٰ المخالف والمؤالف عن هشام بن محمّد الكلبي أنّه اجتمع أصحاب النبي صلى الله عليه وآله فتذاكروا أيّ الحروف أدخل في الكلام فأجمعوا علىٰ أنّ الألف أكثر دخولاً، فخطب علي عليه السلام بهذه الخطبة ارتجالاً وسمّاها المونقة. وإليك شطر منها متبركاً بها: «حَمِدْتُ مَنْ عَظُمَتْ مِنَّتُهُ وَسَبَغَتْ نِعْمَتُهُ وَسَبَقَتْ رَحْمَتُهُ وَتَمَّتْ كَلِمَتُهُ وَنَفَذَتْ مَشِيَّتُهُ وَبَلَغَتْ حُجَّتُهُ وَعَدَلَتْ قَضِيَّتُهُ حَمِدْتُ حَمْدَ مُقِرٍّ بِرُبُوبِيَّتِهِ مُتَخَضِّعٍ لِعُبُودِيَّتِهِ مُتَنَصِّلٍ مِنْ خَطِيئَتِهِ مُعْتَرِفٍ بِتَوْحِيدِهِ ...»[٤] وهي كبيرة جدّاً.

---

١. الضحى: ٩-١٠.

٢. الواقعة: ٢٨-٢٩.

٣. نهج البلاغة، الخطبة ٢.

٤. أعلام الدين: ٧٢.

التشريع

وهو بناء البيت علىٰ قافيتين يصحّ الوقوف عند كليهما، كقوله:

يا خاطب الدنيا الدنيّة إنّها　　　شرك الردىٰ وقرارة الأقذار
دار متىٰ ما أضحكت في يومها　　　أبكت غداً بُعداً لها من دار

فإنّه يصحّ الوقوف على شرك الردىٰ وغداً بأن يقرأ هكذا:

يا خاطب الدنيا الدنية　　　إنّها شرك الردىٰ
دار متىٰ ما أضحكت　　　في يومها أبكت غداً

ما لايستحيل بالانعكاس

نحو قوله تعالىٰ: ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾،[1] وقولهم: «كن كما أمكنك»، وقول الشاعر:

مودّته تدوم لكلّ هول　　　وهل كلّ مودّته تدوم[2]

فإنّه يمكن أو يقرأ الحروف من الآخر إلىٰ الأول بلا تفاوت أصلاً.

الاكتفاء

وهو أن يحذف الشاعر من البيت شيئاً يستغنىٰ عنه عقلاً، كقوله:

فإنّ المنيّة من يخشها　　　فسوف تصادفه أينما

أي توجّه.

---

١. المدّثّر: ٣.

٢. نهاية الأرب، ٧: ١٧١.

قال ابن مالك:

وحذف ما يعلم جائز كما　　　تقول زيد بعد من عندكما

التطريز

وهو أن يكون صدر النثر أو الشعر مشتملاً علىٰ ثلاثة أسماء مختلفة المعنىٰ ويكون العجز صفة متكرّرة بلفظ واحد، كقوله:

ويسقيني ويشرب من رحيق　　　خليق أن يلقب بالخلوق

كأنّ الكأس في يدها وفيها　　　عقيق في عقيق في عقيق[1]

ومثله ما قيل أو يمكن أن يقال مع ذكر اثنين من الثلاثة في الصدر، كقوله:

رسول الله قد تولّد في ربيع　　　ربيع في ربيع في ربيع

والمراد بـ«الربيع» الأول وجوده ﷺ فإنّه ربيع الإنسانية، ومن الثاني شهر ربيع الأول، ومن الثالث فصل الربيع.

ردّ العجز علىٰ الصدر

بأن يجعل لفظ واحد في أول الفقرة وآخرها، كقوله تعالىٰ: ﴿وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ﴾.[2] وقوله: «سائل اللئيم يرجع ودمعه سائل».

١. البديع في نقد الشعر: ٧٠.

٢. الأحزاب: ٣٧.

التسميط

وهو أن يجعل الشاعر بيته علىٰ أربعة أقسام، ثلاثة علىٰ سجع واحد بخلاف الأخير، كقول الهذلية:

وبيت وردت وثغر سددت　　　وعلج شددت عليه الحبالا

أقول: لا خصوصية للتقسيم بأربعة أقسام، بل يمكن تكثيرها كالمخمّس، فيكون ثلاثة أقسام بسجع والرابع بسجع والخامس بسجع آخر، كقول السيّد إسماعيل الشيرازي:

إن يكــن يجعــل للّــه البنــون　　　وتعــالى اللّــه عمّــا يصفــون
فوليـد البيـت أحـرىٰ أن يكـون　　　لــوليّ البيـــت حقّـــاً ولـــدا
لا عزيــر لا و لا ابــن مريــم

هــو بعـد المصطفىٰ خـير الورىٰ　　　من ذرى العرش إلىٰ تحت الثرىٰ
قــد كسـت عليـاؤه أمّ القـرى　　　عـــزّة تحمـــي حماهـــا أبـــدا
حيــث لا يدنــوه مــن لم يحـرم

سـبق الكـون جميعـاً في الوجـود　　　وطــوىٰ عــالم غيــب وشــهود
كلّ مـا في الكـون من يمنـاه جود　　　إذ هـــو الكائـــن للّـــه يـــدا
ويـــد اللّـــه مـــدرّ الأنعـــم

سـيّد فــاق عــلا كلّ الأنــام　　　كان إذ لا كائــن وهــو إمــام

شرّف اللّـه بـه البيـت الحـرام حـين أضحـىٰ لسـناه مولـدا

فوطـــىٰ تربتـــه بالقـــدم

ولدت شمس الضحىٰ بدر التمام فانجلـت عنّـا دياجـير الظـلام

نـاد يـا بشراكـم هـذا غـلام وجهـه فلقـة بـدر يهتـدى

بســـنا أنـــواره في الظّلـــم[١]

والحمد للّه رب العالمين.

١. موسوعة الغدير، ٦: ٤٩.